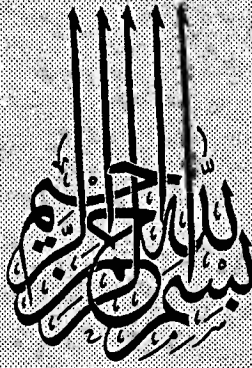


توزيع أعضاء لجنة المناقشة

المترق
د. عبد الحميد العريفي



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

د. عبد الحميد العريفي
د. عبد الحميد العريفي

دوافع السلوك الإنساني وضوابطه المهنية في ضوء الكتاب والسنة

٢٧٠٠٠٠

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



اعداد الطالبة
جوهرة صالح الظبيبان

اشراف الدكتور
عبد الحميد الأمين

الجزء الأول
عام ١٤١٠ هـ



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٣٦٤

الشكر والتقدير

*** شـكـر و تـقـديـر ***

الحمد لله الأول والآخر والظاهر والباطن الذى سير الكون بحكمته
وسخره بقدرته وخلق الخلق ليكونوا خلفاء فى الارض وجعل فيها
عوامل الاستخلاف (لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) (١) وزين الارض فى
النفوس لكى تكون دافعا للسلوك . فالحمد لله الذى سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين .

وبعد الحمد لله المنان كثير الشكر والاحسان اتوجه بالشكر الجزيل
لمن له الفضل بعد الله بمساعدتى ومديد العون لى والدى الكريمين
اللذين اخذا بيدي لكى اصل الى بعض ما رسما لمنهجى وسلوكى . وكما
اتقدم بالشكر الجزيل لزوجى الذى لم يدخر وسعا فى محاولة تهيئة
ما امكنه تهيئته لاتمام رسالتى والاخذ بيدي . كما اتقدم بجزيل
الشكر للدكتور الفاضل المشرف على هذه الرسالة الدكتور عبد
الحميد الامين الذى لم يدخر جهدا فى سبيل مساعدتى بفهمه العميق
وعلمه الكثير مما كان له اكبر الاثر فى تفهمى لاغوار هذه الرسالة
ولوقوفى على ابعادها . واخيرا اتقدم بالشكر الجزيل لكل من مدنى
بمساعده كمن سهل لى الحصول على كتاب وشجعنى بكل ما يستطيع ولله
الحمد من قبل وله الفضل فى الاخرة والاولى واتمنى ان اخدم فى
رسالتى هذه الاسلام والمسلمين وان تكون خالصة لوجهه لا ارجو من
ورائها الا رضى الله وان توافق ما رسم لها من مطابقة العقيدة وان
تحلو من كل زيغ او ضلالة .

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد بن عبد الله عليه افضل
الصلاة واتم التسليم .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة (دوافع السلوك الانساني وضوابطه العملية فى ضوء الكتاب والسنة) وتشتمل على ثلاثة ابواب .

الباب الاول :

باب الدوافع ويكون فى ثلاثة فصول .

تعريف الدافع - اقسام الدوافع - موقف الكتاب والسنة من الدوافع .
الباب الثانى :

باب ضوابط السلوك النفسية ويشتمل على عشرة فصول :-
(الاستقامة - تحسين ما حسنه الشرع وتقبيح ما قبحه الشرع -
الاقتداء بالانبياء والذين معهم - النهى عن البدع - مراقبة
الله - امتلاك زمام النفس ونهيها عن الهوى - الرغبة فى الجنة
وما فيها والرهبة من النار وما فيها - الحب فى الله والبغض
فى الله - احترام الاداب العامة فى المجتمع المسلم - حذار
المسلم ان يكون مفتاحا للشر .)

الباب الثالث :

باب الضوابط العملية : ويشتمل على خمسة فصول :-
اداء العبادات على وجهها - الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
- النصيحة - صحبة الاخيار ومفارقة الاشرار - العقوبات الزاجرة

ثم الخاتمة وهى خلاصة البحث وفيه يتضح موقف القرآن الكريم من الدوافع
واثر الضوابط النفسية والعملية فى تهذيب لسلوك الانسان .

عميد الكلية

المشرف

الطالبة

د. على بن نفيح العليانى

د. عبد الحميد الامين

جوهره صالح الطيبان

المقدمه :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وبعد
فقد

دفعنى الى اختيار هذا الموضوع (دوافع السلوك الانسانى وضوابطه العملية فى ضوء الكتاب والسنة) الرغبة فى ابراز الدوافع لدى علماء المسلمين وموقف الاسلام والمسلمين من الدوافع وكيف هذبها ووجهها التوجيه الصحيح للسلوك فلا قمع للدوافع بل تهذيب لها بما يتفق ومقتضى الاستخلاف وتوجيه صحيح للناشئة لكى ينشأ هذا الجيل المسلم على نمط ذلك النموذج الفذ من الرعيل الاول الذى تخرج من مدرسة محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة واتم السلام المعلم القدوة الذى ياتم به من بعده .

أهمية اختيار الموضوع :

ومما يبرز لنا أهمية هذا الموضوع أن الدوافع هي المحركات لدى الكائن البشرى ولكل مجتمع دوافعه وميوله وغرائزه وحسب قوة الدوافع وحسب توجيهها يمكن أن نرسم منهاجاً لآخلاق المجتمعات ومدى ترفعها عن الرذائل وعدم انهماكها انهماكاً بهيماً وراء الدوافع واغرائها أو انحدارها خلقياً وسلوكياً وسيرها وراء شهواتها بما يكون لنا صورة كاملة لخلق المجتمع ، ومنهجه الذى يسير عليه فيضبط مشاعره النفسى ويلتزم بالاستقامه على منهج الله عز وجل فلا يجنح بهواه بل يلتزم ازاء هذا الامر منهج الله عز وجل فلا يتبع الحسن والقبح لمجرد كون الفعل حسناً أو قبيحاً بل يجعل فوق ذلك امر الله له ونهيه عنه ليلتمس بهذا الحسن والقبح للفعل ولذا يكون قدوته فى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يبتدع ولا يتبع الهوى بل يراقب الله فى كل سكناته وحركاته ويجعل امام ناظره الدافع للسلوك وهو الذى يتسابق المؤمنون من اجله ألا وهو الجنة فيضبط نفسه عن الوقوع فى المعاصى المؤديه الى النار . ويكون حب رسول الله صلى

(ج)

عليه وسلم وصحابته دافعا للترقى فى درجات الخير والوصول الى أعلى درجات رضوان الله عز وجل وكذا فيحذر المؤمن من أن يكون سببا للشر ويجتنبه ويجتنب كل ما يؤدي اليه فتكون النتيجة الحتمية لانضباط النفس انضباط السلوك العملى فيكون اداء العباده على وجهها المشروع ويظهر فى المجتمع التناصح والتحاب والتواصى بالخير والتناهى عن الشر واقامه حدود الله عز وجل عند جنوح الجانحين بما يردع من دوافع العدوان عند الانسان فيقضى عليها وبهذا يظهر لنا اهميه هذا الموضوع وسبب اختياره ودوره التربوى فى ضبط السلوك .

وقد قسمت هذه الرسالة الى ثلاثة ابواب :-

الباب الاول :

يكون فى الدوافع .وينقسم الى ثلاثة مباحث

الاول :

المبحث تتبع لمعنى دفع فى اللغة والقرآن والسنة وعلم النفس وعلم

الاجتماع

المبحث الثانى :

اقسام الدوافع

المبحث الثالث : موقف الكتاب و السنة من الدوافع

الباب الثانى :-

فى الضوابط النفسىة للسلوك وينقسم الى عشرة فصول :-

١ - الاستقامه

٢ - تحسين ما حسنه الشرع وتقبيح ما قبحه الشرع .

٣ - الاقتداء بالنبیین و الذين معهم .

٤ - اجتناب البدعه .

٥ - مراقبه الله عز وجل .

٦ - امتلاك زمام النفس ونهيها عن الهوى .

٧ - الرغبه فى الجنه وما فيها و الرهبه من النار وما فيها .

٨ - الحب فى اله و البغض فى الله .

٩ - احترام الآداب العامه .

١٠ - لا يكون المسلم مفتاحا للشر .

الباب الثالث :-

الضوابط العملية ويشتمل على خمسة فصول :-

- ١ - اداء العبادات على وجهها .
- ٢ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٣ - النصيحة .
- ٤ - صحبة الاخيار ومفارقة الاشرار .
- ٥ - العقوبات الزاجرة .

الباب الأول

الدوافع

وهو في ثلاثة فصول
الفصل الأول : تتبع لفظة دفع في اللغة وفي الكتاب والسنة
ولدى علماء النفس وعلماء الاجتماع

الفصل الثاني : أقسام الدوافع

الفصل الثالث : موقف الكتاب والسنة من الدوافع

الباب الأول

باب الحوافم

الفصل الأول

تتبع لفظ دفع في اللغة والقرآن
والسنة وعلم النفس والاجتماع

الباب الاول " باب الدوافع "

يقتضى منهج البحث ان نبحث عن مادة دفع فى المعاجم اللغوية وفى القرآن الكريم . وفى الحديث النبوى ثم فى كتب علم النفس وعلم الاجتماع .

ومن الملاحظ ان كلمة دافع فى المعاجم اللغوية لم ترد بالمعنى الذى عند علماء النفس ولذلك سأشير الى تعريف الدافع فى اللغة وابين معنى اشتقاق كلمة دافع .

** الفصل الاول **

تتبع لفظ دفع فى اللغة ومن القرآن الكريم وفى السنة المطهرة ولدى علماء النفس وعلماء الاجتماع .
اولا الدافع فى اللغة :-

لقد وردت كلمة دافع فى المعاجم اللغوية بعدة معان :-
المعنى الاول : بمعنى العطاء :

دفعه - ودفع اليه شيئا أى أعطاه .

المعنى الثانى : بمعنى ازالة الضرر :

دفع عنه الاذى والشر أى ازال الضرر .

المعنى الثالث : بمعنى الازالة :-

ودفاعا بالفتح ومدفعا كمطلب أى ازالة بقوة .

قال تعالى : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّـمِّ النَّاسَ) (١) ومن كلامهم ادفع الشر

ولو أصبعا حكاة سيبويه وشاهده ، قول متمم (١) يرثى أخاه مالكا (٢)
 فقصر ك انى قد شهدت فلم اجد
 بكفى عنه للمنية مدفعا
 اى مزيلا ومانعا (٣)

(١) متمم بن نويرة التميمي :- كان متمم شاعرا قال الطبرى مالك بن نويرة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقه بن يربوع وكان قد أسلم هو واخوه متمم . قال ابو عمر قام مالك فقتله خالد بن الوليد واختلف كثير من الصحابة وغيرهم فيه هل قتل مرتدا او مسلما . واما متمم فلم يختلف فى اسلامه وكان شاعرا محسنا لم يقل احد مثل شعره فى المراثى التى رثى بها أخاه مالكا . الاستيعاب ج ٤ ص ١٤٥٥ - ١٤٥٦ . . اسد الغابة : ج ٤ ص ٢٨٢ .
 (٢) مالك بن نويرة : بن شداد بن عبيد بن ثعلبيه بن يربوع التميمي اليربوعي اخو متمم بن نويرة .

قدم على النبى صلى الله عليه وسلم واستعمله رسول الله على جمع صدقات بنى تميم فلما توفى رسول الله وارتد العرب وظهرت سجاح (تميمه من بنى يربوع واخوالها من تغلب فلما تراخى اليها وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة وقدمت الى قومها من تميم تريد أن تغزو المدينة وان تقاتل ابا بكر) صالحها الا انه لم تظهر عنه رده . اسد الغابة : ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٣) تاج العروس ج ٥ ص ٣٢٩ . وانظر ايضا القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢

المعنى الرابع : بمعنى الأمانة :

قال صاحب البصائر :

الدفع اذا عدى بالى اقتضى معنى الأمانة (١) كقوله تعالى (فَأَيَّ آيَاتِ
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) (٢) .

المعنى الخامس : بمعنى الحماية :

قال الله تعالى : (لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) (٣) اى حام (٤)

المعنى السادس : بمعنى الافاضة والسرعة :

اندفع فى الحديث اى افاض . والفرس اسرع فى سيره .

المعنى السابع : بمعنى الدعاء :

ومنه قولهم واستدفع الله الأسواء طلب منه أن يدفعها عنه

بمعنى الدعاء (٥)

المعنى الثامن : دافع بمعنى الشاة كثيرة اللبن :

قال صاحب تاج العروس : شاة او ناقة دافع ودافعة ومدفع

تدفع اللبن على راسي ولدها لكثرتة وانما يكثر اللبن فى ضرعها حين
تريد أن تضع (٦) .

المعنى التاسع : دافع بمعنى الولع :

يقال دافع الرجل أمر كذا اذا اولع به وانهمك فيه (٧)

(١) بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين محمد

بن يعقوب الفيروز ابادى دار الباز للنشر من المكتبة العلمية

ج ٢ ص ٦٠٣ .

(٢) سورة النساء آية (٦) .

(٣) سورة المعارج آية (٢) .

(٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢ . وانظر ايضا البصائر ج ٢ ص ٦٠٣ .

(٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢ .

(٦) تاج العروس ج ٥ ص ٣٢٩ .

(٧) لسان العرب ج ١ ص ٤٤١ .

المعنى العاشر : بمعنى الرد :

يقال دفع القول رده بالحجة وفلانا الى كذا أى اضطره (١)
وبهذا يظهر أن أهل اللغة لم يستعملوا الدافع بالمعنى الذى
يستخدمه علماء النفس .

ثانيا : ورود كلمة دفع فى القرآن الكريم :-

لقد وردت كلمة (دافع) (وادفع) (ودفع) فى القرآن الكريم
بعده معان . من البحث وجد ان كلمة دافع استخدمت فى القرآن بمعنى
مثير فى موضعين اثنين وهى فى قوله تعالى (ادفع بالتي هى احسن)
وفى قوله تعالى : (ادفع بالتي هى احسن السيئة) .
ولذا سأشير هنا الى معنى الآيات التى وردت بها كلمة دافع فى
القرآن الكريم واشتقاقها .

قال تعالى فى سورة البقرة : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (٢)

قال المفسرون فى معنى الآية :-

الدفع بمعنى الرد والمنع وهذا قول ابن جرير حيث قال : أى يرد
عنهم معالجتهم بالعقوبة على كفرهم ونفاقهم بايمان المؤمنين به
وبرسوله . (٣)

وقال صاحب البيان :-

المراد صرفهم عما هم عليه بما قدر الله من القتل وغيره .
ودفع الله الناس بعضهم ببعض على وجهين :-

(١) المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٨٩ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٥١) .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جرير الطبرى ج ٢ ص ٤٠٤ .

الوجه الأول : دفع ظاهر : وهو ما كان بالسواس الأربعة (الانبياء - الملوك - الحكماء - الوعاظ) .

فسلطان الانبياء عليهم السلام على كافة خاصهم وعامهم وظاهرهم وباطنهم .

وسلطان الملوك على ظواهر كافة دون البواطن كما قيل نحن ملوك ابدانهم لا ملوك اديانهم .

وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة .

وسلطان الوعاظ بواطن العوام .

الوجه الثانى : الدافع الخفى فسلطان العقل يدفع من كثير من

القبائح وهو السبب فى التزام سلطان الظاهر (١)

وقيل ان دفع بمعنى الرد : وذلك ان الله يردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى من القتل (٢)

وقيل (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ) ١ لولا ان الله يسلط جماعة على جماعة لفست الارض وعمت الفوضى (٣)

وقيل بمعنى الكف :

(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ) يقال دفعته دفعا ودفاعا مصدر والمعنى على

المنع ودفاع من دافع فالمعنى (انما يكف الظلمة والعصاة عن ظلم المؤمنين) (٤) .

(١) روح البيان للشيخ اسماعيل حقى البرسوى ج ٢ ص ٣٩٢ . وانظر ايضا هامش تفسير جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٢) روح المعانى للالوسى ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) التفسير الواضح ج ٢ ص ٨٣ .

(٤) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ٦ ص ١٩١ . وانظر ايضا - هامش تفسير الطبرى ج ٢ ص ٤٠٣ .

ويرى صاحب الظلال فى معنى الدفع أن تعارض المصالح فطرة فى النفس البشرية ولذا **قال تعالى** : (لولا أن فى فطرتهم التى فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة لتنتلق الطاقات كلما تتزاحم وتغالب وتتدافع (١) .

فنجده هنا جعل تعارض المصالح دوافع لانطلاق الطاقات .
ولذا قال الجوهرى : أن المراد بالآية الجمعية العامة وذلك لاشتراك الناس فى المصالح " فالإنسان محتاج لغيره فلا يقدر على القيام بشئونها فلا بد من الجمعية العامة " (٢)
الآية الثانية :-

وقد جاء معنى ادفعوا فى القرآن الكريم أى كثروا السواد .
قال الله تعالى (وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا) (٣) .

وقيل فى معنى الآية ادفعوا . اقمعوا - وقيل رابطوا وقيل ادفعوا استدعاء إلى القتال حمية . (٤) .
وقيل بمعنى المنع (٥) - وقيل بمعنى الدعاء (٦) .
الآية الثالثة :

قال تعالى (فَإِنْ أَنْسَتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) (٧)

-
- (١) فى ظلال القرآن : سيد قطب ج ١ ص : ٢٧ .
 - (٢) تفسير الجواهر - طنطاوى ج ١ ص : ٢٣ .
 - (٣) سورة آل عمران آية : ١٦٧ .
 - (٤) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٤ ص ٢٦٦ .
 - (٥) فتح القدير ج ١ ص ٣٩٦ .
 - (٦) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٤٢٥ .
 - (٧) سورة النساء آية ٦ .

وقال الله تعالى : (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ حَسِيبًا) (١)

قال ابن كثير: (١) سلموا اليهم اموالهم (٢)
الآية الرابعة :-

قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) (٣) .
المراد هنا النصره لهم ورد اعدائهم (٤) .
الآية الخامسة :-

استخدم القرآن معنى الدفع هنا على انه مثير حيث قال الله
تعالى : (إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) (٥)
قال ابن جرير فى تفسيره :

ادفع يا محمد التى هى احسن وذلك الاغضاء والصفح عن جهلة
المشركين والصبر على اذاهم (٦) ليستجيب خاطرهم فتعود عداوتهم
صداقة وبغضهم محبة (٧) .

(١) سورة النساء آية (٦) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٥٣ . وانظر صفوة التفاسير ج ١
ص ٢٦ .

(٣) سورة الحج آية ٣٨ .

(٤) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ج ٦ ص ٣٧٢ , وانظر ايضا
التفسير الفريد للقرآن المجيد ص ٢٠٤٨ .

(٥) سورة المؤمنون آية ٩٦ .

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن ابن جرير الطبرى ج ١٨ ص ٣٩ .

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٢٥٤ وانظر ايضا الجامع

لاحكام القرآن ج ١٢ ص ١٤٧ وتفسير روح المعانى للالوسى ج ١٨

ص ٦١ وفتح القدير للشوكانى ج ٣ ص ٤٩ .

فهي دعوة الى مكارم الأخلاق والباعث على ذلك هو أن دفع الاساءة بالاحسان عمل على اشارة دافع المحبة والصحبة بعد ذلك . فتعود العداوة محبة .

ولذا قال الله تعالى مبينا هذا الجانب فى سورة فصلت (ادفع بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (١) اى قابل الاسائة بالصفح (٢) لمن اساء اليك بالاحسان اليه (٣) ومن هذا نستنتج ان الاحسان مشير لعمل الخير ولتغيير السلوك فهو دعوة اسلامية لمكارم الاخلاق لما لها من الاثر الحسن على السلوك .
الآية السادسة :-

ورد كلمة دافع فى القرآن الكريم بمعنى راد وفى ذلك يقول الله تعالى : (إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) (٤) والمراد ما له من دافع اى عذاب ربك محيط بهم يوم القيامة فلا دافع له اى مانع وقيل ما له من دافع اى من يرده . (٥) .
ورد كلمة دفع فى الحديث النبوى :-

وفى الحديث الشريف ورد لفظ دافع ودفع ومن تتبع بعض الاحاديث وجد أن لفظ دفع قد استخدمت بعده معان ومنها أنه مشير .

- (١) سورة فصلت آية : ٣٤ .
- (٢) التفسير الفريد للقرآن المجيد ص ٢١٣٤ .
- (٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٠ .
- (٤) سورة الطور آية : ٨ .
- (٥) تفسير المراغى ج ٢٧ ص ١٩ . وانظر ايضا تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٤٠ وفتح القدير ج ٩٤ ، وصفوة التفاسير ج ٣ ص ٢٦٢ وانظر ايضا الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ١٧ ص ٦٢ .

دفع بمعنى اعطاه :-

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه (١) (أَنْ رَجُلًا أَعْتَقَ غُلَامًا لَهُ
مَنْ دُبِّرَ (٢) فَاحْتَجَّ فَآخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ
مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي ؟ فَاشْتَرَاهُ نَعِيمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِكَذَا فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ) (٣)

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن سلمة الانصارى
السلمى يكنى ابا عبد الله و ابا عبد الرحمن و ابا محمد احد
المكثرين عن النبى صلى الله عليه وسلم و روى عن جماعه من
الصحابه وله ولابيه صحبه .

قال جابر لم اشهد بدرا ولا احدا منعنى ابى فلما قتل لم اتخلف
عن هشام بن عروة قال كان لجابر بن عبد الله حلقة فى المسجد
يعنى النبوى يؤخذ عنه العلم قال يحيى بن بكير وغيره مات جابر
سنة ثمان وسبعين وقال على من المديني مات جابر بعد ابن عمر
فاوصى ان لا يصلى عليه الحجاج .

الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٥ .

(٢) المدبر : الذى يصير حرا بعد وفاة مالكة ج ٤ ص ٣٥٤ فتح
البارى .

(٣) ١ خرجه البخارى كتاب البيوع باب بيع المزايدة ، ج ٣ ص ٩١ .



٢٢٢٤

عن عروة بن الزبير (١) ان عائشة رضى الله عنها زوج النبی صلی الله عليه وسلم قالت (واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبؤ بكر رجلاً من بنى الدبيل هادياً خريئاً (٢) وهو على دين كفار قريش فدفعاً إليهما راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال برأحلتيهما صبح ثلاث) (٣)

قوله فدفعاً اليه راحلتيهما : أى بتسليمه راحلتيهما منهما (٤)

الحديث الثالث :-

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه دفع مع النبی صلی الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبی صلی الله عليه وسلم وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للابل فأشار بسوطه إليهم وقال أيها الناس عليكم

(١) عروة بن الزبير : بن العوام بن خويلد ابو عبد الله المدني وامه اسماء بنت ابي بكر وخالته عائشة رضى الله عنها . ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من اهل المدينة وقال كان ثقة كثير الحديث فقيها عالما ثبتا مامونا وقال العجلي مدنى تابعى ثقة وكان رجلاً صالحاً وكان يدخل فى شيء من الفتن وعده ابو الزناد فى فقهاء المدينة السبعة وكان اعلم الناس بحديث عائشة رضى الله عنها .

ولد لست خلون من خلفه عثمان رضى الله عنه وقال المدينى مات سنة احدى او اثنتين وتسعين وقيل غير ذلك .

تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٨٣ .

(٢) الخريت : الماهر بالهداية ، فتح البارى ج ٤ ص ٤٤٣ .

(٣) أخرجه البخارى كتاب الاجاره ج ٣ ص ١١٦ باب اذا استأجر اجيراً ليعمل له بعد ثلاثة ايام او بعد شهر او بعد سنة جازوما على شرطهما الذى اشترطاه اذا جاء الاجل .

(٤) فتح البارى ج ٤ ص ٤٤٣ .

بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ دَفْعَ بِمَعْنَى أَفَاضَ وَاسْرَعَ .
الحديث الرابع :-

عن عطاء بن يسار (١) قال : لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ : أَخْبَرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ قَالَ : أَجَلَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحَرَزًا لِلْأَمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيَّتْكَ الْمَتَوَكِّلُ لَيْسَ بِفُظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى تُقِيمَ بِهِ أَلَمَةَ الْعَوْجَاءِ بَأَن يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا (٢) .

فهنأ وردت لفظة دفع بمعنى أنها مثير على فعل الخير فلا يدفع السيئة بالسيئة بل بالحسنة وهذا خلقه صلى الله عليه وسلم .
رابعاً معنى الدافع لدى علماء النفس :-

لقد وردت عدة تعريفات للدافع لدى علماء النفس سأستعرضها لنخرج من مجموعها الى تعريف يجمع هذه التعريفات :-

(١) عطاء ابن يسار : الهلألى ابو محمد القاضى مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . وهو اخو سليمان وعبد الملك وعبد الله بن يسار . قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث روى الواقدى انه مات بعد ثلاث أو أربع ومائة وقيل (٩٤) . وقيل غير ذلك وذكره ابن حبان فى الثقات وقال قدم الشام وكان اهل الشام يكنونه بابى عبد الله وقدم مصر وكانوا يكنونه بابى يسار وكان صاحب قصص وعبادة وفضل وكان مولده سنة (١٩) ومات سنة (١٠٣) وكان موته بالاسكندرية .

تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢١٧ وانظر ايضا تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٠ .

(٢) أخرجه البخارى كتاب البيوع . باب كراهية السخب فى الاسواق ج ٣ ص ٨٧

التعريف الأول للدوافع :-

فالدافع هو الذى يحرك الانسان بمثير ذاتى داخلى او خارجى ليقوم بنوع معين من السلوك مدة محدودة حتى اذا تم اشباع الحاجة الدافعة زال التوتر النفسى وعاد الدافع الى مرحلة (الكمون) الى اجل يستأنف بعده الدافع توتره الجديد سعيا وراء اشباع جديد وهكذا تتكرر المحاولة ما دام الانسان حيا .

فالدوافع هى اساس الحياة النفسية للانسان وومصدرها والدافع فى ابسط مفاهيمه (طاقة جسمية نفسية كامنة على شكل استعداد يدفعنا نحو سلوك معين يهدف الى غاية مثل دافع الجوع والظما لتناول الطعام والماء ودوافع الجنس نحو لقاء الجنس الآخر ودافع الخوف لطلب الانسان وغيرها) . (١) .

التعريف الثانى :

(الدوافع هى الطاقات التى ترسم للكائن الحى اهدافه وغاياته لتحقيق التوازن الداخلى او تهيه له احسن تكيف ممكن من البيئة الخارجية) (٢) .

التعريف الثالث :

(الدوافع هى المحاور التى تدور حولها عملية اعادة تنظيم النشاط تنظيما جديدا .

وهى ايضا عوامل التغيير اذ انها تكسب العادات القديمة اتجاهات جديدة وتغير من صفاتها) (٣) .

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم للهاشمى ص ١٠٢ .

(٢) علم النفس التربوى ص ٧٢ تأليف د. محمد مصطفى زيدان ، د. نبيل السمالوطى - دار الشروق جدة .

(٣) الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى - جون ديوى - ص ١١٦ .

التعريف الرابع :

(حب الحياة والاستمتاع بها هو الدافع الاكبر فى الكيان البشرى
والمحرك الاكبر لما يصدر عنه من نشاط) (١)

التعريف الخامس :

الدافع هو كل ما يدفع الفرد انسانا كان ام حيوانا الى
التماس اهداف طبيعية موروثه اى مقررة من قبل فى فطرته مغروزة فى
جهازه العصبى لذا تسمى الدوافع الفطرية (بالغرائز) . (٢)

ومن التعريف يبدو شمول الدافع لدى الانسان والحيوان .
ثم ان الدافع هو الذى يدفع الانسان الى الوصول الى اهدافه
الفطرية اذن هو يفرق بين الهدف والدافع فالدافع غير فطرى وهو
المحرك لاكتساب امور واهداف فطرية ملموسة بين الانسان والحيوان .
التعريف السادس :

الدافع الفطرى بوجه عام قدوة كان ام سلوكا ام دافعا هو ما
ينتقل عن طريق الوراثة فلا يحتاج الى تعلمه واكتسابه والدافع
الفطرى فى صورته النقية وبمعناه الدقيق عند الانسان على الاقل هو
ما كانت مشيراته فطرية وهدفه فطريا (٣) .
وفى هذا التعريف نرى ان الدافع امر فطرى ونلمس ايضا من
التعريف لفظ مشير كانه اراد به (دافع ويرى ايضا ان الهدف لا بد
وان يكون فطريا ايضا .

(١) دراسات فى النفس الانسانية - محمد قطب - ص ١٦٤ .

(٢) علم النفس العام - احمد عزت - ص ٨٥ .

(٣) نفس المصدر - ص ٥٨ .

التعريف السابع :

(يرى فرويد (١) ان الدوافع (تمثيل ميلا فى المادة الحية الى استرجاع حالة سابقة) وهو يسلم بانها كمية من الطاقة متحركة فى اتجاه معين) (٢) .

وعلى هذا فالدافع امر مشترك بين الانسان والحيوان لقوة المادة الحية - اى الكائن الحى .

وهى يرى ان الدافع قوة فى الغرائز لاستعادة نشاطها السابق . ثم هو يربط بين الجانب النفسى والمنبهات والمثيرات فيبرز الدافع من المجال النفسى الى الكائن العضوى .

(١) فرويد : سيجموند فرويد : وقد ولد فى فرايبورج بمورفيا عام ١٨٥٦ ولما بلغ الثالثة من عمره انتقل والداه الفقيران الى فيينا وهناك تدرج فى تعليمه الى ان اتم دراسة الطب وقد عمل فى مجال الامراض العصبية ولكنه بعد زيارة قام بها لعيادة الطب النفسى يشاركوت فى باريس " قرر ان يهجر دراسة المخ ويبحث فى خفايا العقل بدلا منه . ونتيجة لهذا التحول امضى فرويد باقى حياته المهنية وهو يحاول تطوير ما نعرفه اليوم باسم التحليل النفسى .

وبعد ان تعرض فرويد للاضطهاد هجر فيينا فى عام ١٩٣٨ وقصد الى لندن حيث توفى بها فى العام التالى .

المعرفة ج ٧ ص ١١٦٧ .

اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة . د. محمد فؤاد ابراهيم
د . حسين فوزى . د . سعاد ماهر . د. محمد جمال الدين الفندى
انتاج ١٩٧٩ شركة انماء للنشر والتسويق بنزرت مطبعة داغر

(٢) كتاب التحليل النفسى والسلوك الجماعى - ترجمة سامى محمود على

- تأليف سول شيد لتجر - ص ٢٣ .

(ولهذا فهو يرى أن الغريزة (١) تعبر عن قوة نفسية راسخة تصدر من صميم الكائن العضوى وتتبع اصلا من حاجات البدن التى تأتى عما يجرى فى اعضاء الجسم واجزائه بما فيه كله من عمليات بيولوجيه لا يستغنى عنها الكائن الحى) (٢) .

التعريف الثامن :

الدافع هو قوى فطرية أودعها الله فى جسم الانسان فتسوقه بحركة داخلية ذاتيه الى المحافظة على بقاءه وبقاء سلالته فهى نزعات للفطرة ومردّها الى ثلاث نزعات :

النزعة الى طلب الطعام والشراب - النزعة الى قضاء الوطر - النزعة الذاتية . (٣)

التعريف التاسع :

الغريزة هى عبارة عن استعداد فطرى لا يحتاج الى تعلم يدفع الكائن الحى الى القيام بسلوك خاص فى موقف معين (٤) ويرى الكاتب أن الغريزة يثيرها منبه خارجى يؤدى بها الى الظهور بعد الكمون وأن هذه الغرائز موجودة فى الانسان منذ المولد

(١) ومن الملاحظ أن الدافع بمعنى الغريزة . فالبعض يسميها غرائز والبعض الآخر دوافع .

(٢) علم النفس اصوله وتطبيقاته التربوية د . مصطفى فهمى من ص ١ : ٧٠ بتصرف .

(٣) الخلق الكامل - محمد جاد المولى - ص ٣٤ - ص ٣٥ ج ١ مؤسسة الرسالة دار قتيبه .

(٤) علم النفس اصوله وتطبيقاته - مصطفى فهمى - مرجع سابق - ص ٩

التعريف العاشر :

ونرى هذا التعريف مطابقا لما جاء فى كتاب اسس الصحة النفسية حيث يقول القوصى :

الغرائز عند الانسان هى ما لديه من استعدادات فطرية تدفعه للقيام بسلوك خاص اذا ما أدرك نفسه فى موقف او مجال معين (١)

فاذن فالمواقف الخارجية هى التى تحرك فى الانسان الشعور الدفين فى الغرائز .

التعريف الحادى عشر :

ويرى مك د وجل (٢) أن الغريزة هى استعداد نفسى فطرى يجعل صاحبه يدرك مثيرا معيناً ويعانى خبرة انفعالية خاصة عند ادراك هذا الممثير او يسلك نحوه مسلکا خاصا او على الاقل يحس بنزعه نحو هذا السلوك (٣)

اذن فالغريزة فى نظر مك د وجل قوى فطرية تتحرك على اثر منبه خارجى تؤدى به الى ميل نحو تحقيق غريزة وهدف فطرى فى مجال معين وهذه الغريزة لا يكتسبها الفرد من بيئته وانما هى توجد فيه بالفطرة .

(١) اسس الصحة النفسية - د. عبد العزيز القوصى ص ٦٩ - مكتبة النهضة المصرية .

(٢) مك د وجل : هو وليم مك د وجل ولد عام ١٨٧١ وتوفى عام ١٩٣٨ م وهو عالم اسكتلندى فى علم النفس النزوعى فهو من انصار المدرسة الغرضية ويطلق هذا الاسم على كل مدرسة او مذهب ينكر ان السلوك يمكن تفسيره كاملا على اسس ميكانيكية .

اصول علم النفس / احمد عزت راجح ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) علم النفس اصوله وتطبيقاته التربوية " مرجع سابق " ص ٨ بتصرف .

التعريف الثانى عشر :

(الدوافع هى القوى المحركة التى تبعث النشاط فى الكائن الحى وتبدىء السلوك وتوجيهه نحو هدف أو أهداف معينة .

والدوافع تؤدى وظائف ضرورية وهامة للكائن الحى فهى التى تدفعه الى القيام باشباع حاجاته الاساسية الضرورية لحياته وبقائه كما تدفعه الى القيام بكثير من الافعال الاخرى الهامة والمفيدة له فى توافقه مع البيئة التى يعيش فيها) (١) .

وبهذا العرض لمعنى الدافع لدى علماء النفس يتضح لنا ما يلى

- ١ - ان الدوافع الفطرية امر مشترك وعام بين الانسان والحيوان
- ٢ - يرى بعض العلماء انها تظهر بصورة تلقائية بينما يرى البعض الاخر انه لا بد من مثير لكى تظهر هذه الدوافع .
- ٣ - على ان العلماء يرون ان هذا المثير لا بد وان يكون داخليا بينما يرى البعض الاخر انه قد يكون خارجيا .
- ٤ - واهم ما يتفق عليه العلماء ان الدافع لا بد وان يكون موجودا فى النفس منذ الميلاد اى قبل ان يستفيد الانسان من الحياة .
- ٥ - وهذا يتفق مع ما جاء فى الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ** (٢) فهذا يدل على ان الاسلام قد اوضح ان هناك دوافع اولية تولد مع الانسان وهى المسماة الفطرية ودوافع مكتسبة يكتسبها من البيئة

-
- (١) القرآن وعلم النفس - د. محمد عثمان نجاتى - ط١ ص ٢٣ .
- (٢) أخرجه البخارى واللفظ له كتاب الجنائز باب اذا اسلم الصبى فمات هل يصلى عليه ج ٢ ص ١١٨ وكتاب القدر باب الله اعلم بما كانوا عاملين ج ٨ ص ١٥٣ وأخرجه مسلم كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ج ١٦ ص ٢٠٧ بشرح النووى وأخرجه احمد ج ٢ فى ٣١٥ - ٣٤٦ .

المحيطة به ولذا قال يهودانهاؤ وينصرانه او يمجسانه .

ويمكن ان نقول ان الدوافع بشكل عام :

تكون نتيجة لكوامن فى النفس تتحرك لتحقيقها فالعقل يوجه الى تنظيمها وفق ضوابط استقرت فى النفس على اساس متين من المثل والقيم . فاذا استجاب الدافع لتوجيه العقل كان الفعل القائم نتيجة للواقع مثاليا واذا لم يستجب لتوجيه العقل كان العقل شاذا بهيميا لذا وجدنا ان الاسلام لم يفرق بين العقل والفطرة السليمة لان العقل لا يخالف الفطرة السليمة وكذلك الفطرة السليمة لا تخالف العقل الا بمؤثر خارجى ومما يوضح هذا القول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرِ فَبُؤَاهُ يَهُودَانِهِ وَيَنْصَرَانِهِ أَوْ يُمَجْسَانِهِ ، كَمَا تَنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تَحْسُونُ فِيهَا مِنْ جَذَعَاءٍ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ . (١)

فالاصل فى الفطرة السلامة التى تكون فى كوامن النفس البشرية فتتحرك الدوافع وتنضبط بالمؤثرات الخارجية فالإيمان ضابط ودافع خارجى فهو ضابط عن الكفر وسائر المعاصى ودافع الى الالتزام بما يحق معناه كامل ليحقق الغرض منه وهو موافقة العقل بما يحقق مرضاة الله التزاما بالمثل والأخلاق .

ونخلص من هذا البحث الى ان الدوافع كلفظ ورد معناه فى اللغة وفى القرآن وفى السنة وفى علم النفس والاجتماع على ما يلى :

لقد وردت كلمة دافع فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ونجد ان اللفظة تستخدم عدة استخدامات فتارة تاتى متعدية بالى كما فى

(١) سبق تخريجه ص ١٨ .

قوله تعالى (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ) (١) أو عن مثل قوله (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) (٢) وتارة متجده عن الى مثل (لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ) (٣) . أو (أَدْفَعُوا) (٤) - (دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) (٥) - (ادْفَع) (٦) - (دَافِعٍ) (٧)

وللعلماء فى تفسير دفع فى الآيات الكريمة معانٍ متقاربة مع علماء اللغة ومنه قولهم دفع الله ردهم بقوة سواء بتشريع القتال كما ذهب لذلك بعض علماء التفسير أو بغيره وهو مثل قول علماء اللغة الدفع الازالة بقوة وقد تأتى بمعنى التكافل الاجتماعى والحاجات فقد جعل الله كلا يحتاج الى غيره بجعل المصالح مشتركة بينهم . وهى بمعنى الحاجات التى تكون سببا فى تحرك الدافع كما يراها علماء النفس .

وقد تأتى بمعنى القوة أو التسلط أو بمعنى الكف والمنع أو الرد مثل قوله تعالى : (ما له من دافع) و (يدافع) (دفع الله) أى لا راد له .

وتأتى بمعنى المزاحمة فيقال تزاخم القوم أى تدافعوا ومنه قوله تعالى (أو ادفعوا) أى كثروا سواد المسلمين بالمزاحمة فالمزاحمة تدل على الكثرة وتأتى بمعنى المراقبة .

أما إذا عدى الدفع بالى فيقول علماء التفسير فى قوله : (دفعتم إليهم) أى سلمتم وهو مذهب علماء اللغة أيضا وذلك ان الدافع اذا عدى بالى اقتضى معنى التسليم والأمانة .

-
- (١) سورة النساء آية : ٦ .
 (٢) سورة الحج آية : ٣٨ .
 (٣) سورة البقرة آية : ٢٥١ .
 (٤) سورة آل عمران آية : ١٦٧ .
 (٥) سورة النساء آية : ٦ .
 (٦) سورة المؤمنون آية : ٩٦ .
 (٧) سورة الطور آية : ٨ .

أما قوله تعالى : (ادفع) فهذا يأتى بمعنى الصرف ازالة الضرر برفق ولين وهكذا .

وفى اللغة معالٍى لم ترد فى كتاب الله عن الدافع كأن يكون الدافع سببا وهو المعنى الذى استعمله علماء النفس فى تعريف الدافع . وكذا تاتى بمعنى اولع به وانهمك فيه .

وتستعمل فى الاضداد كأن يقال هذا رجل (لا يدافع) فى نسبه اى شريف (ومدافع) اى حقير او فقير وهو مجاز ونأتى بمعنى السرعة والطلب . وأما علماء النفس فيرون أن الدافع هو المحرك والطاقة والمحاور التى تكون سببا فى اشارة الرغبات فى الانسان ومن أجل ذلك حبيب الله الينا الدنيا وزينها فى نفوسنا لكى يكون ذلك دافعا لنا من أجل البقاء .

ونستطيع ان نخلص الى القول بأن الدوافع هى :-

الحوافز والمحركات لرغبات الانسان بحيث تنثير فيه القوة الكامنة للقيام بعمل ما سواء للبحث عن الطعام او الجنس او الدفاع عن النفس ما أمكن بما يحقق قضية الاستخلاف فى الارض والتى من أجلها انزل ادم الى الارض فقال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (١) .

الفصل الثاني

أقسام الدوافع

© 2006 The Authors
Journal compilation © 2006 Blackwell Publishing Ltd

- _____

100% 99% 98% 97% 96% 95% 94% 93% 92% 91% 90% 89% 88% 87% 86% 85% 84% 83% 82% 81% 80% 79% 78% 77% 76% 75% 74% 73% 72% 71% 70% 69% 68% 67% 66% 65% 64% 63% 62% 61% 60% 59% 58% 57% 56% 55% 54% 53% 52% 51% 50% 49% 48% 47% 46% 45% 44% 43% 42% 41% 40% 39% 38% 37% 36% 35% 34% 33% 32% 31% 30% 29% 28% 27% 26% 25% 24% 23% 22% 21% 20% 19% 18% 17% 16% 15% 14% 13% 12% 11% 10% 9% 8% 7% 6% 5% 4% 3% 2% 1% 0%

(١) علم النفس المعاصر في ضوء الاسلام - محمد محمود محمد - ص ١٣٦.

(١) الدوافع الفسيولوجية وتسمى بالدوافع الاولى :
وهى الدوافع التى ترتبط بحاجات البدن الفسيولوجية وما يحدث
فى انسجة البدن من نقص أو اختلال الاتزان وهى تقوم بتوجيه سلوك
الفرد الى الاهداف التى تشبع حاجات البدن الفسيولوجية أو تسد
النقص الذى يطرأ على انسجة البدن وتعيدها الى حالتها السابقة من
الاتزان .

(٢) دوافع نفسية :
وهى الدوافع التى تكتسب بالتعلم اثناء التنشئة الاجتماعية
للفرد (١) وتسمى بالدوافع المكتسبة أو الثانوية .
فاذن الدوافع قسما ان الفطرية (الاولى) - الدوافع المكتسبة
(الثانوية) (٢) .

ثانيا : انواع الدوافع :-

لقد قسم العلماء كلا من الدوافع الاولى والدوافع الثانوية الى
عدة انواع يرجع كل نوع الى خصائصه التى جعلته يكتسب صفته الاولى
او الثانوية فعن الدوافع الاولى نجد ان بعض العلماء قسمها الى
عدة انواع :
اولا انواع الدوافع الاولى :-

(١) دوافع تكفل المحافظة على بقاء الفرد - وتسمى بالحاجات
العضوية او الفسيولوجية (٣) .

(١) القرآن وعلم النفس - محمد عثمان نجاتى ص ٢٣ "مرجع سابق "
(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام د . محمد محمود محمد ص ١٣٧
. وانظر ايضا علم النفس اصوله وتطبيقاته التربوية د. مصطفى
فهمى ص ٨٥ .

(٣) علم النفس العام - د. احمد عزت " مرجع سابق " ص ٨٨

وشمل هذا الدافع الجوع ، العطش ، التعب ، الحرارة ، البرودة ،
الآلم والتنفس (١) والنوم .

(٢) دوافع تكفل المحافظة على بقاء النوع وهى الدافع الجنسي دافع
الامومة (٢) وهذان النوعان يتوقف عليهما بقاء النوع . (٣) .
(٣) دوافع الطوارئ : وهى دوافع وثيقة الصلة بالمحافظة على بقاء
الفرد وبقاء النوع وهى دافع الهرب ودافع المقاتلة (٤) وهذه
الدوافع مدخرة لوقت الحاجة حيث تظهر فى وقت الخوف او الدافع
عن النفس او نحوه .

(٤) دوافع تمكن الفرد من التعرف على البيئة وتساعد على اعداد
نفسه للحياة كدافع الاستطلاع ودافع اللعب . (٥)
وسأعرض لبعض هذه الدوافع ان شاء الله فى فصل الدوافع
وموقف القرآن منها .

ثانيا : اقسام الدوافع المكتسبة :-

وهى التى تنشأ من اثر محاولة تكيف الانسان مع بيئته .
فيقول الدكتور : احمد عزت راجح (لا بد وان يعدل الانسان من سلوكه
الفطرى بما يتفق ونظم وقوانين وعادات وتقاليده وقيم وعرف ذلك
المجتمع الذى يعيشه (٦) .

-
- (١) القرآن وعلم النفس / محمد عثمان نجاتى ص ٢٥٠ . وانظر ايضا
علم النفس العام - احمد عزت ص ٨٨ .
 - (٢) علم النفس العام / احمد عزت ص ٨٨ .
 - (٣) القرآن وعلم النفس د. نجاتى ص ٣٤ .
 - (٤) علم النفس العام - احمد عزت ص ٨٨ .
 - (٥) نفس المرجع ٨٨ ص
 - (٦) اصول علم النفس - احمد عزت راجح ص ١٠٩ " بتصرف " .

وهذا القول باطل نظرا لانه ينبغي للمسلم ان يجعل سلوكه ومنهجه مستخلصا من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبهذا تنشأ الدوافع المكتسبة .

اذن فالدوافع المكتسبة تنشأ كنتيجة لوجود الفرد فى البيئة التى يعيشها ومحاولته التكيف مع نظمها فيعدل بالتبعية من دوافعه الفطرية وينظمها تنظيما خاصا فتتكون الدوافع المكتسبة الشعورية . واحيانا يصطدم الفرد بالبيئة وهو بصدد اشباع دوافعه وعندئذ يحدث صراع بينه وبين بيئته هذا الصراع قد يؤدى به الى كبت دوافعه فى اللاشعور ومن هنا تتكون الدوافع المكتسبة اللاشعورية (١)

اذا الدوافع المكتسبة :-

١ - دوافع مكتسبة شعورية

٢ - دوافع مكتسبة لا شعورية .

فهذا التقسيم للدوافع المكتسبة من الناحية النفسية الا ان نجد من يقسمها من ناحية ارتباطها بالمجتمع لذا فهى تقسم من هذه الناحية الى ثلاثة اقسام وهى :-

١ - دوافع اجتماعية عامة .

٢ - دوافع اجتماعية حضارية .

٣ - دوافع اجتماعية فردية . (٢)

اولا الدوافع الاجتماعية العامة :-

وهى من الدوافع القوية لدى الانسان وهذا الدافع يبدو فى ميل الانسان الى العيش فى جماعات والى الاجتماع ببني جنسه والاشتراك معهم فى اوجه نشاطهم وفى شعوره بالضيق والوحشة ان حيل بينه وبين ذلك (٣) .

(١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - ص ١٤٦ . محمد محمود محمد

(٢) اصول علم النفس - احمد عزت راجح - ص ٩٢ - ط ٩ عام ١٩٧٣ .

(٣) اصول علم النفس - احمد عزت راجح ص ١٠٩ .

ويسمى هذا الدافع الدافع الى الانتماء وهو من الدوافع الأساسية للنمو النفسي والنمو الاجتماعى السوى السليم (١) وهن ان يشعر الفرد بانه ينتمى الى اسرة وينتمى الى جماعة من الاصدقاء او ان ينتمى الى وطن معين ويعتز بانتمائه لهذه الجماعات واذا شعر الطفل او الفرد بعدم انتمائه للأسرة او الجماعة للاعتراه القلق والضيق والحزن لان الانسان اجتماعى بطبعه ويفضل ان يعيش مع الجماعة (٢) . وهذا الدافع له دوره فى البناء على هذه البسيطة وذلم لتحقيق مبدأ الاستخلاف فى الأرض فاذا تكونت الجماعة قامت بهم الأمة ويتحقق بهذا الدافع بناء الأسرة المسلمة عن طريق التزاوج ليتم انتماء الاشخاص الى الأسرة .

ويشمل هذا الدافع دافع المحاكاة - والاستغاثة .

فالمحاكاة شائعة بين الأطفال والكبار بين الافراد وبين الأمم . ودافع الاستغاثة دافع اجتماعى يثيره فشل دافع المقاتلة وحاجة الفرد الى المعونة فهو يقوم على عجز الانسان وقلة حيلته (٣) . ان الدوافع الاجتماعية المثير لها رؤية الناس والهدف تحقيق المشاركة مع الناس لما له من الأثر على الفرد فى بناء شخصيته .

ثانيا : الدوافع الاجتماعية الحضارية :-

وتشمل دافع السيطرة والعدوان ودافع التملك .

ويبدو دافع السيطرة فى ميل الفرد الى الظهور والتفوق والغلبة والتزعم ويرى مك دو جل مؤسس المدرسة النزوعية فى علم النفس ان دافع السيطرة دافع فطريا . وذهب "دلر" مؤسسه مدرسة علم النفس الاجتماعى الى ان السيطرة اقوى غرائز الانسان .

(١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - محمد محمود محمد ص ١٤٩

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - محمد محمود محمد ص ١٤٩

"بتصرف" .

(٣) اصول علم النفس - احمد عزت راجح ص ١١١

غير أن هذا الدافع ليس دافعا فطريا إذ أنه اثبتت البحوث (الانثروبولوجية) أن دافع السيطرة لا اثر له فى الشعوب والقبائل البدائية كقبيلة " ارابشى " (١) .

فمن الملاحظ ان بعض المجتمعات تشجع دافع السيطرة لدى الافراد وتعمل على تنميته خلال عملية التطبيع الاجتماعى فيما نجد مجتمعات اخرى تشجع الميل الى الخضوع والمسالمة (٢) فالهدف من السيطرة هو تحصيل مكانة مرتفعة داخل الجماعة (٣) .

اما غريزة العدوان :

ويظهر هذا الدافع فى سلوك الانسان العدوانى تجاه الآخرين بهدف الحاق الاذى بهم (٤)

ويرى فرويد منشئ مدرسة التحليل النفسى (أن العدوان ينشأ من كبح الميول الجنسية وكبتها وانه استعداد غريزى قائم بذاته لدى الانسان اى أنه مغروز فى فطرة ابن آدم حتى وان لم يعتد عليه معتد ، فالانسان يكره اخاه بلفطره ، ووراء المحبة الظاهرة بين الناس عدااء كامن مستور وليست طيبة الانسان الا وهما وخرافة . فالظلم من شيم النفوس .

غير أن البحوث السيكلوجية (٥) والانثروبولوجية (٦) فندت هذا الراى فقد دلت البحوث التجريبية ان العدوان غالبا ما يكون نتيجة لاحباط شديد يصيب دوافع الفرد .

-
- (١) اصول علم النفس د. احمد عزت راجح ص ١١٢ .
 - (٢) الحياة النفسية د. محمد فرغلى فراج - دار الثقافة للنشر ص ٣٥ .
 - (٣) علم النفس الاجتماعى - حامد عبد الله زهران وآخرون ص ١١٨ .
 - (٤) القرآن وعلم النفس ط١ . نجاتى ص ٤٤١ - مرجع سابق .
 - (٥) السيكلوجية : علم النفس انظر ص ٦١ من معجم المصطلحات النفسية .

(٦) الانثروبولوجية : علم نشؤ الانسان معجم المصطلحات النفسية والتربوية اعداد د . مصطفى زيدان دار الشروق - جده ص ١١ .

وكشفت البحوث الانثربولوجية أن العدوان بالمعنى الذى يراه فرويد لا أثر له فى بعض القبائل مثل قبيلة ارابش (١) .
وسأشير فى فصل موقف القرآن من الدوافع ان شاء الله الى غريزة العدوان وكيف وجهها الاسلام حتى اصبحت محبة وأمن وسلام فى المجتمع المسلم .

ثالثا : دافع التملك والادخار :-

(دافع التملك من الدوافع النفسية التى يتعلمها الانسان أثناء تنشئته الاجتماعية فالانسان يتعلم من الثقافة التى ينشأ فيها ومن خبرته الشخصية حب لامتلاك المال والعقارات والأراضى والممتلكات المختلفة التى تشعره بالأمن من الفقر وتمده بالنفوذ والقوة فى المجتمع (٢) .

إذا فالهدف من التملك هو الأمن من الفقر وتهيئة النفوذ ثم المكانة والجاه والسلطان الذى يتحقق لذى وجود المال والذى يثير هذا الدافع وجود المال ووجود ما يدخر من العقار والطعام ونحوه .
" ويعتبر مكّد وجل أن هذا الدافع غريزة فطرية ، غير أن البحوث الانثربولوجية دلت على أن هذا الدافع لا وجود له فى بعض المجتمعات ففى جزر (الملانيزيا) تنص المبادئ على أن جميع ما تخرجه الأرض من زرع أو ما يخرج البحر من صيد وما يصنعه الأفراد لأنفسهم من أدوات واسلحة كل أولئك يقسم بينهم جميعا فلا خوف من الفقر و لا داعى لجمع الثروة . (٣)

(١) ارابشى هى احدى الشعوب غنيا الجديدة ، انظر اصول علم النفس ، أحمد عزت ص ٨٦ ط ٩ .

(٢) القرآن وعلم النفس - عثمان نجاتى - ص ٣٩ .

(٣) اصول علم النفس - أحمد عزت راجح " مرجع سابق " ص ١١٥ .

اذن الدوافع المكتسبة ظاهرة اجتماعية بحتة وهى لعدد كبير من العوامل الاجتماعية بقدر توفر موارد الرزق واخذ المجتمع باسباب الحضارة والمدنية .

وهكذا يتبين ان الميل الى التملك دافع مكتسب يكتسبه الفرد من البيئة وينمو معه بحسب ظروف المجتمع الذى يعيش فيه . (١)

رابعاً : دوافع اجتماعية فردية :-

وتشمل الدوافع التى يتميز بها الافراد بعضهم عن بعض حتى فمن ينتمون الى حضارة واحدة . فقد يكتسبها بعضهم نتيجة لخبرته الخاصة ولا يكتسبها البعض الآخر . هذا يميل الى القراءة وذاك الى الرسم هذا يميل الى النشاط الاجتماعى والآخر يميل الى النشاط الرياضى وهكذا . (٢)

اذن العوامل المؤثرة فى هذا الدافع هو الاتجاهات والعواطف وايضا الاتجاه النفسى لذا سوف اعرف كلا منهما على حده .

الاتجاهات والعواطف وهى تتكون من تكرار اتصال الفرد بموضوع الاتجاه والعاطفة فى مواقف مختلفة ترضى فيه دوافع مختلفة وتثير فى نفسه مشاعر سارة لذيدة او تحبط لديه بعض الدوافع وتثير فى نفسه مشاعر منافرة مؤلمة .

تعريف الاتجاه النفسى :-

الاتجاه النفسى استعداد وجدانى مكتسب ثابت نسبيا يحدد شعور الفرد وسلوكه نحو مواصفات معينة ويتضمن حكماً عليها بالقبول او الرفض . (٣)

(١) علم النفس الاجتماعى د. حامد عبد السلام زهران ط٤ - عالم الكتب - ١٩٧٧ م ص ١١٩ .

(٢) اصول علم النفس العام - احمد عزت راجح ص ١٢٢ - ص ١٢٤ "بصرف" .

(٣) اصول علم النفس العام - احمد عزت راجح ص ١٢٢ - ص ١٢٤ "بصرف" .

فالدوافع المكتسبة الشعورية :-

وهي عبارة عن حاجات نفسية يحتاجها الانسان لحفظ بقاءه
السيكولوجى بمعنى ان صلتها بالتطوين النفسى اوثق من صلتها
بالتكوين العضوى . وهناك العديد من الدوافع النفسية المكتسبة
فمنها مثلا :

الدوافع الى الحب والحنان :

ان الدوافع الى الحب ذا جذور عميقة فى حياة الانسان ويؤكد
علماء النفس الاهمية البالغة لهذه العاطفة المتبادلة بين الطفل
وامه على مستقبل شخصيته وصحته النفسية .

(لكى يشبع الطفل دافع الحب والعطف والحنان ينصح رجال الصحة
النفسية بالآ يحرم الطفل من ثدى امه ومن حمله الى صدرها) (١)
وسأشير ان شاء الله الى موقف الاسلام من دافع الحب ونعرض مثالا
لهذا الدافع فى القرآن الكريم .

الدافع الى الامن :

يظهر هذا الدافع فى مظاهر عدة ، والخوف هو اهم تلك المظاهر
على الاطلاق (٢) .

وهذا الدافع له دور عظيم فى قضية الاسخلاف اذ انه وراء العمل
المستمر خوفا من الغد ليجمع قوته فتطمئن نفسه الى تهيئة اسباب
العيش والراحة .

وهو ايضا وراء تقويم سلوك الفرد خاف الانسان من العقوبة فى
الدنيا استقام سلوكه ولم يفكر فى معصية واذا خشى الآخرة وعذابه فى
النار كان هذا دافعا له الى العمل للآخرة حتى يفوز بها وينجو

(١) علم النفس العام - احمد عزت راجح ص ١٢٢ - ص ١٢٤ بتصرف

" مرجع سابق " .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٣ .

مما يخاف من عذاب النار (ويسعى الفرد الى انه لن يتهده الخطر
وانه لن يجد نفسه فى لحظة من اللحظات لا يجد المأوى والطعام ا و

المكانة الاجتماعى (١)

الدوافع المكتسبة اللاشعورية :-

• الدافع اللاشعورى هو الذى لا يشعر الفرد بوجوده وطبيعته
اثناء قيامه بالسلوك وتؤثر هذه الدوافع اللاشعورية فى سلوك الانسان
بطريقة خفية فىكون فى اغلب الاحيان غير واع للدوافع المحركة
لسلوكه (٢) .

يظهر مما سبق ان علماء النفس المسلمين والمعاصرين قد كتبوا فى
اقسام الدوافع ومن الملاحظ انهم لم يختلفوا فى تقسيمها الى قسمين
كبيرين وهى دوافع اولية - ودوافع مكتسبة .

ومن الملاحظ ايضا ان الدوافع الفطرية تسمى اصلية واولية
بينما الدوافع المكتسبة تسمى فرعية وثنائية .

الا ان الباحث فى هذا الامر يجد ان الاختلاف ينصب على انواع هذه
الدوافع فبينما نجد ان الدوافع الاولى قسمت الى ٣٢ نوعا فانا نرى
ان البعض يصل الى ٤٢ غريزة وهكذا . الا اننا لو امعنا النظر
لوجدنا ان هذه الدوافع وان تباين تقسيمها لدى العلماء فهى لا تخرج
عن اما ان تكون دوافع اولية تعمل على الاحتفاظ بالكيان العضوى
للشخص كالاكل والشرب واخراج الفضلات ونحوها مما عدها وليم جيمس

(١) الحياة النفسية د. محمد فرغلى فراج - دار الثقافة للطباعة

والنشر ١٩٨٠ - ص ٣٤ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام د. محمد محمود محمد ص ١٥٦

وانظر ايضا علم النفس التربوى - احمد زكى صالح ص ٨١٤ ط ١٢

- مكتبة النهضة المصرية .

انواعا خاصة فهي ترجع الى هذا القسم من الدوافع فالخوف غريزة تظهر فى الانسان منذ الولادة اى انه غريزة فطرية هدفها فطرى ايضا وهو المحافظة على الكيان العضوى للشخص وكذا بالمنسبة للابتسام فهو فطرى فى النفس الانسانية يظهر منذ الميلاد تماما كبحت الرضيع عن ثدى امه .

اما شورنديك (١) فقد اضاف البلع والاكل والمقاتلة والتشاؤب والسعال مما لا يخفى تعلقه بالدوافع الاولى التى تعمل على الاحتفاظ بالكيان العضوى للشخص .

اما مكدوجل فقد اضاف الهجرة والنوم فالهجرة محافظة على بقاء النوع البسرى والنوم محافظة على بقاء الكيان العضوى للشخص فلا يخفى تعلقها بالدوافع الاولى .

مميزات الدوافع الفطرية :

١ () ان اشباعها يأتى فى المقام الأول لأن عدم اشباعها قد يؤدي بحياة الكائن الحى (٢) .

٢ () ظهورها منذ الميلاد ومن سن مبكرة اى قبل ان يفيد الفرد من الخبرة والتعلم كالجوع والعطش (٣) فهذا يدل على انها فطرية موروثة وغير مكتسبة او متعلمة (٤) .

(١) شورنديك ادوارد : عالم امريكى اهتم بالتجارب المعملية على الحيوانات العليا من ققط وكلاب وقرا ملخص تجارب كيف نتعلم الخروج من مأزق ومتاهات بسيطة تمهيدا لدراسة وظائف التفكير والتعلم عند الاطفال ويعتبر من الاتجاه اتجاه سلوكى للبحث .

اصول علم النفس العام . د. عبد الحميد الهاشمى ص ٦٦ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٥ .

(٣) علم النفس العام - احمد عزت - ص ٨٨ " مرجع سابق " .

(٤) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٥ .

- ٣ () انها دوافع ضرورية لا غنى للانسان عنها ولا غنى له عن احدها ولا يمكنه استبدال واحد منها بالآخر ا و بلى دافع آخر جديد (١) .
- ٤ () ومن هذه العلامات ان يكون الدافع عاما مشتركا بين افراد النوع الواحد جميعا مهما اختلفت بيئاتهم وحضارتهم . (٢)
- ٥ () اشتراك الدافع الفطرى بين الانسان والحيوان فهو جزء من كيانهما الحيوانى (٣) .
- ٦ () اهم ما يميز الدافع الفطرى هو ثبات هدفه الطبيعى بالرغم من تغيير السلوك الذى يحقق هذا الهدف (٤) .
- ٧ () ان الدوافع الاولى ليست بدرجة واحدة من القوة فدافع الامومة ليس كدافع الجوع ا و الجنس (٥) وعلى هذا فالدافع وان كان فطريا الا ان قوته تختلف حسب نوعه والحاجة اليه .
- ٨ () الدافع الواحد تختلف قوته من انسان الى انسان تبعا لمبدأ الفروق الفردية .
- ٩ () الدافع الواحد لدى الانسان ذاته قد تختلف قوته من مرحله الى أخرى فى حياته فدافع الجنس لدى الانسان يكون قويا فى شبابه بالمقارنة به عند شيخوخته وهكذا سائر الدوافع تضعف باختلاف مراحل العمر حتى تتلاشى بالكلية او تضعف وفقا لمبدأ الضعف الذى

-
- (١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٥ مرجع سابق .
- (٢) علم النفس العام ، احمد عزت ص ٨٨ وانظر علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٥ .
- (٣) كتاب علم النفس مصطفى فهمى ص ٥٧ دار الثقافة . وانظر علم النفس العام احمد عزت راجح ص ٨٨ .
- (٤) علم النفس العام احمد عزت راجح ص ٨٨ وانظر ايضا دراسات فى النفس الانسانية ص ١٨٧ " مرجع سابق " .
- (٥) لمحات نفسية فى القرآن الكريم ص ١٠٤ للهاشمى .

يَصِيبُ الْإِنْسَانَ فِي كِبَرِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً...) (١)

مميزات الدوافع الثانوية :-

ويلاحظ ان الدوافع الثانوية تمتاز بصفات خاصة تميزها عن الدوافع الأولية سأوردها ثم نستطيع من خلال هذه المميزات ان نستنبط الفروق بين الدوافع الأولية والثانوية .

- ١ (ان الدوافع الثانوية لها اختصاص بالانسان .
 - ٢ (ان الدوافع الثانوية مشتركة على أن بعضها له صلة بالناحية الفسيولوجية (٢)
- الفروق بين الدوافع الأولية والدوافع الثانوية :-

الدوافع الأولية	الدوافع الثانوية
١ (الدوافع الأولية تنشأ منذ الميلاد بمعنى انه لاكتسب ولا يستفيد منها الشخص من ممارسة الحياة .	تنشأ من الخبرة وتكتسب بالتعلم من البيئة .
٢ (الدوافع الفطرية يشترك الانسان والحيوان .	الدوافع الثانوية خاصة بالانسان فقط
٣ (ثبات الهدف اذ ان الدافع الفطري هدفه الابقاء على الكائن العضوي للانسان وبقاء الجنس .	تختلف حسب الاشخاص ورغباتهم

(١) سورة الروم آية : ٥٤ .

(٢) علم النفس ، مصطفى فهمي ص ٥٧ - دار الثقافة .

الدوافع الثانوية

الدوافع الأولية

- ٤ (تكون حدة الدافع تقريبا
متساوية
يختلف حدة هذا الدافع حسب الظروف
البيئية فمثلا دافع السيطرة تؤكد
الذات نجده يقوى فى بعض
المجتمعات الغربية ويضعف او
يتلاشى فى قبيلة ارايشى البدائية
وهكذا .
- ٥ (المثير يكون داخليا
المثير يكون خارجيا .

ولكن على الرغم من وجود هذه الفروق بين الدوافع الأولية والثانوية الا انا نجد ان كلا من هذه الدوافع هى السبب فى مظاهر السلوك الانسانى ولذا فنحن نلمس مظاهر السلوك يبدو واضحا . الا ان الدوافع وراء هذا السلوك قد لا يبدو واضحا فمن السهل مثلا ان نعرف من سلوك الطفل انه جائع فنقول وراء هذا السلوك دافع وهو الجوع وهدفه ابقاء الكائن العضوى للانسان . بينما لا نستطيع ان نقول ان هذا الدافع هو السبب وراء السلوك الظاهر من الانسان بمعنى اننا لا نستطيع تحديد نوع الدافع بالذات وراء جميع انماط السلوك الانسانى.

الفصل الثالث

موقف القرآن الكريم من السنة والحدوافم

موقف الكتاب والسنة من الدوافع

يتبين لنا مما سبق أن مشيئة الله سبحانه وتعالى اقتضت وجود الدوافع الفسيولوجية فى فطرة كل من الحيوان والانسان لتحقيق الاهداف التى ارادها الله تعالى منها وهى حفظ الذات وبقاء النوع . ومن الطبيعى أن يكون اشباع هذه الدوافع امر ضروريا تقتضيه الفطرة . ولذلك جاءت احكام القرآن واوامره فى شأن هذه الدوافع متفقة مع فطرة الانسان .

ولذا فنستطيع أن نقول أن القرآن والسنة النبوية يسلكان فى موضوع الدوافع على النحو التالى :-

- ١ (الاعتراف بالدوافع الفطرية والمكتسبة معا .
 - ٢ (تدعوا الى اشباعها فى الحدود التى بينها الشرع .
 - ٣ (ليس فى القرآن ولا فى السنة ما يشير الى استقذار هذه الدوافع او انكارها او يدعو الى كبتها .
 - ٤ (يدعوا القرآن وكذلك تدعو السنة الى السيطرة على الدوافع والتحكم فيها واشباعها فقط فى الحدود التى يسمح بها الشرع دون اسراف او تجاوز لهذه الحدود .
- اذن فالقرآن يدعو الى تنظيم اشباع الدوافع والتحكم فيها وتوجيهها توجيهها سليما تراعى فيه مصلحة الفرد والجماعة ، بحيث يصبح الفرد هو المسيطر على دوافعه والموجه لها ، ولا يكون دوافعه هى المسيطرة عليه والموجه له . (١)

اذن ففى هذا الفصل سأتكلم عن الدوافع والضوابط معا فى تكوين النفس البشرية وموقف القرآن والسنة منهما .

(١) القرآن وعلم النفس ط ٥ ص ٥٠ - عثمان نجاتى "بتصرف " .

ذكرنا فى الفصل الثانى ان الدوافع قسمان :-

١ (دوافع اولية .

٢ (دوافع ثانوية .

وان كل دافع من هذه الدوافع ينقسم الى انواع تتفرع فتدخل تحته
ولذا سأتعرض اولا موقف القرآن من اهم الدوافع الاولى .
اولا الدوافع الاولى هى نوعان :-

الدافع الى حفظ الذات

الدافع الى حفظ النوع . (١)

فلو استعرضنا دوافع حفظ الذات لوجدنا انها تشمل :

دوافع تكفل المحافظة على بقاء الفرد . وهى دافع الجوع - العطش -
التنفس - دافع النوم والراحة - دافع الاخراج .

اولا دوافع الجوع والعطش :-

فاشباع دافع الجوع يعطى الجسم الطاقة التى تلزمه للقيام

بمختلف وظائفه الحيوية . (٢)

ولذا كان الجوع هو الدافع والمحرك للانسان للبحث عن الطعام
الذى اباح الاسلام ضمن قيود ونظام معين يجعله لا ينطلق انطلاق
البهائم الباحثة عن الطعام والتى ليس لها من عملية الضبط الا
الضبط الذاتى .

ولذا يقول سيد قطب : (الجوع والعطش هما المهماز الذى يدفع
الانسان بالالتم فىسعى الى الطعام والشراب لاسكات هذا الالم الذى لا
يهدا ولا يكف حتى يستجاب له من الخلف يدفعان الى طلب الطعام

(١) دراسات فى النفس الانسانية - ص ١٦٣ - دار الشروق - محمد قطب

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - ص ١٣٩ .

والشراب محافظة على كيان الذات (١)

إذا الدوافع المحركة للأكل والشرب هي :-

١ (الألم حيث يشعر الإنسان بآلام الجوع والعطش فيبحث عن الطعام .

٢ (اللذة التي تتحقق نتيجة الشعور بالشبع والرى .

(وازاء هذا الدافع يبيح لنا الاسلام الطعام والشراب ضمن

ضمانات تستهدف بقاء الانسان على انسانيته على النحو التالى) (٢)

أمر بالطعام والشراب لحفظ الحياة سليمة وصحيحة فلاضرب

المتواصل عن الأكل والشرب اثم لأنه يؤدي الى اضعاف الجسم ثم الى

الانتحار . قال الله تعالى فى اباحة الأكل والشراب (كُلُوا وَاشْرَبُوا

مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم من رواية انس بن مالك رضى الله عنه

(جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون

عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها

فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم

من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال

الآخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج

أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم

كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر

وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني (٤)

(١) دراسات فى النفس الانسانية - سيد قطب - ص ١٦٩ "مرجع سابق "

(٢) لمحات نفسية فى القرآن الكريم للهاشمى - ص ١١٠ .

(٣) سورة البقرة آية : ٦٠ .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح باب الترغيب فى النكاح ج ٧ ص ٢

وأخرجه مسلم كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه

اليه ووجد مؤنة ص ١٧٥ - ١٧٦ ج ٩ بشرح النووى . وأخرجه أحمد

فى مسنده ج ٢ ص ١٥٨ - ١٦٥ - ١٧٠ - ١٨٨ - ٢١٠ .

اذن ليس من الاسلام فى شيء تحريم الاكل او الشراب فالآية والحديث

اباحة الاكل والشرب ضمن ضمان خاص وهو عدم الافساد فى الأرض .

٢ - كما يجب ان نمتثل لأوامر الله ونحن بمدد اشباع هذا الدافع لقوله تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) (١) .

وفى الحديث الشريف توجيه للطفل وهو فى مرحلة التعلم الى آداب

الطعام فى الاسلام فعن عمر بن أبى سلمه (٢) يقول : كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيئُ فِي الصَّفْحَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَا غُلَامُ سَمِ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدَ) (٣)

عدم الاكل او الشرب من المحرم :-

فقال الله تعالى : (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٤) .

(١) سورة الانعام آية : ١٢١ .

(٢) عمر بن أبى سلمه :- بن عبد الاسد القرشى المخزومى ربيب رسول

الله صلى الله عليه وسلم أمة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله

عليه وسلم يكنى أبا حفصه ولد فى السنة الثانية من الهجرة

بأرض الحبشة وقيل أنه كان له يوم قبض النبى صلى الله عليه

وسلم تسع سنين وشهد مع على رضى الله عنه موقعه الجمل

واستعمله على البحرين .

١ سد الغابة ج ٣ ص ٦٨٠ .

(٣) أخرجه البخارى كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والاكل

باليمين ج ٧ ص ٨٨ .

(٤) سورة الانعام آية : ١٤٥ .

وفى الشراب المحرم قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١) .

اذن فالآية الكريمة حددت لنا ما حرم علينا من الطعام كالهيئة او شرب الدم المسفوح . وكذا اكل لحم الخنزير او اى شئ ذبح لغير الله عز وجل .

وكذا حرم شرب الخمر وكل هذه ضوابط تبين لنا سيطرة الانسان على غرائزه بحيث تمنعه من الانحدار البهائى وراء شهواته . وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مقدم بن معد يكرب (٢) : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما ملا آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبة فان كان لا محالة فنلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) (٣)

هكذا يتجلى الضبط فى اسمى معانيه فالاكل والشرب ليس محرما ولكن ينبغى ان يكون ضمن المعقول بحيث لا يؤدى الى الاسراف فى تناول الطعام ثم يؤدى الى التخمّة والاضرار بالصحة العامة .

(١) سورة المائدة آية : ٩٤ .

(٢) المقدم بن معد يكرب : بن عمرو يزيد بن معدى كرب ابو كريمه وقيل ابو يحيى الكندى نزل حمص ذكره ابن سعد فى الطبقة الرابعة من اهل الشام وقال مات سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وتسعين سنة . ج ١٠ ص ٢٨٧ تهذيب التهذيب .

(٣) قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح اخرجه الترمذى كتاب الزهد باب ٤٧ ما جاء فى كراهية كثرة الاكل ص ٥٩٠ ج ٤ . واخرجه احمد بن حنبل ج ٤ ص ١٣٢ .

فان مبدأ تناول الطعام والشراب ينحصر فى الاسلام بما يلى :-

- ١ (اباحة الأكل والشرب من الحلال الطيب .
 - ٢ (عدم الاضرار عن الأكل حتى الموت أو المرض لأن هذا اخلال بالصحة العامة .
 - ٣ (عدم الاسراف فى تناول الطعام والشراب لئلا يؤدي الى الاضرار بالصحة .
 - ٤ (اباحة جميع اصناف الطعام ومزجه وتنويعه اذا اجتنب المحرم منه كما قال الله تعالى : (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) (١)
- الدافع الثانى : دافع النوم والراحة :-

يعتبر هذا الدافع من الدوافع الاولى الضرورية للبقاء على الكائن الحى فكل فرد منا يشعر من حين الى آخر بحاجاته الى الراحة والى النوم (٢) ولا يمكن ان يظل الانسان بدون نوم ولذا نقول ما موقف القرآن والسنة من النوم والبحث عن الراحة بعد مشقة النهار وعنايته .

قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) (٣) وقال الله تعالى فى معرض الامتنان بجعل النوم للراحة : (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ) (٤)

ومما يشير الى ان دوافع الجوع والعطش والتعب من الدوافع التى لا يستطيع ان يتحملها الانسان عادة مدة طويلة لما تسببه له من ألم وما تلحقه به من ضرر ما وعد الله تعالى به المؤمنين من ثواب

(١) سورة البقرة آية : ٣٥ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٢

(٣) سورة الفرقان آية : ٤٧

(٤) سورة الانفال آية : ١١

لتحملهم الجوع والظما والتعب فى سبيل الله (١) .

قال الله تعالى : (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (٢) .

وايضا مما يدل على ان كلا من الجوع او العطش او ارهاق النفس بالتعب ليس من الاسلام فى شىء فليس هو عبادة ولا قربة الى الله . وفى رواية انس بن مالك رضى الله عنه : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أُخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأيئن نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبهم وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فقال : (أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منى) (٣) .

فانكار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ذلك دل على ان عملهم منافى للفطرة ومعارض للدوافع الطبيعية والنفسية التى هى فى صميم خلق الانسان كدافع الجوع والعطش والراحة والنوم . هكذا لم يعارض ديننا الاسلامى هذه الدوافع بل اباحها وجعل لها النظام الذى يكفل للانسان اقامة حياة كريمة تتفق مع انسانيته .

(١) القرآن وعلم النفس - عثمان نجاتى ص ٢٧ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٠ .

(٣) سبق تخريجه . ص ٤٠

اذن موقف الاسلام من هذا الدافع نجد موقفه يتجلى بما يلي :-

- ١ (اباح النوم والراحة اذ جعل الليل سباتا .
- ٢ (جعل النوم قسطا فترة من يوم الانسان ولم يبح له ان ينام يومه وليلته بمعنى انه امر بالسعى بقوله (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) (١) .

٣ (اذا فاعترف الاسلام بالنوم والراحة واضح جدا اذ قوله صلى الله عليه وسلم (لكنى اصوم وافطر واصلى وارقد) يحارب مبدا اجهاد النفس والمشقة عليها .

(ان التعب دافع هام يدفع الانسان الى الراحة والنوم بعد عناء العمل اثناء النهار فتسترد خلايا بدنه نشاطها وحيويتها ويستيقظ الانسان بعد النوم قويا نشيطا قادرا على مواصلة عمله فى حيوية ونشاط ويؤدى النوم الى التخلص من التوتر البدنى الذى ينشأ عن المخاوف التى تنتاب الانسان وعن كثير من المشكلات التى يتعرض لها اثناء حياته اليومية) (٢) .

قال الله تعالى : (إِذْ يَغْشَىٰكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) (٣) .

ثالثا : دافع التنفس :-

يعتبر دافع التنفس من اهم الدوافع البيولوجية الاولى على "

(١) سورة النبأ آية : ١١ .

(٢) القرآن وعلم النفس المعاصر - عثمان نجاتى - ص ٣٢ .

(٣) سورة الانفال آية : ١١ .

الاطلاق لأن من اهم احتياجات الجسم حاجته الى الاكسجين . (١)

ويتضح لنا الاهمية الكبرى للاكسجين بالنسبة للانسان من قوله تعالى : (فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) (٢)

وبهذا تتضح اهمية دافع التنفس كدافع فسيولوجى فطرى يؤدي

وظيفة هامة فى حفظ الذات وبقائها . (٣)

ومن المعلوم ان العلو سبب لفقد الاكسجين لذا بين سبحانه فى الآية

ضيق صدر الكافر وكأنه صعد الى السماء بحيث لا يتنفس .

ومما يبين لنا اهمية الاقرار بدافع التنفس عناية صلى الله

عليه وسلم بذلك حيث قال فى الحديث السابق (وثلث لنفسه) (٤)

رابعاً : دافع قضاء الحاجة :-

الاخراج من الدوافع البيولوجية الاولى الملحة والذى قد يضر عدم

اشباعه بالانسان ضرراً بالغاً بل ربما يؤدي به الى الهلاك . (٥)

(١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام " مرجع سابق " ص ١٤٢ .

(٢) سورة الانعام آية : ١٢٥ .

(٣) القرآن وعلم النفس المعاصر - ص ٣٤ .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٤ .

(٥) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٣ "مرجع سابق " .

قال صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي (١) يقول أنا أول من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ) (٢) وفي الزوائد اسناده صحيح وحكم بصحته جماعة .

فهذا من الآداب العامة والتي هي وسيلة لضبط دافع الخارج لمراعاة الأدب واحترام القبلة .

(١) عبد الله بن الحرث بن جزء : أبى عبد الله بن معد يكرب بن عمرو بن زبيد الزبيدي أو الحرث نزل مصر له صحبه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه عبيد الله بن المغيرة وسليمان بن زياد الحضرمي قال ابن يونس توفي سنة ست وثمانين وكان قد عمى وقال غيره سنة خمس وقيل سبع وقيل ثمان وذكر أبو جعفر الطحاوي أن وفاته كانت بسفط القدر قرية أسفل مصر . وقال أبو جعفر الطبري أنه كان اسمه العاصي فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال أبو زكريا بن سناره هو آخر من مات بمصر من لصحابة رضى الله عنهم تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٧٩ طبقات بن سعد ج ١ ص ١٥ وانظر أيضا الإصابة في تمييز الصحابة ج ٧ ص ٢٩٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجه كتاب الطهارة وباب النهى عن استقبال القبلة بالغائط والبول واللفظ له ج ١ ص ١١٥ حديث ٣١٧ . وأخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب الاستطابة ص ١٥٢ ج ٣ بشرح النووي . وأخرجه أحمد ج ٤ ص ١٩٠ - ١٩١ . وأخرجه الترمذي كتاب الطهارة باب النهى عن استقبال القبلة بغائط أو بول ص ١٣ ج ١ .

ثانيا : دوافع تكفل المحافظة على بقاء النوع وتشمل :

دافع قضاء الوطر - دافع الأمومة .

فالجنس أداة لحفظ النوع لذا وجد فى تكوين كل انسان دافع

الميل نحو النساء واشباعه بالزواج الحلال . (١)

وهذا الدافع يقوم بوظيفة هامة هى التناسل لبقاء النوع وعن

طريق الدافع قضاء الوطر تتكون الاسرة ومن الاسرة تتكون المجتمعات

والشعوب فتعمر الأرض وتتعارف الشعوب وتزدهر الحضارة . (٢)

إذا الدوافع المحركة لهذه الغريزة هى :-

١ () اللذة التى تصحب العلاقة الزوجية .

٢ () الألم الناتج عن كثير من المشاكل الزوجية من الحمل والولادة

والرضاع والنفقات ونحوها . وإذا قال سيد قطب فى ذلك • تعمير

وجه الأرض بالنسل يحمل الوالدين جهدا مضنيا كل فى دائرة

اختصاصه الأم تحمل جنينها وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين ،

وما تنتهى من واحد حتى تستعد لحمل جديد وجهد جديد . والاب

يحمل تبعه اطعام هذا النسل بعد مرحلة الرضاع وتبعه كسوته

واسكانه وحمياته وتوفير الراحة له ثم اعداده وتربيته حتى

يصبح قادرا على تسلم الدور الانشائى من جديد . (٣)

اذن على الرغم من هذا الألم كله الا ان دافع الجنس اقوى منه يدفع

الانسان الى ممارسة الجنس بالزواج الشرعى فلذا نقول هل الدين

وقف معارضا لهذا الدافع على قوته أم انه سايره وابع له اشباعه

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم - للهاشمى - ص ١١٠ .

(٢) القرآن وعلم النفس - ص ٣٤ .

(٣) دراسات فى النفس الانسانية ص ١٦٧ .

بطرق شرعية تضمن له البقاء والاستمرار على أحسن حال . اذن ما موقف الكتاب والسنة ازاء هذا الدافع بالذات .

قال الله تعالى فى شرعية الزواج واباحته : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (١)

وقال الله تعالى فى الحث على الزواج : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ..) (٢) .

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزواج ودعى اليه فى اول مراحل الرغبة الجنسية وفى أشدها وهى مرحلة الشباب ففى الحديث عن علقمة (*) (قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ فَلَقِيَهُ عُمَانُ بْنُ مَنَى فَقَالَ يَا

(١) سورة النساء آية : ١ .

(٢) سورة النور آية : ٣٢ .

(*) علقمة هو علقمة بن قيس . بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل ويقال كهيل بن بكر بن عوف ويقال ابن المنتشر بن النخع ابو شبيل النخعي الكوفي ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال مغيرة محمد بن ابراهيم كان علقمة عقيما وقال ابو طالب عن احمد شقة من اهل الخير وقال انه عمش عن عمارة بن عمير قال لنا ابو معمر قوموا بنا الى اشبه الناس هديا وسمتا ودلا بابن مسعود فقمنا معه حتى جلس الى علقمة وقد شهد صفين وقال قابوس بن ظبيان عن ابيه ادركت أناسا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يسألون علقمة يستفتونه . قال ابو نعيم مات سنة احدى وستين وقيل سنة ٦٢ وقيل غير ذلك وله تسعون سنة وكان غزا خراسان واقام بخوارزم سنتين ودخل مرو فاقام بها مدة . تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٧٧ .

أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَخَلِيَا (١) فَقَالَ عُثْمَانُ هَلْ لَكَ يَا
 أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نَزَوِّجَكَ بِكَرَّاءٍ تَذْكُرُكَ مَا كُنْتَ تَعْبُدُ ، فَلَمَّا رَأَى
 عَبْدُ اللَّهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا أَشَارَ إِلَى فَقَالَ يَا عَلْقَمَةُ
 فَاَنْتَهَيْتِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ يَا مَا كَثُرَ قُلْتُ ذَلِكَ ، لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ
 وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ (٢)

بل لقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء الوطر امرا فيه
 اجر وشواب فقال صلى الله عليه وسلم (عَنْ أَبِي ذَرٍّ (٣) أَنَّ نَاسًا مِنْ

(١) فخليا : ١ى دخلا فى موضع خال ج ٢٠ ص ٦٧ عمده الفارى .
 (٢) أخرجه البخارى كتاب النكاح باب من استطاع منكم الباءة
 فليتزوج لانه اغض للبصر واحص للفرح ص ٣ ج ٧ . واخرجه مسلم
 كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت اليه نفسه ووجد
 مؤنته ص ١٧٢ ج ٩ شرح النووى . واخرجه ابن ماجه كتاب النكاح
 باب ما جاء فى فضل النكاح ص ٥٩٢ ج ١ حديث رقم ١٨٤٥ .
 الباءة : ١ - الجماع فتقدير الكلام من استطاع منكم الجماع لقدرته
 على مؤنة وهى مؤنة النكاح فليتزوج .

٢ - المراد مؤنة النكاح سميت باسم ما يلزمها .
 الوجاء : رضى الخصيتين والمراد الصوم بقطع الشهوة كما يفعله
 الوجاء . صحيح مسلم ج ٩ - ١٧٤ . بشرح النووى
 (٣) ابو ذر الغفارى الزاهد المشهور مختلف فى اسمه واسم ابيه
 والمشهور انه جندب بن جنادة بن سكنى وكان من السابقين الى
 الاسلام وكان وفاته بالربده سنة احدى وثلاثين ويقال انه صلى
 عليه ابن مسعود .

الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١١ ص ١٢١ الى ١٢٣ بتصرف .

أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ يَطْلُونَ كَمَا نُطْلَى وَيَصُومُونَ كَمَا
نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا
تَصَدَّقُونَ إِنْ بَكِلْتُمْ تَبِيحًا صَدَقَهُ . وَكُلَّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَهُ وَكُلَّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَهُ
وَكُلَّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَهُ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَهُ وَفِي بُضْعِ
أُحَدِّكُمْ صَدَقَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا
أَجْرٌ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا
وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ (١)

هكذا نظر الاسلام الى دافع الجنس واباح ممارسته بطرق شرعية لها

اهداف ثابتة وتشمل الاهداف :-

- (١) احسان الفرج من الوقوع بالفاحشة نتيجة لهذا الدافع الفطرى .
 - (٢) بناء اسرة تقوم على روابط الزوج والزوجة والذرية .
 - (٣) تحقيق للام وللاب دافع فطرى وهو التربية . فالامومة والابوة دافع فطرى فى النفس البشرية . لذا فالوالديه اشباعها انجاب الذرية يشمل الابوة والامومة ان هذا الدافع فى مستواه الانسانى يقضى التزاما خلقيا وسلوكيا من طرفى الوالدين . (٢) .
- هذه الالتزامات هى الضوابط التى تضبط نظام التجمع الاسرى لثلا يكون تجمع بهائمى فيظهر منها نظرة الاسلام الى الدافع الجنسي ودافع الوالدين .

(١) اخرجه مسلم كتاب الزكاة باب ٥٣ كل نوع من المعروف صدقة ص ٩١

ج ٧ . واخرجه احمد بن حنبل ج ٥ ص ١٦٧ .

(٢) لمحات نفسية فى القرآن الكريم " مرجع سابق " ص ١١٠ .

هذه الضوابط هي :-

- (١) فى جانب الآباء والامهات ليس مجرد تناسل حيوانى بل ذرية شريفة معروفة النسب يقوم الوالدان بتقديم تربية مقصودة تشمل الجسم غذاء وتسمو بالروح ايماناً بالله . (١) .
قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) (٢) .
- (٢) يجب نسبة الابناء لآباءهم قال الله تعالى : (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلِاخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (٣) .
- (٣) التربية الغذائية قال الله تعالى : (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ) (٤) .
هكذا جعل الاسلام منهج تربية الفرد المسلم غذاء للروح وغذاء للجسم ثم تكوين أسرة معروفة النسب فلا تبني فى الاسلام هذه اول لبنة فى المجتمع المسلم ثم تتكون لبنات مماثلة متتالية حتى يتكون المجتمع المسلم ليتم به الاستخلاف فى الارض .
اذن يمكن ان نلمس مما ذكر موقف الاسلام من دافع قضاء الوطر على النحو التالى :-

- (١) لمحات نفسية فى القرآن ص ١١٠ .
- (٢) سورة الطور آية : ٢١ .
- (٣) سورة الاحزاب آية : ٥ .
- (٤) سورة البقرة آية : ٢٣٣ .

١ (تشجيع الزواج وبناء عليه فليست الرهبانية من الاسلام فى شىء فلا رهبانية فى الاسلام .

٢ (تشجيع تكوين أسرة ففى الحديث عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّى مَبَاهُ بِكُمْ الْأُمَمَ) (١) .

٣ (الزواج هو الوسيلة الوحيدة لانجاب الذرية واشباع دافع الوالدية .

٤ (لم يشأ الله أن يجعل الانسان كغيره من سائر المخلوقات الاخرى

الحيوانية والنباتية فيدع غرائزه تنطلق دون وعى او ضابط (٢)
وفى ذلك يقول الله تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا . حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ

(١) أخرجه ابو داود كتاب النكاح باب النهى عن تزويج من لم يلد من

النساء حديث ٢٠٥٠ ج ٢ ص ٢٢٠ وأخرجه احمد ج ٣ ص ١٥٨ - ص ٢٤٥

. رواه الهيثمى وقال رواه احمد واسناده حسن . انظر الفتح

الربانى ج ١٦ ص ١٤٥ .

ورواه الحاكم فى مسنده وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

بهذه السياقه وقال الذهبى حديث صحيح . انظر المستدرک ج ٢

ص ١٦٢ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام مرجع سابق ص ١٤٤ .

اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا (١)

هذه الآيات الكريمة ترسم منهاجا متكاملا لتكوين الأسرة المسلمة

ومشروعية الزواج التي يتم عن طريقها ممارسة دافع قضاء الوطر .
وهي منهج متكامل أيضا للضوابط في ممارسة هذا الدافع على النحو
التالى :-

- ١ (تحريم الزواج بنساء الآباء .
 - ٢ (بيان المحرمات كما ذكرت الآية الكريمة بوضوح .
 - ٣ (تحريم الزواج بزوجة الابن .
 - ٤ (تحريم قضاء الوطر الغير مشروع .
- وبهذا وضع الله لدافع قضاء الوطر سبيله المأمون . (٢)
- ثالثا : دوافع الطوارئ :-

وهي دوافع مدخرة لوقت الحاجة حيث تظهر وقت الخوف أو الدافع
عن النفس (٣) كدافع المقاتلة ودافع الهروب .
ولذا كانت المنة التي امتنها الاسلام على الانسان هو منة الأمان
حيث وفر جميع اسبابه فقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث (عن
سلمه بن عبد الله بن حصن (٤) الخطمى عن ابيه وكانت له صحبة ، قال

(١) سورة النساء آية : ٢٢ - ٢٤ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - ص ١٤٥ " بتصرف " .

(٣) علم النفس العام - احمد عزت - ص ٨٨ .

(٤) سلمه بن عبد الله بن محص الانضارى الخطمى المدنى روى عن ابيه
ويقال له صحبه ذكره ابن حبان فى الثقات له فى السنة هذا

الحديث فقط تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٤٨ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبَةٍ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) (١)

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث مروان ابن معاوية فظهر لنا من هذا الحديث أنه اذا توفرت للانسان وسائل الغذاء والسكن والصحة شعر الانسان بالامن من الخوف من المستقبل .
رابعاً : دوافع تمكن الفرد من التعرف على البيئة وتساعد على اعداد نفسه للحياة كدافع الاستطلاع ودافع اللعب . (٢)

دافع الاستطلاع قد فتح الله سبحانه وتعالى صفحة الكون للجميع للنظر والتدبر وحث عليه بل جعله جزءاً من العبادة .
لذا قال الله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) (٣)
وقال الله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (٥)

(١) أخرجه الترمذى كتاب الزهد باب ٣٤ ص ٥٧٤ ج ٤ . وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب ٩ ص ١٣٨٧ ج ٢ حديث رقم ٤١٤١ باب القناعة . وأخرجه البخارى فى الادب المفرد ج ١ ص ٣٩٤ .
وأخرجه الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن ابى عاصم النبيل الضحاك بن مخلد الشيبانى المتوفى سنة ٢٨٧ هـ فى كتاب الزهد ص ٩٩ - تحقيق د . عبد العلى عبد الحميد - الدار السلفية برمباى ٣ .

(٣) علم النفس العام - احمد عزت - ص ٨٨

(٤) سورة الانعام آية : ١١ .

(٥) سورة الغاشية آية : ١٧ .

عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين (١) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به والممد به وقال : ارموا واركبوا ، ولأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا ، كُلُّ مَا يَلَهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَادِيَتِهِ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْحَقِّ) (٢) .

اذن فدافع اللعب المشروع من الدوافع التي أقرها الرسول صلى الله عليه وسلم لما لها من أثر على النمو النفسى والجسمى والتألف بين الزوجين .

ثانيا الدوافع الثانوية :-

وتشمل دافع التملك والادخار - ودافع العدوان والسيطرة وغيرها

(١) عبد الرحمن بن الحسين بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف المكي النوفلى وأمه أم عبد الله بنت أبي سروع قال أحمد والنسائى وأبو زرعه ثقة وذكره أبى حبان فى الثقات وقال أبى عبد البر ثقة عند الجميع فقيه عالم بالمناسك .
تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٢) أخرجه الترمذى كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء فى فضل الرمى فى سبيل الله ج ٤ ص ١٧٤ حديث ١٦٣٧ وقال أبو عيسى وهذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن ماجه كتاب الجهاد باب الرمى فى سبيل الله حديث ٢٨١١ ج ٢ ص ٩٤٠ - وأخرجه أحمد ج ٤ ص ١٤٤ - ١٤٨ . وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ج ٢ ص ٩٥ وقال الذهبى صحيح .

وسأشير الى موقف القرآن والسنة الى كل من هذه الدوافع من حيث
الاقرار بهذه الدوافع ثم الضوابط التي تحد من حدة الدوافع .

اولا دافع التملك والادخار :-

لضمان حفظ الذات وحفظ النوع كان لا بد من الاستحواذ على اشياء
من الطعام والشراب والملبس وغيرها من الحاجات .. خوفا من نفاذها
وتعرض الانسان للهلاك . (١) .

وهو من الدوافع النفسية التي يتعلمها الانسان اثناء تنشئته
الاجتماعي فيتعلم من خبرته الشخصية حبة للامتلاك (٢) وقد اشار
القرآن في كثير من المواضع الى دافع التملك .ومما يبين ان هذا
الدافع من الدوافع الضرورية لقيام الحياة الطبيعية ان القرآن
اشار الى حب الانسان الى المال والنساء .

قال الله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَثَابِ) ((٣))

كما نلاحظ ايضا اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لحب صحابته
الى المال ولكنه طمأنهم على مستقبلهم وان المال صائر اليهم ثم
وجههم الى ضابط يحد من اندفاعهم وراء المال وتخويفه اياهم من
كارثة جمعه وحبه حتى قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف

(١) دراسات في النفس الانسانية - سيد قطب - ص ١٧٠ .

(٢) القرآن وعلم النفس - عثمان نجاتي - ص ٢٩ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٤ .

عن عرووة بن الزبير أنه أخبره أن المسور بن مخرمه (١) أخبره أن عمرو بن عوف (٢) وهو حليف لبنى عامر بن لؤى وكان شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف تعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم

(١) المسور بن مخرمه : بن نوفل بن اهياب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري ابو عبد الرحمن أمه الشفا بنت عوف اخت عبد الرحمن بن عوف روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبيه قال عمر بن علي ولد بعد الهجرة بسنتين فقدم به المدينة في عقب ذي الحجة سنة ثمان ومات سنة اربع وستين أصابه المنخيف وهو يصلى في الحجر فمكث خمسة ايام وهو ابن ثلاث وستين .
تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٥١ .

(٢) عمر بن عوف الانصارى : المعروف عند أهل المغازى أنه من المهاجرين وهو موافق لقولهم أنه حليف لبنى عامر بن لؤى لانه يشعر بكونه من أهل مكة ويحتمل أن يكون وصفه بالانصارى بالمعنى الأعم ولا مانع أن يكون أصله من الأوس والخزرج ونزل مكة وحالف بعض أهلها فهذا الاعتبار يكون انصاريا مهاجرا - وهو محدود في أهل بدر باتفاقهم ووقع عند موسى بن عقبه في المغازى أنه عمير بن عوف بالتصغير وكأنه يقال فيه بالوجهين وهو الصواب .
وقال ابن حجر ظهر لى أن وصفه بالانصارى وهم .
فتح البارى ج ٦ ص ٢٦٢ ، انظر التهذيب ج ٨ ص ٨٧ .

ثم قال : (أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ ؟ قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَبَشِّرُوا وَأَمَلُّوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا ، كَمَا بَسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) (١)

هكذا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوك الصحابة بالموعة الحسنة اذ ابان لهم انه لا يخشى عليهم الفقر ولكنه يخشى من انغماسهم فى الدنيا وملذاتها .

اذن فقد اباح الاسلام جمع المال والتملك ولكنه هذب هذه الغريزة ووجهها توجيهها صحيحا فحرم الكسب الحرام .

كما نهى عن ان يكون كل هم ابن آدم جمع المال فلا ينصرف الا اليه كما فى حديث ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان اعطى رضى وان لم يعط لم يرضى (٢) . فكان توجيهه صلى الله عليه وسلم لتخفيف حدة هذا الدافع الى النفقة والصدقات .

عن ابي هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط

(١) أخرجه البخارى كتاب المغازى باب ١٢ ص ١٠٨ ج ٥ كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ج ٨ ص ١١٢ .
وأخرجه مسلم كتاب الزهد ج ٩٥ ص ١٨ . وأخرجه الترمذى كتاب القيامة باب ٢٨ ص ٦٤ ج ٤ حديث ٢٤٦٢ . وأخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب ١٨ فتنة المال ص ١٣٢٤ ج ٣ حديث ٣٩٩٧ . وأخرجه احمد ج ٤ ص ١٣٧ - ص ٣٢٧ - ص ٦٠ .

(٢) أخرجه البخارى كتاب الجهاد ص ٤٢ ج ٤ واللفظ له - كتاب الرقاق باب ١٠ ما يتقى من فتنة المال ص ١١٤ ج ٨ .

منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا . (١) .
 وفى ذلك قال الله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
 فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَوَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) (٢) .
 وقال الله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ
 يَشَاءُ) (٣) .

ويقول سيد قطب : كان لا بد كذلك من الحداء من الامام والالم من
 الخلف (٤) فعلى هذا نقول ان الدافع المحرك لهذا الدافع هو الحداء
 بمعنى الجذب لهذه التملك التى يميل اليها الانسان والتى اقرها
 القرآن والسنة النبوية .

وكذلك الالم من الخلف بمعنى ان هذا الالم هو الضابط للاندفاع
 المتهور وراء لذة طلب المال او المسكن او نحوها .
 اذن لقد وجه الاسلام دافع حب المال ليسمو به فلا يستغرق هذا الحب
 مشاعر المؤمن على وجهه لكى يتفق فى سبيل الله كالصدقات والزكاة
 والكسب الطيب الحلال وتحريم الكسب المحرم ونحوها فنجد هذا التوجيه
 ضابطا لسلوك المؤمن لكى لا يستغرق حب المؤمن ومشاعره .

(١) اخرجه البخارى واللفظ له كتاب الزكاة باب قول الله تعالى :
 (فَإِذَا مَنِ اعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحَسَنِ فَسُنْيُسِرُهُ لِيَسْرَى) واما من
 بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسُنْيُسِرُهُ للعسرى) وقوله صلى الله
 عليه وسلم : (اللهم اعط منفق مال خلفا) ج ٢ ص ١٤٢ واخرجه
 مسلم كتاب الزكاة باب ٥٧ كل نوع من المعروف صدقه ج ٧ ص ٩٦
 بشرح النووى .

واخرجه احمد ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٤٧ و ج ٥ ص ١٩٧ .

(٢) سورة الحديد آية : ١١

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦١ .

(٤) دراسات فى النفس الانسانية ص ١٧٠ .

والملك رغبة عفيفة جدا فى حس الانسان فهو يجد لذة كبرى فى ان يمتلك كما يجد لما عنيفا فى الحرمان (١) .

ثانيا : دافع السيطرة والعدوان :-

ويظهر دافع العدوان فى سلوك الانسان العدوانى تجاه الآخرين بهدف الحاق الاذى بهم سواء كان ذلك فى صورة عدوان بدنى او فى صورة عدوان لفظى . (٢) .

ودافع العدوان قد يكون سببه حب السيطرة والبروز مما يدفع الانسان الى الحاق الاذى بالآخرين - او قد يكون الدافع للعدوان هو شدة الغضب وسنرى كيف عالج القرآن والسنة موضوع الغضب والعدوان وكيف حاد بهما عن حب للسيطرة والظهور حتى اصبح لا وجود للعدوان ولا وجود لشدة الغضب المؤدى الى العدوان .

قال الله تعالى : (اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ فَاِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَاَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٣) .

فهذا توجيه من الله سبحانه وتعالى الى دفع الاسائة بالاحسان ثم تنقلب العداوة مودة ومحبة .

وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ اِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ كَقَوْلِكَ الْعَصَبِ) (٤) .

(١) دراسات فى النفس الانسانية - ص ١٩٣ .

(٢) القرآن وعلم النفس - عثمان نجاتى - ص ٤١ .

(٣) سورة فصلت آية : ٣٤

(٤) أخرجه البخارى كتاب الادب باب ٧٦ ص ٣٤ ج ٨ - وأخرجه مسلم

كتاب البر باب ١٠٧ - ١٠٨ - فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأى

شئ يذهب الغضب ص ١٦١ ج ١٦ . وانظر ايضا الموطأ كتاب حسن

الخلق باب ١٢ ح ٥٦٥ وأخرجه احمد ج ٢ ص ٢٣٦ ، ص ٢٦٨ - ٥٠٧ .

الرد :-

هكذا وجه الاسلام دافع الغضب الى ان جعل الضبط فيه هو اساس القوة فلا قوة لمن لا يملك القدرة على السيطرة على غضبه ودفع الغضب بقوة الضبط فى النفس وان غضبت فلا تغضب الا لله (والغضب لله مقام عال لا يقدر عليه الا من ترقى الى المقام الذى تسمى فيه النفس المطمئنة . (١)

وقد مدح تعالى الكاظمين الغيظ حيث قال (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٢) .

والمراد انه اذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعلموه وعفوا مع ذلك عمن اساء اليهم - والغضب هو الدافع الى المعاصى فالانسان لا يرتكب عملا اذا الا اذا استفز اليه باى دافع من الدوافع حسب اسبابه وظروفه وهذا الاستفزاز الذى قد تولده اى الاسباب هو نفسه الغضب - اما اذا امتلك الانسان نفسه وراجعها وحملها على كظم الغيظ فهناك تحمد العاقبة ويزن الانسان نفسه ويملك اعصابه فينظر الى ما هو واقع بين يديه ويثوب الى رشده فلا يقع فى محذور (٣) وبهذا ظهر الرد على فرويد وعلى جنوحاته من ان الغضب موجود والعدوان موجود وان اظهر الانسان خلافه وان اساسه الناحية الجنسية . فالانسان من هذا العدوان المثار لاي سبب ووجهه توجيه صحيح فلا يغضب الا بنصره دين الله والحق .

(١) مخطوطة السير والسلوك الى ملك الملوك - تاليف قاسم الخانى

ص ٢٦ والخان قرية من قرى حلب ١١٩٥ هـ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .

(٣) ادب القرآن - تاليف فؤاد شاکر - ص ٤٦ ن ص ٤٧ " بتصرف " -

مطبعة ام القرى .

(ويدفع الى الانتماء الشعور بالوحدة المؤلمة ويكون اشباعها بالتجمع (١) .

وقد سبق ان بينا رأى علماء النفس فى هذا الدافع وما يهمنى فى هذا الدافع الآن هو موقف القرآن والسنة من هذا الدافع هل اقر دافع الانتماء أم وقف معه على حياد ام نهى عنه .

الحقيقة ان هذا الدافع قد اقره الاسلام بمبدأ اقراره بالزواج وتشجيعه عليه لينتمى الفرد الى أسرة فقال الله تعالى فى مشروعية

الزواج : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ) (٢) .

وقال الله تعالى : (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (٣) .

وقال تعالى فى انتماء الابناء لاسرهم : (ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ) (٥)

هكذا شرع الاسلام وابعاح مبدأ الانتماء بل سما به اذ جعل أهم رابط فى الانتماء هو رابط الاخوة الاسلامية فوضع مبدأ الاخوة الاسلامية وسما بها لتعلوا على كل رابط فلا اخوة الا بالله .

فالاخوة فى الدين اعلى مراتب الاخوة واعظمها واكبرها وهى رابط اجتماعى لا يماثله رابط آخر ولا يقاربه حتى الرباط بين الوالد وولده وبين الاخ فى النسب واخيه . (٦)

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم ص ١١٠ .

(٢) سورة النور : آية ٣٣ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٤) سورة الاحزاب آية : ٥ .

(٥) سبق تخريجه ص ٥٠

(٦) السلوك الاجتماعى فى الاسلام - حسن ايوب - دار البحوث العلمية -

فهذا نوح نبي الله عليه السلام ينفى الرباط بينه وبين ابنه
لاختلاف الدين فيقول الله تعالى : (رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ
الْحَقُّ) فيقول تعالى له : (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ
صَالِحٍ) (١) .

ولذا يقرر الاسلام مبدا الاخوة والتي يكون بها الانتماء فيقول
الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الْمُؤْمِنُ مَرْءٌ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ :
يَكْفُ عَلَيْهِ ضِيعَتُهُ (٣) وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ (٤) .

هذا مبدا الاخوة فى الله ومبدا الانتماء الى الجماعة والاقرار
به حتى قال صلى الله عليه وسلم فى اقرار هذا المبدأ عن ابي هريرة
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَوْلَا
الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكْتَ الْأَنْصَارُ

(١) سورة هود آية : ٤٥ - ٤٦ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٠ .

(٣) ضيعته ما يكون سبب معاشه من ضاعه او غيره . معالم السنن
للخطابى ج ٥ ص ٢١٧ .

(٤) اخرجه ابو داود كتاب الادب باب النصيحة والحياطه حديث ٤٩١٨
ج ٤ ص ٢٨٠ واخرج نحوه الترمذى كتاب البر والصله باب ما جاء
فى شفقته المسلم ج ٤ ص ٣٢٥ وقال يحيى بن عبيد الله ضعفه
وشعبه .

وَإِذَا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتَ وَادِي الْأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الْأَنْصَارِ (١) .

مع انه صلى الله عليه وسلم قرشى وليس من الانصار .

رابعاً : دافع الحب والحنان :-

لقد ذكر علماء النفس اهمية هذا الدافع فى التكوين النفسى

للطفل حتى ينمو نموا سليما .

ويشير القرآن الى عاطفة الأمومة وشوقها المتلهف الى حب الابن

كما فى قصة سيدنا موسى . وكذا شوق الاب للبنوة وحب الابناء كما فى

دعاء زكريا عليه السلام .

ويصف القرآن عواطف الام وحبها لاولادها وشغفها بهم وخوفها عليهم

وحزنها لبعدهم عنها ، وفرحها لقربهم (٢) منها فقال الله تعالى

: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتَبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَاهَا عَلَىٰ

قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٣) .

(١) أخرجه البخارى كتاب التمنى باب ما يجوز من اللو ص ١٠٦ ج ٩ -

وكتاب مناقب الانصار باب مناقب الانصار والذين تبؤ الدار - ص

٣٨ ج ٥ باب قول النبی صلى الله عليه وسلم لولا الهجرة لكنت من

الانصار - ص ٣٨ ج ٥ . كتاب المغازى باب غزوة الطائف ص ٢٠١ ج ٥

• حديث الانصار كتاب الزكاة باب اعطاء المؤلفه ومن يخاف على

ایمانه ص ١٥١ ج ٧ ، ص ١٤٢ - ١٥٣ - ١٥٦ ، وحديث ٣٩٠١ .

وأخرجه ابن ماجه كتاب المقدمة باب فضائل اصحاب رسول الله

وفضل الانصار ص ٥٧ ج ١ رقم الحديث ١٦٣ . وأخرجه احمد فى

مسنده ج ١ ص ٥ و ج ٢ ص ٤١٠ - ٤١٤ - ٤١٩ - ٤٦٩ - ٥٠١ ، ج ٣

ص ٥٧ - ٦٧ - ٧٧ - ٨٩ - ١٦٩ - ١٧٢ - ١٨٨ - ٢٤٦ - ٢٤٩ - ٢٧٥ -

٢٨٠ ، ج ٤ ص ٤ ص ٤٢ ، ج ٥ ص ١٣٧ - ١٣٨ - ٣٠٧ .

(٢) القرآن وعلم النفس المعاصر - عثمان نجاتى ص ٣٧ . "بتصرف "

(٣) سورة القصص آية : ١٠ .

وقال الله تعالى فى بيان شغف الالباء بأبنائهم والامهات بأبنائهن
(لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) (١) .

وفى دعاء زكريا عليه السلام لشغف الوالد بحب الولد وطلبه ابناء
حتى قال (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (٢) .

ويشير القرآن الكريم الى حاجة الطفل الى امه وحبها لها " لكى
يشبع الطفل دافع الحب والعطف والحنان يوصينا القرآن باتمام
الرضاعة عامين كاملين تأكيداً لاشباع الدافع الى الحب والحنان
للطفل الرضيع (٣) قال الله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ
أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ
الْمَصِيرُ) (٤) .

ومن أجل ذلك يضع الاسلام ضوابط لغريزة الحب والكره ضوابط تتصل
بالروح وضوابط تتصل بالعقل وجميعها تتصل بالله (٥) .

ولذا فان الاسلام اباح الحب فى الله والبغض فى الله الذى قام به
المجتمع فى الرعيل الاول فكون مجتمعا منقطع النظير .

هكذا عالج الاسلام الدوافع الفطرية الاولى - والمكتسبة الثانوية
ليس هنالك قمع لهذه الدوافع ولا انكار لها بل اقرار بها واعتراف
كامل بكل الدوافع .

وان كان القرآن لم يذكر لنا كل الدوافع بل ذكر بعضها فانما

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٣٨ .

(٣) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام د . محمد محمود محمد ص ١٤٨
"مرجع سابق .

(٤) سورة لقمان آية : ١٤ .

(٥) دراسات فى النفس الانسانية ص ١٥٢ - مرجع سابق .

هو بذلك يفسح لنا المجال للنظر والتتبع والاستنتاج بناء على الدوافع الكبرى التي اشار اليها .

وانا اذا نظرنا الى كتاب الله عزوجل لا نجده يسميها دوافع وانما لها مسميات اخرى سوى الدوافع ولذا يقول الهاشمي .

(بالنسبة للدوافع نجد ان القرآن يضى عليها سمات محببة لان

الله فطر الناس عليها وام تلك السمات القرآنية للدواع ما يلي (١) دوافع طيبات وحلال وخير وهذه الصفات من اشد درجات الاعتراف

بهذه الدوافع واحترامها . وعدم محاولة التنكر لها او محاربته فليس فى التربية القرآنية كبت (١ و عقد) للدوافع

بل هى حلال ومن الطيبات . (١) .

(٢) وهى عامة للناس جميعا قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ

كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) (٢) اذن دافع الاكل حلال وطيب .

وصف المال بأنه خير لانه يؤدي الى الخير " فالمال وسيلة لفعل

الخير انفاقا ووسيلة لرخاء العيش شكرا لله تعالى وذلك خير

ايضا (٣) .

قال الله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) (٤) .

(٣) الدوافع زينة الحياة لانها تجعل الحياة ذات بهجة وحيوية تدفع

للعمل والكسب والانجاب للبنين والبنات ودافع الاكل والشرب

وارتداء الملابس الجميلة . كما نجد ذلك مفصلا فى الايات

التالية :-

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم للهاشمي ص ٢١٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٨ .

(٣) لمحات نفسية فى القرآن الكريم للهاشمي ص ٢١٤ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٠ .

دافع المال قال الله تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) (١)
 دافع حب الزينة والاقرار بها قال الله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادَةٍ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (٢) .

(٤) ان تكون الدوافع فى مستواها الطبيعى دون تعمد الاشارة الاصطناعية المتكلفة لان الاستشارة ترهق الاعصاب والعضلات والاجهزة العضوية الجسمية المتصلة بتلك الدوافع (٣) .
 هكذا ظهر لنا موقف الاسلام من الدوافع وهو وان لم يسمها دوافع ولكنه سماها باسماء اخرى كزينة وحلال وطيبات " فدوافع الفرد هى نقط الابتداء التشرب معارف ومهارات من يعتمد عليهم ممن هم اكثر نضجا وهى كذلك حواسنا التى نرسلها لجمع الغذاء الذى نحتاج اليه من التقاليد والتى تجعل من الطفل فى الوقت المناسب فردا قادرا على العمل المستقل وهى الوسائل لتحويل القوة الاجتماعية الحالية الى قدرة فردية وهى وسائل لنمو العقول (٤)
 فكان من الطبيعى ان لا يحاربها الاسلام ولا يكبتها بل نظمها كما يقول سيد قطب " كل دافع من الدوافع يحمل معه قوته الدافعة . ولكنه يحملها بطريقة فذة فيها كل الضمانات التى تضمن الا يتعطل الدافع او تغلبه العقبات . لا يكفى ان يكون الدافع من الخلف بل يصحبه الجذب من الامام حتى اذا ضعفت

(١) سورة الكهف آية : ٤٦ .

(٢) سورة الاعراف آية : ٣٢ .

(٣) لمحات نفسية فى القرآن الكريم ص ٢١٤ " بتصرف " .

(٤) الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى - جون ديوى - ص ١١٦ .

احدى القوتين لسبب من الاسباب كانت كفيلة بآداء الدور المطلوب (١)
ويقصد بالآخرى هى الضوابط لذا فشاير الى تعريف الضوابط .

الضوابط فى اللغة :-

(ضبطه ضبطا وضباطه حفظه بالحزم . ورجل وجمل ضابط وضبطى قوى
شديد وتضبطه اخذه على صبر وقهر) (٢)
وجاء فى لسان العرب الضبط لزوم الشيء وحبسه . وضبط علمه يضبط
ضبطا وضباطه لزوم الشيء لا يفارقه فى كل شيء . وضبط الشيء حفظه
بالحزم والرجل ضابط أى حازم . يقال فلان لا يضبط عمله اذا عجز عن
ولايه ما وليه . (٣)

وقيل ضبطه ضبطا وضباطه حفظه حفظا بليغا ولزمه وقهره وقوى
عليه واحكمه واتقن عمله . وفلان لا يضبط عمله أى لا يقوم لما فوض
اليه ولا يضبط قراءته ولا يحسنها (٤) . وضبط الكتاب ونحوه اصلح
خلله أو صححه وشكله . ويقال ضبط البلاد وغيرها قام بأمرها قياما
ليس فيه نقص . (٥)

اذن الضبط صنعه تؤدى الى الاتقان فى العمل والقوة والشدة .
وهذا يعنى ان الضبط هو الذى يوجه الدوافع توجيهها سليما بحيث تؤدى
الى القوة والشدة والتوازن مع متطلبات الانسان . لذا يعرف علماء
النفس الضوابط بما يلى :-

- (١) دراسات فى النفس الانسانية - سيد قطب - ص ١٦٨
- (٢) القاموس المحيط - ج ٢ - ص ٣٨٤ .
- (٣) لسان العرب ج ٩ ص ٢١٤ . وانظر ايضا تاج العروس ج ٥ ص ١٧٤
- (٤) اقرب الموارد - ط ١ ص ٦٧٥ .
- (٥) المعجم الوسيط ج ٢ ص ٥٣٥ .

الضوابط قوة فطرية تولد مع الانسان كامنة فى كيانه ولكنها لا تظهر فى مبدا الامر كما تظهر الدوافع . ثم انها فى حاجة الى مساعدة خارجية ليتم لها النماء والنضج والا بقيت ضامرة لا تؤدى وظيفتها كاملة فى حياة الانسان . (١)

اذن فى كيان الانسان قوة ضابطة تمنع الشط فى اى دافع من الدوافع الفطرية او المكتسبة . (٢) .

ويظهر من هذا ان الاسلام لم يترك الدوافع سواء الفطرية ام المكتسبة بدون تهذيب او ضبط بل جمعها تحت لواء عاطفة كريمة هى التدين والخشوع والخضوع لطاعة الله سبحانه وتعالى .

فقد اعد الاسلام للعبد المؤمن اجرا وثوابا كبير ازاء تهذيبه لدوافعه واشباعها بالطرق الشرعية السوية التى ترضى الله تعالى ورسوله الكريم (٣) .

وفى ذلك حديث جامع يضع الفرد امام نفسه فيسمو بكل دوافعه ويعلو بها ليصل الى درجة التقوى . عن ابن عباس قال : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَقَالَ يَا غُلَامُ مِمَّ عَلِمْتُكَ كَلِمَاتٍ يَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تَجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ (٤) .

(١) دراسات فى النفس الانسانية - سيد قطب ص ١٧٣ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٠

(٣) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - د. محمد محمود محمد ص ١٦٤

(٤) أخرجه الترمذى كتاب صفة القيامة باب ٥٩ ص ٦٦٧ ج ٤ . حديث

قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقد زود الله سبحانه وتعالى الانسان بوسائل الادراك والتي هي بدورها تعمل كضوابط تحد من حدة الدوافع وتوجيهها التوجيه السليم فقال تعالى فى بيان هذه الوسائل (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (١) فالعلم وسيلة من وسائل الادراك وهو ايضا وسائل انضباط الشهوات وعدم اندفاعها الا بعد الوعى والادراك زوده قال الله تعالى : (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) (٢) .

فهذه الوسائل الثلاث يستطيع الانسان بها ادراك ما ينفعه مما يضره وبالتالي يمكن بعد هذا الادراك ان تكون ضوابط للاندفاع المتهور وراء الشهوات .

وزوده بارادة والاختيار قال الله تعالى (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (٣) وقال الله تعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (٤)

فان كان قد زود الانسان بوسائل الاختيار والمعرفة فهو جدير بأن يختار احسن الطرق الموصلة الى رضى الله فى الدنيا والاخرة فيستطيع تعمير هذه البسيطة كما هيا الله لها ويستطيع ايضا بذلك ان يصل الى رضوان الله سبحانه وتعالى من حدة هذه الشهوات وتوجيهها التوجيه المناسب لتعمل فى الحياة الدنيا باتزان تام .

(١) سورة البقرة آية : ٣١ .

(٢) سورة الملك آية : ٢٣ .

(٣) سورة الشمس آية : ٧ - ١٠ .

(٤) سورة البلد آية : ١٠ .

الباب الثاني

ضوابط السلوك النفسية

وهو في عشرة فصول :-

الفصل الأول : الاستقامة .

الفصل الثاني : تحسين ما حسنه الشرع وتقيح ما قبحه .

الفصل الثالث : الاقتداء بالنبيين والذين معهم .

الفصل الرابع : اجتناب البدعة .

الفصل الخامس : مراقبة الله عز وجل .

الفصل السادس : امتلاك زمام النفس ونهيتها عن الهوى .

الفصل السابع : الرغبة في الجنة وما فيها والرغبة من النار وما فيها

الفصل الثامن : الحب في الله والبغض في الله .

الفصل التاسع : احترام الآداب العامة في المجتمع المسلم .

الفصل العاشر : حذر المسلم أن يكون مفتاحا للشر .

ضوابط السلوك النفسية

ويقتضى منهج البحث ان اشير الى معنى الضابط والسلوك فى اللغة والاصطلاح .

اولا : الضوابط - :

١ - الضوابط فى اللغة - :

(ضبطه ضبطا وضابطه حفظه بالحزم ورجل ضابط وضبطى قوى شديد وتضبطه اخذه على صبر وقهر) (١) .
وجاء فى لسان العرب رجل ضابط أى حازم وضبط الشيء أى حفظه بالحزم (٢) .

فاذا من معنى الضبط اللغوى يتجلى لنا ان الضبط وسيلة من وسائل المنع بالقوة والشدة فان كان السلوك سيئا اضطر الانسان الى استخدام الضبط لمنع الفعل القبيحة ومن هنا يظهر لنا دور الضبط فى تنشئة الجيل .

٢ - الضوابط فى الاصطلاح - :

ان الضوابط قوة فطرية تولد مع الانسان كامنة فى كيانه ولكنها لا تظهر فى مبدا الامر كما تظهر الدوافع ثم انها فى حاجة الى مساعدة خارجية ليتم لها النماء والنصح والا بقيت ضامرة لا تؤدى وظيفتها . (٣)

(١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٧٠ .

(٢) لسان العرب ج ٩ ص ٢١٤ .

(٣) دراسات فى النفس الانسانية ص ١٧٣ .

ثانياً السلوك :-

١ - في اللغة :-

السلوك مصدر تسلك طريقاً وسلك المكان يسلكه وسلوكاً وسلكه غيره وفيه واسلكه اباه وفيه وعليه (١) .

وقيل السلوك سيره الانسان ومذهبه واتجاهه يقال فلان حسن السلوك او سيء السلوك (٢)

٢ - السلوك فى الاصطلاح :-

هو عمل ارادى يسمى سلوكاً تقول الصدق والكذب والكرم والبخل . والسلوك الانسانى اسس نفسيه يصدر عنها كالغريزة والعادة ولا تقع حواسنا على هذه الاسس ولكن على اشارها وهى السلوك فنحن لا نحس بالغريزة ولكن نحس بما يصدر عنها وبمعرفة اسس السلوك نستطيع ان نعالجه ان كان سيئاً او تشجيعه ان كان حسناً (٣) .

فالانسان كما يصوره القرآن كائن متعدد الميول والمواهب والحاجات وتستقطب قراه ثنائية ظاهرة فهناك الميول الروحية او الروح التى تقوم بضبط الميول الانسانية واخضاعها لمقتضيات الدين والرسل والرسالات لطف الهى فالانسان هدفه التمكين للميول الروحية لديه (٤)

(١) لسان العرب ج ١٠ ص ٤٤٢ .

(٢) المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٤٧ مجمع اللغة العربية دار احياء التراث - بيروت .

(٣) الأخلاق موسوعة احمد امين الادبية ص ٢٤ دار الكتاب العربى .

(٤) الفضائل الخلقية في الاسلام احمد عبد الرحمن ابراهيم ص ١٣٧ .

فاذا دوافع السلوك ذات قيمة خاصة بالنسبة للتربية لان الهدف العام من التربية هو تكوين المؤمن الصالح الذى يتميز بعملية توافق سليمة مع بيئته الخارجية بحيث ينسجم مع مجتمعه طالما انه جزء فى هذا المجتمع ولا شك ان المؤمن الصالح لا بد ان يتميز بشخصية سليمة تتصف بتنظيم دوافعها الداخلية مع متطلبات الدين والحياة .
 (وهكذا يتصف السلوك الحيوى بصفات مختلفة فهو غرض بمعنى انه لا سلوك دون دافع معين يكمن وراءه يحدد له الهدف الذى يرمى اليه ولكى يحدث السلوك لا بد له من وجود حافز او دافع له . (١)
 ومن هنا يبرز لنا أهمية السلوك وسبب الاهتمام به اذ بمقتضاه تهذب الاخلاق وبدراسة السلوك يستدل على سلامة حسن الفعل او قبحه فان كان حسنا كان السلوك عليه حسنا وان كان سيئا وجه الطفل او الناشئة للانضباط امام الفعل القبيح ليمنع عنه .
 وسأعرض الى ضوابط السلوك النفسية واثرها على ضبط النفس عن اتباع الهدى .

(١) علم النفس التربوى . احمد زكى صالح ص ٧٩٠ - ٧٩١ يتصرف - مكتبة النهضة .

الفصل الأول

الاستقامة

الاستقامة

ان الله سبحانه وتعالى قدم للانسان رسم منهاج يسير عليه وخطة يلتزمها في سلوكه مع الله ومع غيره . وهذا المنهج يتلخص في امرين :-

١ - صحة الايمان بالغيب كله كما جاء في القرآن بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تاويل .

٢ - التزام كتاب الله وما فسرته به سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ومتابعة هذا المنهج وترسم هذه الخطة هو المعبر عنه بلا استقامة وقد اشار الله سبحانه الى هذا في قوله الكريم : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَطَعْنٌ بِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١)

اي ان صراط الله وطريقه الذي جعله منهاج للسلوك مستقيما لا عوج فيه وان على الناس ان يتبعوا هذا الطريق السوي وانهم اذا اتبعوه وساروا عليه امنوا من الزيغ والضلال في الدنيا وسعدوا برضوان الله ونعيمه في الآخرة . (٢) .

ولهذا فمنهج الله عزوجل هو المنهج القويم والذي يستحق الدائمة عليه لكي ينضبط سلوك الفرد والمجتمع معا عليه فلا اتباع للاهواء ولا سلوك على مبادئ مبتدعه واهواء متفرقة بل هو منهاج واحد وثبات عليه كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ) (٣) . فالامر له وامر لأمته بدوام السير على منهاج الله عزوجل . ولذا فساتطرق في هذا الفصل الى الاستقامة وموقف الاسلام من هذا المنهج الذي رسمه سبحانه وتعالى لعباده .

(١) سورة الانعام آية ١٥٣ .

(٢) اسلامنا سيد سابق ص ١٤٥ دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

(٣) سورة الشورى آية : ١٥ .

الاستقامة فى اللغة :-

الاستقامة التقويم - استقامت المتاع اى قومته - والقائم بالدين المتمسك به الثابت عليه وكل من ثبت على شىء وتمسك به فهو قائم عليه قال تعالى : (لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ) (١) . انما هو من المواظبة على الدين والقيام به . وقال الفراء القائم المتمسك بدينه . وقال تعالى : (لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) (٢) اى مواظبا ملازما . يقال قام فلان على الشىء اذا ثبت عليه وتمسك به اى داوموا لهم فى الطاعة واشبتوا عليها ما داموا على الدين وثبتوا على الاسلام يقال قام واستقام كما يقال اجاب واستجاب قال الخطابى الاستقامة هنا الاقامة على الاسلام . (٣) .

الاستقامة فى الاصطلاح :

اولا الاستقامة عند المفسرين :

وقد وضع علماء التفسير لهذا المصطلح عدة تعريفات :-

(١) الاستقامة هى لزوم المنهج المستقيم وهو التوسط بين الافراط والتفريط وهى كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل وسائر الاخلاق فتشمل العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين والامور الخاصة به . (٤) .

فعلى هذا التعريف يتضح لنا ان الاستقامة تشمل كل ما يتعلق بالحياة من العلم والعمل والاخلاق والعقائد .

-
- (١) سورة آل عمران آية : ١١٣ .
 (٢) سورة آل عمران آية : ٧٥ .
 (٣) لسان العرب ج ١٢ ص ٥٠٠ - ص ٥٠١ .
 (٤) تفسير روح المعانى للالوسى ج ١٢ ص ١٥٢ .

تعريف القرطبي :-

٢ (الاستقامة :) اعتدلوا على الطاعة عقدا وقولا وفعلوا وداموا على ذلك . (١)

والاعتدال بمعنى المتوسط فقد اتفق مع الالوسي في ان المتوسط هو من
٣ (الاستقامة . وقد نقل العلماء تفسير الصحابة رضى الله عنهم
للاستقامة فقالوا : قال ابو بكر رضى الله عنه : (فى الاستقامة
ان لا تشرك بالله شيئا) (٢) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
: (هى ان تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ روغان الثعالب) .
وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : (هى اخلاص العمل لله) .
وقال على ابن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس : (الاستقامة
اداء الفرائض) .

وقال الحسن : (الاستقامة هى العمل بالطاعات واجتناب المنهيات)
وقال مجاهد : (استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى
لحقوا بالله) (٣) .

(١) القرطبي ج ١٥ ص ٣٥٨ .

(٢) مدارج السالكين ج ٢ ص ١٠٨ . للامام السلفى المحقق ابى عبد
الله محمد ابى بكر بن ايوب ابن قيم الجوزية . دار الكتب
العلمية - بيروت .

(٣) ص ١٠٩ ج ٢ المدارج وانظر رايضا تفسير روح المعانى للالوسي
ج ٢٤ ص ١٢١ .

٤ - تعريف الهروى (١) :

يقول الهروى : (الاستقامة روح تحس بها الاحوال كما تربو للعامة عليها الاعمال . وهى برزخ بين اوهاد التفرق وروابى الجمع) (٢) .

٥ (وقال ابن القيم قولاً جامعاً فى تعريف الاستقامة :

(الاستقامة هى السداد والاصابة فى النيات والاقوال والاعمال (٣) فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجاميع الدين وهى القيام بين يدى الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد . والاستقامة تتعلق بالاقوال

(١) شيخ الاسلام هو الحافظ الزاهد ابن اسماعيل عبد الله بن محمد بن على بن محمد بن احمد بن على بن جعفر بن منصور بن حسن الانصارى الهروى . من ذرية ابي ايوب الانصارى رضى الله عنه ولد سنة ست وتسعين وثلاث مائة . صنف الاربعين وكتاب الفاروق فى الصفات وكتاب ذم الكلام واهله وكتاب منازل السائرين . وكان سيفاً مسلولاً على المخالفين وجزعاً فى اعين المتكلمين وقد امتحن مرات قال ابن طاهر وسمعته يقول بهراه عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لى ارجع عن مذهبك لكن يقال لى اسكت عن خالفك فاقول لا اسكت . وهو من دعاه السنة وعصبه آثار السلف .

توفى فى ذى الحجة سنة احد وثمانين واربع مائة وقد جاوز اربعا وثمانين سنة ١١٨٣ ص ١١٩٠ تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ .

(٢) منازل السائرين للهروى مرجع سابق . ص ٣٢ / لشيخ الاسلام عبد الله الانصارى الهروى - ٣٩٦ - ٤٨١ ، حققه وترجمه وقدم له الاب دى لوجيه دى بوركى الدومنى . مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة عام الطبع ١٩٦٢ هـ .

(٣) ص ١٠٩ المدارج ج ٢ .

والأفعال والأحوال والنيات فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله . (١)

فعلى هذا فشرط الاستقامة وقوعها لله أى اخلاص وخلوص العمل من الرياء . والمتابعة في أمر الله عزوجل فلا يزداد على فرائضه ولا ينقص منها لتقع الاستقامة في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .
ثانيا : الاستقامة عند المحدثين :-

١ - هى لزوم طاعة الله تعالى - وهى من جوامع الكلم وهى نظام الأمور . (٢) .

٢ - الاستقامة هى التزام منهج الاسلام . (٣)
فلو نظرنا الى تعريفات العلماء جميعها نجد أنها تتفق فى تعريف الاستقامة على النحو التالى :-

- ١ (المداومة على العمل .
 - ٢ (المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما شرع .
 - ٣ (الاخلاص وخلوص العمل من الرياء والسمعة ظاهرا وباطنا قولاً وفعلاً .
 - ٤ (الاعتدال فلا افراط ولا تفريط .
 - ٥ (الاستمرار على الطاعة فلا يقطعها لعارض طرا عليه .
- ورود الاستقامة في القرآن :-

وقد وردت الآيات فى كتاب الله تحث على الاستقامة والماتبة ولزوم العمل فقال تعالى موجهها الخطاب لخير البرية وقدوة الأمة محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

- (١) ص ١١٠ المدارج ج ٢ .
- (٢) ج ١ ص ٢٨٢ دليل الفالحين .
- (٣) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ص ١٢٠ .

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١) .

والمراد أن الاستقامة لا تتحقق الا اذا التزم المرء ما امر الله به وان النبي صلى الله عليه وسلم مطالب من الله بأن يلتزم الاستقامة هو ومن معه فمن تاب عن الشرك ورجع الى الله واتبع النبي صلى الله عليه وسلم الامى وان المؤمنين لا يحل لهم تجاوز ما امر الله به غلوا فى الدين فان ذلك طغيان والله مطلع على اعمال الناس يبصرها ويراهما فيجازى عليها الجزاء العادل ان خيرا فخييرا وان كان شر فشر . (٢) .

وقال القرطبي : (الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره فاستقم على امتثال امر الله والمراد اطلب الاقامة على الدين من الله واسأله ذلك) .

فيدخل فى الخطاب اصحابه الذين تابوا عن الشرك وايضا امته من بعده (٣) (فاستقم انت يا محمد على امر ربك والدين الذى بعثك به والدعاء اليه كما امرك ربك ومن تاب معك اى ومن رجع معك الى طاعة الله والعمل بما امره ربه من بعد كفره) (٤)

وقال الالوسى والظاهر ان هذا امر بالدوام على الاستقامة وهى لزوم المنهج المستقيم . (٥)

فلم يكتف تعالى بأن يدعوا محمدا صلى الله عليه وسلم الى الاستقامة ولا امته بل بين ان منهج دعوة صلى الله عليه وسلم اصلا هي

(١) سورة هود آية ١١٢ .

(٢) اسلامنا ص ١٤٨ ، ١٤٩ مرجع سابق .

(٣) ص ١٠٧ ج ٩ تفسير القرطبي مرجع سابق .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١٢ ص ٧٥ .

(٥) ج ٢ ص ١٥٢ تفسير روح المعانى للالوسى مرجع سابق

الدعوة الى الصراط المستقيم فقال تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَرِبُونَ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (١)

فلما بين سبحانه زيف بعض الطرق اتبعه ببيان صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) لأن ما دل الدليل على صحته فهو فى باب الاستقامة ابلغ من الطريق المستقيم - اما الذين لا يؤمنون بالآخرة فهم عادلون عن الطريق المستقيم (٢) .

وفى هذا اشارة الى التوجيه السماوى الذى كرم الله به المؤمنين والقانون الالهى الذى شرعه لغيرهم ونفعهم ضبطا للصلة القائمة بين المخلوق والخالق وتنظيما للعلاقة القائمة بين الانسان واخيه الانسان . (٣) ولم يكتف بهذا فحسب بل جعل منهجه صلى الله عليه وسلم هى الاستقامة على الصراط المستقيم والدعوة اليه . فقال تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٤) .

أى هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى ادعو على بيان وحجة واضحة غير عمياء . (٥)

فهذا هو شبابه فى الدعوة الى الله عزوجل والاستقامة على منهج التوحيد والايمان به عزوجل ولذا فقد اثنى الله على سائر المؤمنين الذين ساروا على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاستقامة

(١) سورة المؤمنون آية : ٧٣ - ٧٤ .

(٢) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ٢٣ ص ١١٢، ١١٣ "بتصرف" .

(٣) التيسير فى احاديث التفسير / محمد مكى الناصرى - دار الغرب

الاسلامى ج ١ ص ٢٠ ، ١٤٠٥ هـ ط ١ .

(٤) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٥) روح المعانى للالوسى ج ١٣ ص ٦٧ .

على الدين والثبات عليه فلم يروغوا عنه ولم يميلوا يمنة ولا يسرة بل التزموا المنهج القويم فاشنى الله عليهم بقوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) (١) .

وفى هذه الآية بيان فضل المؤمنين الذين استقاموا ويقول العلماء فى ذلك " ١ى ان الذين آمنوا بالله ايماناً حقاً واستقاموا على الطريق الذى رسمه لعباده . (٢) وتشمل :-

- ١ - الاقرار بوحدا نيته فلم يرجعوا الى الشرك .
- ٢ - المداومة على العمل الصالح والثبات عليه .

اذن فليس المراد من الاستقامة القول باللسان فقط لان ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا ان ذلك القول كان مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية ففى الاستقامة قولان :-

- ١ - ان المراد منه الاستقامة فى الدين والتوحيد والمعرفة .
 - ٢ - ان المراد منه الاستقامة فى الاعمال الصالحة فهذا قول جماعة .
- كبيرة من الصحابة والتابعين قالوا وهذا اولى حتى يكون قول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) متناولا للقول والاعتقاد ويكون قوله ثم استقاموا متناولا للاعمال الصالحة (٣)

(١) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٢) اسلامنا سيد سابق مرجع سابق ص ١٤٨

(٣) ص ١٢١ ، ١٢٢ ج ٢٧ . التفسير الكبير مرجع سابق وانظر ايضا

دليل الفالحين ج ١ ص ٢٨٤ .

فهذا اثناء جميل على الذين آمنوا ثم استقاموا وقد تضمنت الآية عدة بشارات لهم وتشمل :-

- ١ - نزول الملائكة تبشرهم ان لا تخافوا من الموت وما بعده .
- ٢ - وان لا تحزنوا على ما خلفتم من اهل وولد فنحن نخلفكم فيهم (١)
- ٣ - وقيل تنزل عليهم يمدونهم فيما يعن ويطرا لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام .
- ٤ - وقيل لا تخافوا رد حسناتكم فانها مقبولة . ولا تحزنوا على ذنوبكم فانها مغفورة .
- ٥ - وقيل المراد نهيمهم على الغموم على الاطلاق . فعلى هذا يكون المعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا . (٢)
- ٦ - ولهم عند الله جميع الرغبات التى تشتهيها انفسهم ولهم جميع ما يطلبون وان ذلك اعد الله لهم لانه غفور يتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم برحمته فى عباده الصالحين . (٣)

لكن ثمرة الاستقامة اعتقادا وعمل فجزاء الاستقامة عظيم عند الله وذلك لعظمها وصعوبة الالتزام بها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية اشد من هذه الآية ولا اشق منها . واستدل بعض المفسرين على عسر الاستقامة (٤) بما ثبت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال : قال ابو بكر الصديق

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج ١ ص ٢٨٢ ، وانظر ايضا

اسلامنا سيد سابق مرجع سابق ص ١٤٨ .

(٢) روح المعانى لالوسى ج ٢٤ ص ١٢١ .

(٣) اسلامنا مرجع سابق ص ١٤٨ .

(٤) روح المعانى ص ١٥٤ ج ١٢

رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اراك قد شئت قال
 شيبتنى هود والواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت . (١) وذلك
 لأن الاستقامة تلزم الثبات على العمل والدوام عليه وهى بتوفيق من
 الله عزوجل وبهدايته ولذا قال تعالى (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَى الَّذِينَ
 آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢)

قال الالكوسى : المراد بالصراط المستقيم النظر الصحيح الموصل
 الى الحق الصريح أى انه تعالى لهادى المؤمنين فى الامور
 الدينية (٣) وهذه دعوة المؤمنين الخالدة اذ يدعو كلا منهم بالثبات
 على الهدى ولذا قال تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (٤)
 والمعنى على ذلك أى ثبتنا على الهدى أى العمل بما امر الله
 به وترك ما نهى الله عنه فى جميع الامور والهدى الى الصراط
 المستقيم يتناول التعريف بما جاء به الرسول مفصلا ويتناول التعريف
 بما يدخل فى اوامره الكليات ويتناول الهام العامل بعمله فان مجرد
 العلم بالحق لا يحصل به الاهتداء ان لم يعمل بعلمه . (٥)

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستقامة والثبات
 على الطاعة ففى صحيح مسلم عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّخَفِيِّ قَالَ : قُلْتُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ قُلْ
 آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ (٦)

(١) اخرجه الحاكم فى مستدركه ج ٢ ص ٣٤٣ كتاب التفسير وقال هذا

حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه . قال الذهبى (خ)

(٢) سورة الحج آية : ٥٤ .

(٣) روح المعانى ج ١٧ ص ١٧٤ .

(٤) سورة الفاتحة آية : ٦ .

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيميه مرجع سابق ج ١٠ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٦) اخرجه مسلم كتاب الايمان فى باب جامع اوصاف الاسلام ج ٢ ص ٨

وقد نقل القاضى عياض رحمه الله فقال " هذا من جوامع كلمة وهو مطابق لقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) (١) أى وحدوا الله وامنوا به ثم استقاموا فلم يحدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى الى ان توفوا على ذلك (٢) وهم ملتزمون بالطاعات ومنتهون عن المخالفات (٣) .

فقوله صلى الله عليه وسلم " قل آمنت بالله " يفيد انه اقرار بالوحدانية ولذا قال العلماء أى جدد ايمانك متذكرا بقلبك ذاكرا بلسانك مستحضرا تفاصيل معانى الايمان الشرعى التى فى حديث جبريل (٤) .

وقد ذكر السائل رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم حاجة أى قولاً جامعاً مانعاً واضحاً فى نفسه بحيث لا يحتاج الى تفسير غيرك لعمل عليه واكتفى به فلا يحتاج بعده ان يسأل لما اشتمل عليه البديع والاحاطة والشمول ونهاية الايضاح والظهور الى ان اسأل عنه احد غيرك (٥) وقال ابن حجر لقد جمع صلى الله عليه وسلم لهذا السائل فى هاتين الكلمتين جميع معانى الايمان والاسلام اعتقاداً وقولاً وعملاً . (٦)

(١) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ج ٢ ص ٨ .

(٣) رياض الصالحين لآبى زكريا ص ٥٥ .

(٤) حديث جبريل . سيأتى تخريجه ص مع كتابته كاملاً ص ٢٦٦ .

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين تأليف محمد بن علان

الصديقى الشافعى الأشعرى المكى - دار الفكر - الطبعة الأخيرة

١٩٧٠م ص ٢٨٣ وانظر ايضا فتح المبين لابن حجر ص ١٧٩ .

(٦) فتح المبين ص ١٨١ .

الخلاصة :-

وفى هذا ضبط لجوارح المرء المسلم على الاستقامة وثبات عليها لأن بها تدوم الطاعة وهى من الشدائد التى لا يطيقها الا مؤمن لذا قال له صلى الله عليه وسلم اول ما قال : (قل آمنت بالله) فالإيمان بالله هو الدافع للثبات على الاستقامة والالتزام بمناهج الإيمان والاسلام وهى من الصعاب التى لا يطيقها الا مؤمن . وقال البيضاوى " وذلك خطب جسيم لا يحصل الا لمن اشرق قلبه بالانوار القدسية وتخلص من الكدورات البشرية والظلمات الانسية وايده الله من عنده واسلم بطبيعته شيطانه بيده وقليل ما هم " (١) .

واهم ما يراعى فيه الاستقامة من الجوارح هو اللسان . ولذا فقد زاد الترمذى فى هذا الحديث زيادة وصفها العلماء بأنها مهمة وقال الترمذى حسن صحيح وهى قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف على فأخذ بلسان نفسه وقال هذا لينبها على ان اعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان فانه ترجمان القلب والمعبر به (٢)

ففى الحديث عن سفيان بن عبد الله الثقفى (٣) قال : (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أُعْتَصِمُ بِهِ قَالَ قُلْ رَجَّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخَوْفَ مَا تَخَافُ عَلَيَّ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ هَذَا) (٤)

(١) حاشية فتح المبين ص ١٨١ .

(٢) فتح المبين ص ١٨١ .

(٣) سفيان بن عبد الله بن ابي ربيعة بن الحارث بن مالك بن حطيظ الثقفى الطائفى . له صحبة ورواية وكان عاملا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على الطائف . انظر اسد الغابة ج ٢ ص ٢٥٣ -

تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١٦ - والتقريب ج ١ ص ٣١١ - ٣١٣ ..

(٤) أخرجه الترمذى كتاب الزهد باب ما جاء فى حفظ اللسان ج ٤ ص

٦٠٧ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

ولما كانت الكلمة فى الاسلام تلقى العناية الخاصة قامت بها حدود وزنت بها الشعوب وتحدد بها العقاب والعذاب فى الدنيا والاخرة فلذا حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلمة وحذر من عواقبها واخرج احمد عن على بن مسعدة (*) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) (١) فقد جعل استقامة الايمان باستقامة الجوارح ولعل اجمع هذه الجوارح القلب فاذا استقام القلب وهذا لن يحصل الا اذا استقام اللسان لانه دليله والناطق بخفاياه واسراره وقعت الاستقامة وحصل الثبات عليها فدعوى الايمان لا تكفى ما لم يدل على الايمان العمل فانه ترجمه له وثمره من ثمراته والاستقامة درجة عليه تدل على كمال الايمان وعلو المهمة (٢) .

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة الكثيرة على ان الايمان يشمل ما فى القلوب من العقائد الصحيحة واعمال القلوب من الرغبة فى الخير والرغبة من الشر واردة الخير وكراهية الشر من اعمال الجوارح ولا يتم ذلك الا بالثبات عليه (٣) .

(*) على بن مسعدة : الباهلى ابو حبيب البصرى قال ابو داود الطيالسى ثقة وقال البخارى فيه نظر وقال ابن حبان لا يحتج بما لا يوافق فيه الثقاب ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٨١ .

(١) اخرجه احمد ج ٣ ص ١٩٨ . ورواه المنذرى وقال رواه احمد وابن ابى الدينا فى الصمت كلاهما من رواية على بن مسعدة وقال البنائى فى الفتح على بن منصور وثقة ابو داود الطيالسى وقال ابو حاتم لا بأس به وقال النسائى ليس بالقوى وقال فى التهذيب لا بأس به ، الفتح الربانى ج ١٩ ص ١٨٤ .

(٢) نزهة المتقين ص ١١٩ مرجع سابق .

(٣) بهجة قلوب الأبرار فى شرح جوامع الأخبار مرجع سابق ص ١٦ .

فالثبات على أعمال الخير خير ضابط لسلوك الفرد وبمراقبة الله وبالتقوى يقوى هذا الضابط ويشدد فالعبرة فى الثبات والقدرة على الاستمرار وهذا ما ترويه كتب الحديث من قصة حواء بنت تويت (١) رضى الله عنها

الحديث الاول :

ففى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَاةٌ قَالَ : مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ فُلَانَةٌ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا قَالَ مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تَطِيقُونَ فوالله لا يمل الله حتى تملوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْمَ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ . (٢)

وفى الحديث فضيلة المداومة على العمل القليل الدائم خير من الكثير المنقطع لان بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والاخلاص والاقبال على الله . (٣)

الحديث الثانى :-

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قَارِبُوا (٤) وَسَدِّدُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوا أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ

(١) حواء بنت تويت : ابن حبيب بن اسد بن عبد العزى بن قصى القرشيه الاسدي ذكرها ابى سعد وقال اسلمت وبايعت . الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١٢ ص ٢٠٧ .

(٢) أخرجه البخارى كتاب الايمان باب أحب الدين الى الله اذومه ج ١ ص ١٧ ، دار الجيل - بيروت وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب المداومة على العمل ص ٤١٦ ج ٢ حديث ٤٢٣٨ وأخرجه احمد ج ٦ ص ٤٦

(٣) فتح البارى ج ١ ص ٨٥ ط ٢ بتصرف .

(٤) المقاربة القصد الذى لا غلو فيه أى مجاوزة المأمور به بزيادة او نقص شئ منه .

بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ . (١)

هكذا وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مداومة الاستقامة والثبات عليها فالسداد بمعنى الاستقامة والاصابة فى الأحوال والأعمال والمقاصد ولأن دعوى الايمان لا تكفى ما لم يدل على الايمان والعمل فانه ترجمة له وثمره من ثمراته (٢).

لذا حثنا رسولنا صلى الله عليه وسلم على الاستقامة لأن الاستقامة دافع الى عمل كل ما يرضى الله سبحانه وتعالى امرا ونهيا . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (الاستقامة أن تقوم على الأمر والنهى ولا تتروغ عنه روغان الثعلب) (٣) فعمر رضى الله عنه يحث على المداومة والثبات على الأوامر والبعد عن النواهي جميعها من غير مخالفة ومن غير مراوغة عن منهج الله عزوجل لا سرا ولا جهرا) . فالاستقامة على هذا المنهج له أثره على سلوك الفرد وسلوك المجتمع على حد سواء " فالمؤمن الصادق الايمان يقف عند حدود الله وينتهى عما نهاه الله وينأى بنفسه عن ارتكاب الموبقات والانغماس فى أحوال المحرمات وارسال العنان للشهوات أن ايمانه يأتى عليه أن يفرغ طاقته فى سهر عابث ولهو محرم . وبذلك يظل محتفظا بحيويته وطاقته الجسدية والعصبية والعقلية والنفسية فلا يصرفها الا فى العمل الصالح أو ما يعين عليه من لهو برىء (٤) بهذا المعنى وعلى هذا النحو كانت الاستقامة ضابطا لسلوكه على النحو التالى :-

(١) أخرجه البخارى كتاب الطب باب تمنى المريض الموت ج ٩ ص ١٥٧

وأخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ج ١٣ ص ١٦٠

وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد ج ٢ ص ١٤٥ . وأخرجه احمد ج ٢ ص ٢٥٦

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج ١ ص ٢٨٥ .

(٣) نزهة المتقين مرجع سابق ص ١٢٠ .

(٤) كتاب الايمان والحياة للقرضاوى مؤسسة الرسالة ط ٩ ١٤٠٣ هـ

١ - فهي ضابط لسلوكه النفسى اذ ان الايمان هنا قد وصل به الى درجة المراقبة لله عزوجل فمنعه نفسيا ان يقع بتفكير او لهو عابث .
 ٢ - وهى ضابط لسلوكه الجسدى وذلك ان استقامته على منهج الله عزوجل حرمت عليه الخمر وما يجده من فتن النساء والوقوع بالمحرمات .

٣ - ضابط لصرف ماله فلا ينفقه فيما حرم الله عزوجل فى شهوات محرمة ولا قمار ولا خمر ولا غيره مما حرمه الله .

" وبذلك يظل محتفظا بحيويته وطاقته الجسدية والعصبية والعقلية واسية فلا يصرفها الا فى العمل الصالح . (١)

هكذا ارادنا الاسلام افرادا لنكون كذلك زمرا وجماعات ولذا فاننا نراه قد ارسى قواعد العقيدة النفسية الصحيحة والاستقامة فى مرحلة الدعوة المبكرة فى مكة فاذا تتبعنا الايات السالفة فى الاستقامة وجدناها مكية على النحو التالى :-

١ - سورة فصلت (حم السجده) وهى سورة مكية وهى من اواثل ما نزل بمكة . (٢)

٢ - سورة هود وهى مكية . (٣)

٣ - سورة الشورى وهى مكية بالاجماع . (٤)

(١) كتاب الايمان والحياة للقرضاوى مؤسسة الرسالة ط ٩ ١٤٠٣ هـ ص ٣٠٤ .

(٢) فصلت مكية نزلت بعد غافر وعدد آياتها ٥٤ .

(٣) سورة هود مكية الا الايات ١٣ - ١٧ - ١١٤ فمدنية واياتها ١٢٣ نزلت بعد يونس .

(٤) سورة الشورى مكية الا الايات ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ فمدنية واياتها ٥٣ .

٤ - سورة الفاتحة . (١)

فاذا هى تربية للأفراد فى أول دعوة للإسلام وفى أول بناء للشخصية الإسلامية بناء للعقيدة الفذة منذ مهدها منذ انتقالها من الديانات ذات العبودية لغير الله إلى دين واحد قوامه التوحيد والاستقامة عليه (والاستقامة من شأنها أن ترقى بالإنسان وتصل به إلى الذروة من الكمال وتحفظ عقله وقلبه من أن يتطرق إليهما الفساد وتصون نفسه من التردى فى حمأة الرذيلة) (٢) ولذا فالاستقامة ضابط للمجتمعات (فاذا سيطرت الرغبة فى الاستقامة على جماعات وسادت بينهم حسنة أحوالهم واستقامت أمورهم وعمهم الأمن والسلام) (٣) هكذا الاستقامة تبني الأفراد الذين تقوم بهم المجتمعات كلها (واذا ضعفت الرغبة فى الاستقامة ضعف الأقبال على الخير وعظم التورط فى الأثم وفشا المنكر وتعرض الفرد والجماعة للانحراف والخطايا والانحلال الذى يعقبه سلب الحرية) (٤).

لذا كانت دعوة الإسلام للاستقامة :

منهج الإسلام فى الدعوة إلى الاستقامة :

وأسلوب القرآن فى الدعوة إلى الاستقامة كاسلوبه فى الدعوة إلى سائر الفضائل والأعمال " أسلوب يستهوى الأفتدة ويؤثر فى النفوس

(١) قال القرطبى اختلفوا فى مكية أم مدنية فقال أبى عباس وقتاده وأبو العالىة وغيرهم هى مكية وقال : أبو هريرة ومجاهد والزهرى وغيرهم هى مدنية ويقال نصفها بمكة ونصفها بالمدينة حكاه أبو الليث السمرقندى والأول أصح - الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١١٥ .

(٢) اسلامنا مصدر سابق ص ١٤٦ .

(٣) نفس المرجع ص ١٤٦ .

(٤) نفس المرجع ص ١٤٦ .

ويحملها على التزامها والتعلق بأهدابها " (١)
 ١- الثناء الجميل على أهل الاستقامة :

قال تعالى فى امتداح أهل الاستقامة وبيان فضلها (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزِّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) (٢)

فيظهر من الآية فضائل الاستقامة على المستقيمين على النحو التالى :-

- ١ - نزول الملائكة عليهم فى الحياة وعند الموت .
- ٢ - تطمين نفوسهم بعدم الخوف وعدم الحزن .
- ٣ - تحمل اليهم البشارة بالجنة .
- ٤ - مناصرة الملائكة لهم .
- ٥ - أن لهم فى الجنة كل ما تشتهى أنفسهم .

هذه البشارات المتتالية فى الآية مع حذف كل ما يكدر صفو الأمن والاستقرار من الحزن أو الخوف هى لأولئك الذين استقاموا على طريقة الله ومنهاجه (والتزم المرء ما أمر الله به ليتحقق له الاستقامة (٣) .

٢- دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه الى الاستقامة :-

قال تعالى (فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٤)

(١) اسلامنا ص ١٤٨ .

(٢) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٣) اسلامنا ص ١٤٨ .

(٤) سورة هود آية : ١١٢ .

فدعوته فى هذه الآية هى دعوة عامة للجميع موجهة لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث انه مطالب بالاستقامة وهى ايضا لكل من سار على نهجه واتبع منهجه فى سلوكه . فالامر يشمل الجميع فى الحث على الاستقامة ودوام السلوك عليها . ثم التحذير المرعب فى النهى عن الطغيان ومجاورة الحد فى ترك الاستقامة وان المؤمنين لا يحل لهم تجاوز ما امر الله به علو فى الدين فان ذلك طغيان والله مطلع على اعمال الناس يبصرها ويراها فيجازى عليها الجزاء العادل ان خيرا فخير وان شرا فشر . بل وبلغ من اهتمامه تعالى انه هو الذى يتولى الهداية اليها (١) .

(وَأَنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢)

قال الالوسى فى تفسير هذه الآية : المراد بالذين آمنوا المؤمنون من هذه الامة على تقدير التخصيص . والمؤمنون مطلقا على تقدير التعميم والمراد بالصراط المستقيم النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح اى انه تعالى لهادى المؤمنين فى الامور الدينية خصوصا (٣) .

٣ - انزال الكتب التى تدعو الى الاستقامة :-

ولاجل هذه الهداية انزل كتبه ليهدى بها الناس الى الاستقامة على الصراط قال تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (٤) . اى لتخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال والطغيان الى نور الايمان والهداية والاستقامة على هذا الطريق .

(١) اسلامنا ص ١٤٩ .

(٢) سورة الحج آية : ٥٤ .

(٣) روح المعانى للالوسى ص ١٧٤ ج ١٧ .

(٤) سورة ابراهيم آية ٢ .

٤ - التزام النبی صلی اللہ علیہ وسلم بالاستقامة :

فقد بینها فی سلوكه اوضح بیان (١) قال تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (٢) .

٥ - الاقتداء بالنبي صلی اللہ علیہ وسلم :-

فی طلب الاستقامة والثبات علیها لذا نجدهم يهتفون من اعماق قلوبهم فی كل ليلة (٣) (اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (٤) .

هكذا دعا الاسلام الى الاستقامة والى السلوك علیها حتى التزم بها سائر المؤمنین ودعوا بها من اعماق قلوبهم ليعضوا على الصراط وعلى النهج القويم حتى يصلوا الى النجاة .

ولذا فان الاسلام رسم خطوطا عريضة لهذا الطريق والوصول اليه فالاستقامة امر شاق مما يلزم وضع طريقا قويا لكي يصل المرء الى الاستقامة .

الطرق الموصلة الى الاستقامة :-

وقد اشار ابن القيم الى هذه الطرق الموصلة الى الاستقامة حيث قال : اقرب الطرق المؤدية الى الاستقامة طريقان :

١ - حراسة الخواطر وحفظها والحذر من اهمالها والاسترسال معها فان اصل العناد كله من قبلها يجيء لانها هي بذر الشيطان . (٥)

(١) اسلامنا ص ١٤٨ .

(٢) سورة الشورى آية : ٥١ ، ٥٢ .

(٣) اسلامنا ص ١٤٨ .

(٤) سورة الفاتحة آية : ٦ .

(٥) كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتین لابن القيم الجوزية - دار الكتاب العربی بیروت ص ٢٢٠ .

فهو بهذا يدعو الى مقام جليل اى مقام المراقبة لله عزوجل حتى فى الخواطر فاذا حصلت هذه المراقبة استقام حال الفرد وصلاح ظاهره وباطنه وسأعرض فى فصل كامل اثر المراقبة على سلوك الفرد ان شاء الله .

وقد اشار ابن القيم الى طرق حفظ الخواطر :

١ - " العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه ونظره الى قلبك وعلمك بتفصيل خواطرك " (١) فالعلم والايمان بان معية الله مع الفرد وانه محيط به فهو بهذا يكون ضابطا لسلوك الفرد عند تفردده اذ يشعر المرء انه مراقب من الله عزوجل .

٢ - حياؤك منه :-

ويقصد بالحياء من الله عزوجل والحياء ايضا ضابط لسلوك الفرد اذ يمنعه من ارتكاب ما يتسنى .

٣ - اجلالك له ان يرى مثل تلك الخواطر .

٤ - خوفك منه ان تقع عينه على تلك الخواطر .

٥ - ايثارك له ان تساكُن قلبك غير محبته .

خشيتته ان تتولد تلك الخواطر ويشعل شرارها فتاكل ما فى القلب من الايمان ومحبة الله فتذهب به جملة وانت لا تشعر .

٦ - ان تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هى وخواطر الايمان ودواعى المحبة والايمان اصلا بل هى ضدها من كل وجه وما اجتمعتا فى قلب الا غلب احدهما صاحبه واخرجه واستوطن مكانه .

٧ - ان الخواطر بحر من بحور الخيالات لا ساحل له فاذا دخل القلب فى غمراته غرق منه .

٨ - ان الخواطر تنثر الندامة والخزى واذا غلبت على القلب اورشته الوسوس وعزلته عن سلطانها وافسدت عليه .

٩ - صدق التائب للقاء الله من انفع ما للعبد ابلغه فى حصول استقامته فان الاستعداد للقاء الله هو مفتاح جميع الاعمال الصالحة والاحوال الايمانية من اليقظة والتوبة والانابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر اعمال القلوب والجوارح فمفتاح ذلك صدق التائب والاستعداد للقاء الله (١) .

فقد عرض ابن القيم رحمه الله طريقتين للثبات على الاستقامة وهى التفريغ والملئ وقد عمدت الى نقل نصوصه رضى الله عنه وسأتطرق الى شرحها هنا فعملية التفريغ من الخواطر الشيطانية ووساوس النفس ولا تتم هذه العملية الا بايمان جازم بعلم الله عزوجل وانه مطلع على كل صغيرة وكبيرة فمجرد الايمان بمعية الله ضابط حتى للوساوس من الوقوع فى الصدور والنفوس . ثم الحياء ايضا مانع من الوقوع فى الموبقات فالحياء لا يأتى الا بخير كما فى الحديث عن عَمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ (٢) قال قال صلى الله عليه وسلم (الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ) (٣)

(١) طريق الهجرتين ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٢) عمران بن حصين : بن عبيد بن خلف يكنى ابا نجيد بابنه نجيد اسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة غزوات بعثه عمر بن الخطاب الى البصرة ليفقه اهلها وكان قاضيا ثم استغنى فاعفاه وكان مجاب الدعوة ولم يشهد الفتنة وكان فى مرضه تسلم عليه الملائكة . توفى بالبصرة سنة اثنين وخمسين - اسد الغابة ج ٣ ص ٧٧٨ .

(٣) اخرجه البخارى كتاب الادب باب الحياء ج ٨ ص ٣٥ - واخرجه مسلم كتاب الايمان باب الحياء شعبه من شعب الايمان ج ٢ ص ٦ بشرح النووى - واخرجه ابو داود كتاب الادب باب الحياء حديث ٤٧٩٦ بلفظ (الحياء خير كله) ج ٤ ص ٢٥٢ .

تعظيم الله وتقديره والخوف منه كل هذه ضوابط ايمانية تمنع المرء من الوقوع فى الفسوق وتدفعه على الدوام على الطاعة وسبيل الاستقامة الخوف من الله هو ضابط ايضا لسلوك الفرد وسأشير الى فصل فيه عن الرهبة من النار وما فيها وسأعرض كيف يكون الخوف من النار ضابطا لسلوك الفرد من الوقوع بالمحرمات . فهو على هذا النحو يحذر من الخواطر الشيطانية ويبين اثرها على الفرد وانها تورث الندامة والخزى فى الدنيا والاخرة .

ثم اذا حصل تفريغ النفس من نوازع الشر ووساوس الشيطان تمكن المرء المؤمن من عملية الملء لهذه النفس الفارغة فلا تترك هكذا تتلاعب بها الاهواء بل تملأ(بالخواطر الايمانية الرحمانية التى هى اصل الخير كله فان ارض القلب اذ بذرفيها خواطر الايمان والخشية والمحبة والانابة والتصدق بالوعد ورجاء الثواب اثمرت له كل فعل جميل وملا قلبه من الخيرات واستعملت جوارحه فى الطاعات . ولذا فقد اشار الى هذا

ب - الطريق الثانى حيث قال :

(ان لا يجعل مجرد حفظها هو المقصود بل لا يتم ذلك الا بان يجعل موضوعها خواطر الايمان والمحبة والانابة والتوكل والخشية فيفرغ قلبه من تلك الخواطر ويعمره باضدادها . (١)

هكذا ارادنا الاسلام نفوسا ملئت بالايمان والثبات عليه واستقرت بذكر الله عزوجل ومجاهدة كل الطرق المؤدية الى الضلال والزيغ لتكون هذه المجاهدة دافعا للمرء على الثبات على الاستقامة حتى وان شق عليه الامر " ولهذا قالوا لا يطيق الاستقامة الا من ايد بالمشاهدات القوية والانوار السنية . ثم عصم بالثبوت بالحق (٢) قال تعالى (وَلَوْلَا اَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ اِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) (٣)

(١) طريق الهجرتين ص ٢٢٢

(٢) روح المعانى للالوسى ج ١٢ ص ١٥٢ .

(٣) سورة الاسراء آية ٧٤ .

وقيل انه لا يطبقها الا الاكابر لانها خروج عن المألوفات ومفارقة
الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله سبحانه وتعالى على حقيقة
الصدق ولعزتها اخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لن يطيقوها (١)
فقد اخرج ابن ماجه وغيره من حديث ثوبان (٢) قال قال صلى الله
عليه وسلم اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا
يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ (٣)

فالاستقامة طريق الى الثبات على الحق والقرب منه لعل الله ان
يدخلنا بفضلہ وبرحمته الجنة . قال ابو هريرة رضى الله عنه : سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ
قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ وَلَا أَنَا وَلَا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ
وَرَحْمَةٍ فَسَدَدُوا وَقَارِبُوا وَلَا يَتَمَنِينَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ
يُزَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ (٤)

(١) فتح المبين / مرجع سابق ص ١٨١ .

(٢) ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ثوبان بن جدد
يكنى ابا عبد الله وقيل عبد الرحمن والاول اصح وهو من حمير من
اليمن اشتراه الرسول صلى الله عليه وسلم فاعتقه وشبث على ولاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل معه سفرا وحضرا الى ان
توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٢٩٦ - انظر اسد الغابة
ج ١ .

(٣) اخرجه ابن ماجه ج ١ ص ١٠٢ وقال وفى الزوائد رجال اسناده
شقاب اشبات الا ان فيه انقطاعا بين سالم وثوبان ولكن اخرجه
الدارمى وابن حبان فى صحيحه عن طريق ثوبان متصلات . سنن ماجه
تخريج وتعليق محمد فؤاد وعبد الباقي .

(٤) سبق تخريجه ص : ٩١

الفصل الثامن

تحسين ما حسنه الشرع وتغبيح ما قبحه

تحسين ما حسنه الشرع وتقبيح ما قبحه

الحسن والقبح الشرعيان :-

لقد بعث الله الانبياء عليهم السلام ليكونوا رسل الله الى اهل الارض وليبلغوا عن الله عزوجل وهم الوسطاء بين جبريل عليه السلام وبين سائر الخلق ليعلموا الناس كل حسن ويبينوا للناس كل قبح ينهى الله عنه وبالتالي يترتب على هذه البعثة الحساب من ثواب وعقاب فاذا كشف الغطاء حقيقة الفعل او قبحه . فعلى هذا فمعرفة حسن الافعال من قبحها مسألة يتجاوز بها طرفا بعثة الانبياء للبيان والتفصيل - صحة العقل الذي يوصل الى معرفة الحقيقة .

ولذا فانى ساعرض فى هذا الفصل الى معنى الحسن والقبح . ثم اعرض مواقف بعض الفرق الاسلامية من القول بحسن الفعل او قبحه ثم الرد عليهم ومن خلاله يظهر لنا موقف اهل السنة والجماعة من حسن الافعال وقبحها .

اولا التعريف اللغوى :-

الحسن ضد القبح ونقيضه وحسنت الشئ تحسينا زينته واحسنت اليه . (١)

القبح فى اللغة :-

القبح ضد الحسن ويكون فى الصورة والفعل والاستقبح ضد الاستحسان . (٢)

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ١١٤ ص ١١٥ .

(٢) ج ٢ ص ٥٥٢ .

التعريف الاصطلاحي :-

اولا : المراد من الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله .
 والمراد من القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله
 اذا الحسن ليس صفة زائدة على الشرع مدركة به ، فلما هو عبارة عن
 نفس ورود الشرع بالثناء على فاعله وكذلك القول فى القبيح . (١)
 ثانيا : يقول الدكتور محمد خضرى بك اختلف الناس فى معنى حسن
 الفعل وقبحه فمن قائل ان الحسن ما يوافق غرض فاعله
 باعتبار انه جالب له لذة او دافع عنه الما والافعال بهذا
 الاعتبار تختلف باختلاف الشخص الواحد واحواله فقد يكون جالبا
 لشخص لذة فى آن وجالبا له الما فى آن آخر .
 وبهذا لا يمكن ان نقول ان الفعل قد اتصف بالحسن والقبح
 اتصافا ذاتيا (٢) لانه لاثبات لذلك الوصف والاستقرار فليس بذاتى .

ومن قائل ان الحسن ما يوافق عرض المجتمع (٣) بان يكون
 جالبا له لذة او دافعا الما من غير اعتبار للقائل الا من جهة
 كون واحد من المجتمع مثل الجمعيات الخيرية (٤)

(١) كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة فى اصول الاعتقاد ص ٢٥٩ للجوينى
 ٩١٩ - ٤٧٨ هـ / حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه - د. محمد
 يوسف موسى ود. على عبد المنعم عبد الحميد . الناشر مكتبة
 الخانجى مصر . جماعة الازهر للنشر والتأليف .

(٢) المراد بالوصف الذاتى ما يحكم به العقل بمجرد ان يخطر
 الموصوف بباله .

(٣) غرض المجتمع : رأى اكثر من يصل اليهم هذا الفعل . اصول
 الفقه محمد الخضرى بك ص ٢٢ .

(٤) اصول الفقه . د. محمد الخضرى بك ص ٢٢ ط ٦ مؤسسة دار احياء
 التراث الاسلامى .

ثالثا : وفى اصطلاح العلماء هو العدول عن قياس جلى الى قياس خفى
او استثناء مسألة جزئية من اصل كلى او قاعدة عامة لدليل
يقتضى هذا العدول . (١)

رابعا : يقول ابن حزم : الاستحسان بما رآه الحاكم اُصلح فى العقابة
وفى الحال لما رأى برايه من ذلك وهو استخراج ذلك الحكم
الذى رآه . (٢)

خامسا : هو العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاص من كتاب
او سنة .

سادسا : وقيل هو ان تترك حكما الى حكم هو اولى منه وهذا الاختلاف
فى المعنى ولكن الاختلاف بمجرد الأسماء . (٣)

سابعا : الاستحسان نوع من الترجيح بين الأدلة فان حقيقته كما يلاحظ
وكما يصرح به كثير من الأصوليين انه اخذ بأقوى الدليلين .
والاستحسان بهذا المعنى لا يخالف فيه احد وعند التحقيق
يلاحظ انه لا يوجد خلاف بين اهل العلم فى الأخذ به باعتباره اخذا
بأقوى الدليلين (٤) .

(١) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية د. عبد الكريم زيدان ط١
القدس مؤسسة الرسالة ص ٢٠٠ .

(٢) كتاب الاحكام فى اصول الاحكام ص ١٦ لآبى محمد على بن احمد بن
سعيد بن حزم - مؤسسة دار الأوقاف الجديد بيروت ج ٦ ط ١ عام
١٤٠٠ هـ

(٣) نزهة خاطر العاطر . عبد القادر بن احمد بن مصطفى بدران
الدومى ثم الدمشقى شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر فى اصول
الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل شيخ الاسلام موفق الدين ابى
محمد بن عبد الله بن احمد بن قدامه المقدس الدمشقى ج ١ ص ٤٠٧ ،
٤٠٨ دار الكتاب العلمية / بيروت .

(٤) رفع الحرج فى الشريعة الاسلامية رسالة دكتوراة د. صالح بن حميد ص ٣٠٣ .

شامنا : الاستحسان هو ايثار دليل يعارضه لمرجع يعتمد به شرعا (١)
ويلاحظ من بعض التعريفات ما يلى :-

- ١ - ان هذه التعريفات متقاربة والظاهر منها ان الحسن ما يتفق مع الشريعة الاسلامية - والقبح ما يخالف هذه الشريعة .
 - ٢ - ان الجهة التى ينبنى عليها صفة الحسن او القبح هى الشريعة .
 - ٣ - لا يمكن للعقل الاستقلال بادراك حسن الفعل وقبحه .
- حجية الاستحسان :-**

الاستحسان مصدر من مصادر الفقه المعتمدة لانه ليس الاخذ بقياس او دليل آخر اما من انكره من العلماء كالشافعى فانه اراد بالاستحسان اتباع الهوى وتشريع الاحكام بغير دليل وهذا لا يجوز ولهذا اسلم به اصحابه بعد ان تبين لهم مراد القائلين به (٢)
موقف الفرق الاسلامية من القول بالحسن والقبح :-

اولا : الاشاعة

ان الافعال لا تحسن ولا تقبح الا بامر الشارع او نهيه ليس فى ذاتها ولا لامر خارج عنها صفة تكسب بها اسم الحسن والقبح (٣)
وقال ابن تيميه قالت الاشاعة ان ما جاء به الشرع من الحسن والقبح يخرج عن نطاق العقل . (٤)

- (١) كتاب المقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها - علاها الفارس مكتبة الوحدة العربية دار البيضاء ص ١٣٤ .
- (٢) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص ٢٠١ مرجع سابق .
- (٣) اصول الفقه - محمد الخضرى بك ص ٢٣ مرجع سابق .
- (٤) الرسالة التدمرية فى تحقيق الاثبات لاسماء الله وصفاته وبيان حقيقة الجمع بين الشرع والقدر تأليف شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيميه القاهرة ١٣٨٧ هـ . نشرها قصى محب الدين الخطيب ص ٦٨ بتصرف . اى ثابت بالشرع فقط دون العقل وانظر مدارج السالكين ص ٢٥٥ ج ١ .

ثانيا : المعتزلة :

(ذهب المعتزلة الى ان التحسين والتقبيح من مدارك العقول على الجملة ولا يتوقف ادراكها على السمع وللحسن بكونه حسنا صفة وكذلك فى القبح عندهم . (١)

فقوله لا يتوقف ادراكها على السمع اى انه ليس ثابتا عندهم شرعا ولذا قال ابن تيميه ان المعتزلة توهمت ان الحسن والقبح يعلم بالعقل فقط . (٢) .

ونقل الخضرى بك للمعتزلة فى ذلك قولين :-

القول الاول :-

ان للافعال صفة حسن او قبح وهؤلاء نظروا الى الذاتى بغير نظر الاولين فانما يريدون به ما يحزم به العقل لمجرد تعقل الفعل .
ومنهم من غلا وقال ان الصفة التى يحكم بها على بعض الافعال ذاتية بحيث تكون ملازمة له فى جميع جزئياته .

الفريق الثانى :-

ومن المعتزلة من قال ان الافعال تتصف بصفة الحسن او القبح للاعتبارات التى تقترب بها وذلك لان الحكم الكلى على الافعال لا يمكن لانه لا يكون الا بعد الاستقراء التام لجزئيات الافعال وهو غير ممكن .
ثم انه وجد عند الاستقراء ان الفعل كثيرا ما ينفع ثم يصادف فى آنات اخرى انه يضر وحينئذ لا يمكن للعقل ان يحكم على الفعل بحسن او قبح اذا روعيت اعتباراته وظروفه اما الحكم بطريقة كلية فلا .
ونخلص من القولين السابقين للمعتزلة الى ان :

(١) كتاب الارشاد الى قواع الادلة فى اصول الاعتقاد للجوينى مرجع سابق ص ٢٥٨ .

(٢) الرسالة التدمرية مرجع سابق لابن تيميه ص ٦٨ بتصرف .

(للافعال حسنا وقبحا باعتبار جلب اللذة ودفع الالم لمعظم من يصل اليهم آثارها وان هذا الحكم يمكن بعض العقول ان يدركه بالاستقراء (١) الناقص ويحكم به حكما كلياً وان بعض العقول قد يؤثر فيها الهوى فيفسد عليها حكمها) (٢)

فيظهر من هذا موقف الفرق الاسلامية من القول بحسن الفعل او قبحه على النحو التالى :

١ - الاشاعرة : ترى ان الحسن والقبح لا يمكن ان يحكم على الفعل الا شرعا .

٢ - المعتزلة : ترى ان الحسن والقبح عقلى بحت .

الرد عليهم :-

وبالرد على هذه الفرق يظهر لنا موقف اهل السنة والجماعة من القول بحسن الفعل وقبحه .

يمكن ان نرد عليهم من عدة نواح :-

اولا : ان الحسن والقبح لا يعرف من ضرورة العقل ونظره . ولم يرد من سمع متواتر ولا نقل آحاد ومهما انتقى الدليل وجب النفى .

ثانيا : انا نعلم باجماع الامة قبل على ان العالم ليس له الحكم بمجرد هواه وشهواته من غير نظر فى الأدلة والاستحسان من غير نظر حكم بالهوى المجرد فهو استحسان العامى واى فرق بين العامى والعالم فى غير معرفة الأدلة الشرعية وتمييز صحيحها عن فاسدها .

ولعل مستند استحسانه وهم وخيال اذا رضى على الذلة لم

يحصل منه طائل . (٣)

(١) الاستقراء : هو المتابعة للتعرف عليه .

(٢) اصول الفقه د. محمد الخضرى بك ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ بتصرف .

(٣) نزهة خاطر العاصر مرجع سابق ص ٤١٠ ج ١ .

ثالثا : الدليل السمعى :

فقد دل القرآن على ان لا تلازم بين الامرين وانه لا يعاقب الا

بارسال الرسل (١)

الادلة : قال تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (٢)

وقال تعالى : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى

اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (٣) .

وقال تعالى : (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا

نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) (٤) فلم يسألهم عن مخالفتهم للعقل بل

للنذر وبذلك دخلوا النار .

رابعا : لقد دل القرآن على ان الفعل فى نفسه حسن وقبيح :

قال تعالى : (وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا

آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ

وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا

بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا

الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * يَا

بَنَى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

أُخْرِجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّى الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

بَاطِنٌ وَإِثْمٌ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ

بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٥) .

(١) المدارج ج ١ ص ٢٥٥ مرجع سابق . (٢) سورة الاسراء آية : ١٥ .

(٣) سورة النساء آية : ١٦٥ . (٤) سورة الملك آية : ٨ - ٩ .

(٥) سورة الاعراف آية : ٢٨ - ٢٩ .

ويلاحظ من الآية ما يلي :-

١ - اخبر سبحانه ان فعلهم فاحشة قبل نهيه عنه وامر اجتنابه ياخذ الزينة .

٢ - اخبر سبحانه بانه لا يأمر بالفحشاء بقوله : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) .

١ى لا يأمر هو فاحشة فى العقول والفطرة .

٣ - لو كان انما علم كونه فاحشة بالنهى وانه لا معنى لكونه فاحشة الا تعلق النهى به لصار معنى الكلام ان الله لا يأمر بما ينهى عنه وهذا يصاب عن التكلم به احد العقلاء فضلا عن كلام العزيز الحكيم .

واى فائدة فى قوله : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (١) على انه طيب قل التحريم وان وصف الطيب فيه مانع من تحريمه مناف للحكمة .

٥ - قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ) (٢) ولو كان كونها فواحش انما هو لتعلق التحريم بها وليست فواحش قبل ذلك لكان حاصل الكلام (قل انما حرم ربي ما حرم) وكذلك تحريم الاثم والبغى فكون ذلك فاحشة واثما وبغيا بمنزلة كون الشرك شركا فهو شرك فى نفسه قبل النهى وبعده .

٦ - فمن قال ان الفاحشة والقبائح والاثام انما صارت كذلك بعد النهى فهو بمنزلة من يقول : الشرك انما صار شركا بعد النهى وليس شركا قبل ذلك . ومعلوم ان هذا مكابرة صريحة للعقل والفطرة فالظلم ظلم فى نفسه قبل النهى وبعده ، والقبيح قبيح فى نفسه قبل النهى وبعده والفاحشة كذلك . وكذلك الشرك الا ان هذه الحقائق صارت بالشرع كذلك . (٣)

(١) سورة الاعراف آية : ٣٢ .

(٢) سورة الاعراف آية : ٣٣ .

(٣) المدارج بتصرف من ص ٢٥٥ الى ٢٥٨ مرجع سابق وانظر ايضا اصول الفقه محمد الخضرى بك مرجع سابق ص ٢٦ .

الدليل العقلي :-

من المعلوم ان ادراك ما فى الافعال من حسن او قبح ليس فى طاقة جميع الافراد وليس من المعقول ان يعاقب انسان على ترك فعل لم يدرك حسنه ولم يدعه اليه داع ثبت العصمة من الخطأ . (١)
قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) (٢) .

ويمكن ان نجد ما يجمع بين القولين فى كتاب الله :
وقال تعالى : (ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) (٣)
تدل هذه الآية على ما يلى :-

- ١ - ان افعالهم وشركهم ظلم قبيح قبل البعثة .
 - ٢ - وانه لا يعاقبهم عليه الا بعد الارسال .
- قال تعالى (وَلَوْ لَا أَنَّ تَمْصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٤)
فالآية الكريمة دالة على ما يلى :

- اولا : ان ما قدمت ايديهم سبب لنزول المصيبة بهم ولولا قبحه لم يكن سببا .
- ثانيا : امتناع اصابة المصيبة لانتفاء شرطها وهو عدم مجيء الرسول اليهم .
- فمنذ جاء الرسول انعقد السبب ووجد الشرط فاصابهم سيئات ما عملوا وعوقبوا بالاول والآخر . (٥)

(١) اصول الفقه محمد خضرى بك ص ٢٧ مرجع سابق .

(٢) سورة النحل آية ٩٠ .

(٣) سورة الانعام آية : ١٣١ .

(٤) سورة القصص آية : ٤٧ .

(٥) المدارج مرجع سابق ص ٢٥٧ ج ١ .

بل من اعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .

فلو كان قوله معروفا ومنكرا وخبائثا وطيبا انما هو لتعلق الامر والنهي والحل والتحريم به فكان بمنزلة ان يقال يأمرهم بما يأمرهم وينهاهم عما ينهاهم عنه . ويحل لهم ما يحل لهم ويحرم لهم ما يحرم عليهم واى فائدة فى هذا ؟ واى علم يبقى لنبوته وكلام الله يسان عن ذلك او ان يظن به ذلك .

وانما المدح والثناء والعلم الدال على نبوته ان ما يأمر به تشهد العقول الصحيحة حسنة وكونه معروفا . وما ينهى عنه تشهد قبحه وكونه منكرا وما يحله تشهد كونه طيبا وما يحرمه تشهد كونه خبيثا وهذه دعوة جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . (١)

٣ - قال تعالى : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ - أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) (٢)

دلت الآية الكريمة على ما يلى :

١ ولا : ان الفعل فيه حسن وقبح .

ثانيا : ان حسن الفعل او قبحه يدرك عقلا .

ثالثا : ان الحسن يمكن ان يدرك نقلا اى دينيا لقوله اولئك الذين هدى الله .

رابعا : اذا الحسن يمكن ان يدرك عقلا وشرعا .

٤ - حديث (حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب قال قال ابن شهاب (٣) يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَوْلُودٍ مُتَوَفَّى وَإِنْ كَانَ لِغَيَّةٍ (٤) مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَلَدَ عَلَى

(١) نفس المرجع ص ٢٨٥ ج ١

(٢) سورة الزمر آية : ١٨ - ١٩ .

(٣) ابن شهاب : هو الزهدى ج ٣ ص ٢٢٢ فتح البارى .

(٤) لغية : اى من زنا بمعنى صلى على ولد الزنا - فتح البارى ج ٣

ص ٢٢١ .

فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ يَدْعَى أَبَوَاهُ الْإِسْلَامَ أَوْ أَبُوهُ خَاصَّةً وَإِنْ كَانَتْ أُمُّهُ عَلَى غَيْرِ
 الْإِسْلَامِ إِذَا اسْتَهْلَ صَارِحًا صَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يُصَلَّى عَلَى مَنْ لَا يَسْتَهْلُ مِنْ أَجْلِ
 أَنَّهُ سَقَطَ فَلِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُحَدِّثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ
 يَنْصَرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ (١) هَلْ تُحْسِنُونَ
 فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ (٢) ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِطْرَةَ اللَّهِ
 الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا الْآيَةُ (٣)

ويدل هذا الحديث على ما يلي :-

- ١ - يولد الانسان ويصل بالفطرة الى حسن الفعل وقبحه .
- ٢ - ان الدين يضاف عليه الصبغة النهائية فيدرك بالدين حسن الفعل وقبحه بما يترتب عليه من ثواب او عقاب .

الخلاصة :-

وبالرد على كل من الأشاعرة والمعتزلة بما سبق يتضح لنا ما يلي :-
 أولا : انه لا يمكن للعقل ان يدرك الحسن والقبح بدافع من العقل فقط . وعليه نقول ان العقل لا يكفي وحده لادراك الحسن ويتجلى لنا موقف اهل السنة والجماعة من القول بحسن الفعل او قبحه .

- (١) جمعاء : أى مجتمعه الأعضاء سليمة من نقص .
- (٢) جدعاء : أى مقطوعة الاذن او غيرها من الاعضاء .
- (٣) أخرجه البخارى والنص له كتاب الجنائز ج ٢ ص ١١٨ اذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه . وأخرجه فى تفسير سورة الروم ج ١ ص ١٤١ كتاب القدر باب ٣ ج ٨ ص ١٥٣ وأخرجه مسلم كتاب القدر باب مولود لولد على الفطرة ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ج ١٦ ص ٢٧ وأخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ج ٨ ص ٣١٥ - ٣٤٦ .

موقف أهل السنة والجماعة :-

ويقول ابن القيم وكثير من الفقهاء من الطوائف الأربع يقولون :
 قبحها ثابت بالعقل والعقاب متوقف على ورود الشرع . وهو الذى ذكره
 سعد بن على الزنجانى من الشافعية . وأبو الخطاب من الحنابلة
 وذكره الحنفية وحكوه عن أبى حنيفة نـصا (١) .

إذا يمكن أن نقول ان الأفعال الحسنة كالعدل والصدق والتوحيد
 ومقابلة نعم المنعم بالثناء والشكر حسن فى نفسه وازداد حسنا الى
 حينه بأمر الرب به وثناؤه على فاعله واخباره بمحبته ذلك ومحبة
 فاعله .

وكذا الأفعال القبيحة فكان قبحها من ذاتها وازدادت قبحا عن
 العقل بنهى الرب تعالى عنها وذمة لها واخباره ببعضها وبغض
 فاعلها (٢)

(١) المدارج ج ١ ص ٢٥٥ مرجع سابق .

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٨ مرجع سابق .

الفصل الثالث

الافتداء بالنبيين والذين معهم

الاقتراء بالنبیین

والذین معهم

المؤمن لا يشعر انه فى عزلة عن اخوانه المؤمنين انهم ان لم يكونوا معه فى عمله او داره او مسجده فهم يعيشون دائما فى ضميره ويحيون فى فكره ووجدانه .

المؤمن يشعر انه يعيش بايمانه وعمله الصالح مع انبياء الله ورسله المقربين ومع كل صديق وشهيد وصالح من كل امة وفى كل عصر (١) .

قال الله تعالى : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) (٢) .

واى انسان اسعد ممن يوافق هؤلاء فى كل احواله . واى انسان اسعد ممن قدوته فى الايمان والهدى هم انبياء الله جميعا فهو يقتفى اثارهم ويتبع خطاهم من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم من سائر اصحاب النبوات والرسالات فهو يقتدى بهم ويتبع خطاهم فى كل امر من امور حياته وهو بذلك يكون قد ضمن سلامة سلوكه وعمله الموصل الى مرضاة ربه .

ولذا فسوف استعرض فى هذا الفصل :-

- ١ - معنى القدوة فى اللغة والاصطلاح .
- ٢ - ثم استعرض ما جاء فى كتاب الله من آيات تحث على الاقتداء بالانبياء والذين معهم .
- ٣ - ثم ما جاء فى السنة النبوية عن القدوة .

(١) الايمان والحياة - للقرضاوى - ط٩ - مؤسسة الرسالة ص ١٢٦ -

١٢٧ بتصرف .

(٢) سورة النساء آية : ٦٩ .

لنخلص من ذلك الى مواضع القدوة فى حياة انبياء الله عز وجل لتكون لنا طريقة للسلوك عليها وسأخص ناحية الابتلاء فى حياة الانبياء وما يتعرضون له من المحن لتكون قدوة لكل داع الى الله عزوجل فى الصبر وتحمل الاذى .

وسأشير الى آدم عليه السلام ، نوح عليه السلام ، ابراهيم عليه السلام ، داود عليه السلام ، ايوب عليه السلام ، يوسف عليه السلام ، موسى عليه السلام ، عيسى عليه السلام ، محمد صلى الله عليه وسلم .

تعريف النبى :-

لغة : الانبياء طرق الهداية (١)

وقال الجوهرى النبى : المخبر عن الله عزوجل ويجمع على انبياء (٢) وقيل : الانبياء جمع نبى وقد قرىء بالهمزة فقل هو الاصل وتركه تسهيل وقيل الذى هو بالهمز من النبأ والذى بغير همز من النبوة وهى الرفعة . والنبوة نعمة يمن بها على من يشاء ولا يبلغها احد بعلمه ولا كشفه ولا يستحقها باستعداد ولايته .

اصطلاحاً :-

من حصلت له النبوة وليست راجعة الى جسم النبى ولا الى عرض من اعراضه بل ولا الى علمه بكونه نبيا بل المرجع الى اعلام بآنى نبأتك او جعلتك نبيا وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة . (٣)

(١) تاج العروس ج ١٠ ص ٣٥٤ .

(٢) لسان العرب ج ١ ص ١٦٢ .

(٣) فتح البارى ج ٦ - ص ٣٦١

الفرق بين النبوة والرسالة :-

يقال فى الفرق بين الرسالة والنبوة فالنبوة داخله فى الرسالة والرسالة اعم من جهة نفسها واخص من جهة اهلها فكل رسول نبى وليس كل نبى رسول فالانبياء اعم والنبوة نفسها جزء من الرسالة فالرسالة تتناول النبوة وغيره بخلاف النبوة فانها لا تتناول الرسالة . (١)

فالقُدوة بالغة :

هل اصل البناء الذى يتشعب منه تصريف ن والاقتداء يقال قدوة لما يقتدى به . قال ابن سيدة القدوة والقُدوة وما تسنت به . والقدوة الاسوة . (٢)
القدوة بالاصطلاح :-

الاصل فى الاسوة او القدوة هو التأس والاقتداء والاقتداء هو المحاكاة وهما شئ فطرى فى الانسان . (٣)
ويقول القرطبى : الاسوة القدوة والاسوة ما يتأسى به اى يتعزى به فيقتدى به فى جميع افعاله ويتعزى به فى جميع احواله . (٤)
أثر الصحبة فى القدوة :-

ولاجل هذا التأثير حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من مجالسة الاشرار مخافة هذا التأثير وذلك فى قوله فيما رواه ابو موسى رضى الله عنه **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ**

(١) الايمان لابن تيميه - ص ٦ - ٧ مكتبة انس - تحقيق محمد ناصر الدين الالبانى .

(٢) لسان العرب ج ١٥ - ص ١٧١

(٣) القدوة الحسنة واثرها فى الاعلام بالاسلام - سعد الضياف ، ص ٢١٥

(٤) تفسير القرطبى ج ٤ - ص ١٥٥

وَنَافِخِ الْكَيْسِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ (١) وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ
وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكَيْسِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا
أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً . (٢)

وقال الله تعالى فى بيان سرعة التأثر بالصحة (فَلَا تَقْعُدُوا
مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ) (٣)

فالجُلوس مع هؤلاء ومصاحبتهم قد تعدى وتجعل الإنسان يسير على
أهوائهم وشهواتهم .

والقدوة الحسنة مبنية على غريزة من غرائز الإنسان هى غريزة
التقليد والمحاكاة ولهذه الغريزة تأثير فعال فى ميدان الحياة .
قال الله تعالى : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا
عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) (٤)
أثر القدوة فى الأخلاق :-

قال الله تعالى فى الحث على التأسى بالأنبياء (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ
أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ . وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ
لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَّ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ) (٥)
قال الطبرى فى هذه الآية :-

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مثبتة على الماضى لما

-
- (١) يحذيك : أى يعطيك صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ١٧٨ .
(٢) رواه البخارى كتاب الذبائح باب المسك ج ٧ ص ١٢٥ ورواه مسلم
ج ١٦ ص ١٧٨ - بشرح النووى ، واخرجه ابو داود كتاب الادب باب
من يؤمر ان يجالس ج ٤ ص ٢٥٩ ٤٨٢٩ .

(٣) سورة النساء آية : ١٤٠ .

(٤) سورة الزخرف آية : ٢٢ .

(٥) سورة الأحقاف آية : ٣٥ .

قلده من عبء الرسالة ونقل احمال النبوة صلى الله عليه وسلم وامره بالانتساء فى العزم على النفوذ لذلك باولى العزم من قلبه من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره ونالهم فيه منهم من الاذى والشدائد فاصبر يا محمد على ما اصابك فى الله والانتساء الى طاعته من رسله الذين لم ينفهم عن النفوذ لامره ما نالهم فيه من الشدة . (١)

وقوله : (وَلَا تَسْتَغْجِلْ لَهُمْ) اى بالدعاء عليهم وقيل فى احلال العذاب بهم (٢) وقيل ان اولى العزم منهم كانوا الذين امتحنوا فى ذات الله فى الدنيا بالمحن فلم تزدهم المحن الا جدا فى امر الله كنوح وابراهيم وموسى ومن اشبههم . (٣)

وقد نقلهم القرطبى عن مجاهد قال هم خمسة نوح ، ابراهيم ، موسى ، وعيسى ، ومحمد . وهم اصحاب الشرائع . (٤)

وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه مدة قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) (٥) وابراهيم صبر على النار قال الله تعالى : (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ - قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (٦)

واسحاق صبر على الذبح . قال الله تعالى : (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي رَأْسِي وَآبَىٰ الْمَنَامُ ۚ إِنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰلَبْتَ ۖ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (٧)

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٦ ص ٢٤ - للطبرى .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٢٢ - للقرطبى .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن - ج ٢٦ - ص ٢٤ - للطبرى .

(٤) تفسير الجامع لاحكام القرآن - للقرطبى - ج ٦ - ص ٢٢٠ .

(٥) سورة العنكبوت آية : ١٤ .

(٦) سورة الانبياء آية : ٦٨ - ٦٩ .

(٧) سورة الصافات آية : ١٠٢

ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر : (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) (١)

ويوسف صبر على البئر والسجن قال الله تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ) (٢) (لِيَسْجَنَ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) (٣) . وايوب صبر على الضر (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصِبْ وَعَذَابٍ) (٤) .

وهذا لبيان حلم الانبياء وصبرهم على امهم فان نوح لم يدع عليهم الا بعد خمسين وتسعمائة عام (٥) . قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) (٦)

وقال الله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (٧) وقال صلى الله عليه وسلم : (عن عبد الله قال كَاتِي أَنْظِرْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٨)

(١) سورة يوسف آية : ٨٤ .

(٢) سورة يوسف آية : ١٥ .

(٣) سورة يوسف آية : ٣٢ .

(٤) سورة ص آية : ٤١ .

(٥) تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١٦ ص ٢٢٢ .

(٦) سورة العنكبوت آية : ١٤ .

(٧) سورة البقرة آية : ٢١٤ .

(٨) أخرجه مسلم كتاب الجهاد باب اشتداد غضب الله على من قتله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ١٢ ص ١٥٠ بشرح النووي

وأخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٤

حديث ٤٠٢٥ وأخرجه أحمد ج ١ ص ٣٨٠ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢ .

هكذا يكون الصبر والعزم والثبات والجلد فى الموقف الذى يستحقون به والانتقام منهم بالمثل^١ او على الاقل بالدعاء عليهم يحصل مكان الانتقام الصفح وبذل الدعاء عليهم الدعاء لهم بالهداية والعفو بل ويصل الى التماس الاعذار لهم بأنهم لا يعلمون مكانة الانبياء بين اممهم ويتجلى عظم ما وصل اليه الرسول صلى الله عليه وسلم من كمال الخلق واشتمال صفات الاسوة فى الجنة فى مدح الله . ولقد قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١) يقول سيد قطب :-

(لقد رويت من عظمة خلقه ما ذكره كتب السيرة الشيء الكثير ولكن واقع سيرته اعظم من كل ذلك . وشهادة القرآن له اعظم من هذا كله ثم بقاءه صلى الله عليه وسلم ثابتا لم يتعال على اصحابه بعد هذا الثناء وهو الذى سمع شهادة العلى القدير له بهذا الخلق العظيم دلالة على عظم خلقه صلى الله عليه وسلم) (٢)

وقد بين الله تعالى اهمية الخلق الكريم فى مجال الدعوة وتجسيد الاسوة الحسنة فى قوله تعالى : مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (٣)

فمن هذه الآية يظهر صفات القدوة الحسنة وهى :-

- ١ - ان يكون لين لافظا ولا غليظا .
- ٢ - ان يكون عفوا صفوحا عن زلات المدعوين .
- ٣ - ان يكون حريصا على ايمانهم .
- ٤ - كثرة الدعاء لهم بالهداية .

(١) سورة القلم آية : ٤

(٢) انظر فى ظلال القرآن ج ٥ - ص ٥٦٥٦ " بتصرف " .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

٥ - أن يلتمس الاعذار لهم .

٦ - اقرار مبدا الشورى اظهارا لاهتمامه بهم .

٧ - العزم وحسن الثبات والتوكل على الله .

وهذه كلها صفات ثناء اثنى بها الله على نبيه محمد صلى الله

عليه وسلم يقول سيد قطب :

هكذا كانت حياته مع الناس : ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره
بضعفهم البشرى ولا احتجز لنفسه شيئا من اغراض هذه الحياة بل
اعطاهم كل ما ملكت يده فى سماحة نديه ووسعهم حلمه وبره وعطفه
ووده الكريم وما من احد منهم عاشره او رآه الا امتلا قلبه بحبه (١)
توجيه النبى صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء قبله :

قال الله تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ
الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ
وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ
يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ فَيَهْدُهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ . (٢)

يقول الطبرى فى تفسير هذه الآية :

(يقول الله تعالى جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم)

تأس يا محمد فى نفسك وقومك المكذبين والمشركين بابيك خليلي

(١) فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ١ ص ٥٠٠ .

(٢) سورة الانعام آية : ٨٤ - ٩٠ .

ابراهيم صلى الله عليه وسلم واصبر على ما ينوبك صبره فأنى بالذى
يؤول اليه امرك وامرهم عالم بالتدابير فيك . ثم عدد بعض انبيائه
ويقول جزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا بان هديناه فوفقنا
لاصابة الحق الذى خذلنا عنه من عصانا فخالف امرنا ونهينا من قومه
وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من انبيائه مثل الذى
هديناه له وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم ايانا وصبرهم على المحن
فيما كذلك نجزي بالاحسان كل محسن .

ويقول الله تعالى وهدينا ايضا آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى
ذكره ومن ذرياتهم واخوانهم اخرين سواهم لم يسمهم للحق والدين
الخالص الذى لا شرك فيه فوفقناهم له واجتبتيناهم يقول واخترناهم
لديننا وابلاغ رسالتنا التى من ارسلناهم اليه كالذى اخترنا ممن
سمينا . يقال متى اجتبى فلان لنفسه كذا اذا اختاره واصطفاه يجتبيه
اجتباة .

واخرج الطبرى فى تفسيره عن مجاهد وهديناهم الى صراط مستقيم
بقوله وسددناهم فارشدناهم الى طريق غير معوج وذلك دين الله الذى
لا عوج فيه وهو الاسلام الذى ارتضاه الله ربنا لانبيائه وامر به
عباده . (١)

ثم قال فى قوله تعالى : (اُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) (٢)

(١) هؤلاء الانبياء الذين وكلنا بآيتنا وليسوا بها بكافرين هم
الذين هداهم الله لدين الحق وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه
والقيام بحدوده واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه من امر الله
والانتهاء عما فيه من نهيه فوفقهم جل ثناؤه لذلك فبهداهم اقتده
وبالعمل الذى عملوا والمنهاج الذى سلكوا وبالهدى الذى هديناهم
والتوفيق الذى وفقناهم اقتده يا محمد اى فاعمل وخذ به واسلكه

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى - ج ٧ ص ١٧٣ .

(٢) سورة الانعام آية : ٩٠ .

فانه عمل لله فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى (١)

ويقول الالوسى فى تفسيره :

(اولئك المراد بهم الانبياء المذكورون ويكون التامس بهم عند جمع طريقهم فى الايمان بالله تعالى وتوحيده واصل الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى . وهم ايضا مختلفون فيها فلا يمكن التامس بهم جميعا . (٢)

وحقق الفخر الرازى : (انه يتعين ان الاقتداء المأمور به ليس الا فى الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة كالعلم والصبر والزهد وكثرة الشكر وكثرة التضرع) . (٣)

وخصه القرطبى بالتوحيد والشرائع . ثم قال : (وقد احتج بعض العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع شرائع الانبياء فيما عدم فيه النص) . (٤)

قال الله تعالى : حاشا على الاقتداء بالخليل ابراهيم عليه السلام اذ نزه نفسه عن عبادة غير الله وشرك الوالد والاهل والاقرباء وبر ابيه الى الله عز وجل فقال تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ . يَا قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (٥)

(١) الطبرى ج ٧ ص ١٧٥ .

(٢) روح المعانى ج ٧ ص ٢١٧ للالوسى .

(٣) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٦٩ للامام الفخر الرازى / دار الكتب

العلمية طهران ط ٢ عام الطبع غير موجود .

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٧ ص ٣٥ .

(٥) سورة الممتحنة آية : ٤ .

يقول الشوكاني فى تفسير هذه الآية :

(١) ارشدهم سبحانه وتعالى الى الاقتداء بابراهيم الا فى استغفاره لابيه والذين معه هم المؤمنون . وقال ابن زيد هم الانبياء . (١)
وقال الطبرى المراد بهم الانبياء الذين كانوا قريبا من عصره عليه الصلاة والسلام (٢) وفى هذا تأكيد لامر الانكار عليهم والتخطئه فى موالة الكفار بقصة ابراهيم عليه السلام ومن معه ليعلم ان الحب فى الله تعالى والبغض فيه سبحانه من اوثق عرى الايمان فلا ينبغى ان يغفل عنها . (٣)

وقد قيد الاقتداء بابراهيم عليه السلام ولم يكن اقتداء مطلقا فى كل شئ وانما اخرج منه استغفاره لابيه . وقال القرطبى : (فى هذا دلالة على تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء لاننا حين امرنا بالاقتداء به امرنا امرا مطلقا (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٤) . وحين امر بالاقتداء بابراهيم عليه السلام استثنى بعض افعاله .

والاستثناء هنا ينصب على الاستغفار اذ ان استغفار ابراهيم لابيه كان عن موعدة وعدها اياه .

ويقول القرطبى (الا قول ابراهيم لابيه لا استغفرن لك) اى فلا تتأسوا به فى هذا . (٥)

وفى حثه صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء قبله حث لنا على حسن القدوة ويظهر ذلك من قوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ . (٦)

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٢١٢ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٨ ص ٤١ - للطبرى .

(٣) روح المعانى ج ٢٧ ص ٦٩ . وانظر ايضا تفسير القرطبى ج ١٨ ص ٥٦

(٤) سورة الحشر آية : ٧

(٥) انظر تفسير القرطبى ج ١٨ ص ٥٦ ، تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٢١٢ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٢١

وكما سبق ان نقلت قول القرطبي فى فضله صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء اذ انا امرنا بالاقتداء به مطلقا فى كل افعاله . وكل ما نستطيع كما قال صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة : (دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ اِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَلْبُكُم بِسْوَائِهِمْ وَاخْتَلَفَهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (١)

ويقول الالوسى فى تفسير هذه الآية وان سيقى للاقتداء به عليه الصلاة والسلام فى الحرب من الثبات ونحوه فهى عامة فى كل افعاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يعلم انها من خصوصياته ككنكاح ما فوق الأربيع نسوه . (٢) وهذا كثير مما يدل على الاقتداء به مطلقا فى كل افعاله واقواله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن كثير هذه الآية اصل كبير فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقواله وافعاله ولهذا امر تبارك وتعالى بالتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فى صبره ومثابرتة ومراابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عزوجل (٣)

(١) أخرجه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٩ ص ١١٧ ، وأخرجه مسلم كتاب الفضائل باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ج ١٥ ص ١٠٩ وكتاب الحج باب فرض الحج مرة فى العمر ج ٩ ص ١٠١ - وأخرجه ابن ماجه / مقدمه / ج ١ ص ٣ باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأخرجه النسائى كتاب مناسك الحج باب وجوب الحج ج ٥ ص ١١٠ سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الامام السندى - دار احياء التراث العربى .

(٢) تفسير روح المعانى : ج ٢١ ص ١٦٧ للعلامة الالوسى البغدادى /

دار احياء التراث العربى بيروت ط غير موجود .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٤ - وانظر ايضا معالم التنزيل -

للامام البغوى - اعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العلى مروان

سوار - دار المعرفى ط ١ ج ٣ ص ٥٠٥ .

وفى الآية دلالة على لزوم الاتباع وترك التقليد الحادث الذى اصيب به المسلمون اى مصيبه (١) والمراد اتباع الاسلام لان الاسلام صامد لا يمكن ان يتزحزح . ونقل القرطبى اختلاف العلماء هل هذه القدوة على الايجاب ام على الاستحباب :

- ١ - على الايجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب .
- ٢ - على الاستحباب حتى يقوم دليل على الايجاب .
- ٣ - ويحتمل ان يحمل على الايجاب فى امور الدين وعلى الاستحباب فى امور الدنيا (٢)

وهذا مقصد حسن الا انا نقول انه لا بد من الاستطاعة فالدين يسر ولذا قال صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم : (لَوْلَا اَنْ اَشُقَّ عَلَى اُمَّتِي اَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ) (٣)

وقال تعالى : (لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (٤) وقال الله تعالى : (فَيَأْتِيَنَّكَ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (٥)

-
- (١) فتح البيان فى مقاصد القرآن ج ٦ - ص ٦٠٤ .
 - (٢) تفسير القرطبى ج ٤ - ص ١٥٦ .
 - (٣) أخرجه البخارى كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة ج ٢ ص ٥ وكتاب التمنى باب ما يجوز من اللوح ج ٩ ص ١٠٥ وكتاب الصوم ج ٣ ص ٤٠ باب مسواك الرطب واليابس للصائم . وأخرجه مسلم كتاب الطهارة باب السواك ج ٣ ص ١٤٢ . وأخرجه ابو داود كتاب الطهارة باب السواك ج ١ ص ١٢ - وأخرجه الترمذى كتاب الطهارة باب السواك ج ١ ص ٣٤ وأخرجه النسائى كتاب الطهارة باب الرخصة فى السواك بالعشى للصائم ج ١ ص ١٢ بشرح السيوطى . وأخرجه ابن ماجه كتاب الطهارة باب السواك ج ١ ص ١٠٥ وأخرجه مالك فى موطئه كتاب الطهارة باب ما جاء فى السواك حديث رقم ١١٦ ص ٦٤ وأخرجه أحمد ج ١ ص ٨٠ - ١٢٠ - ج ٥ ص ١٩٣ - ٤١٠ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٥) سورة الشرح آية : ٥ - ٦ .

كيف تتحقق الأسوة :-

قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (١)

وقال صاحب المقاصد فى هذه الآية :

١ى حسنة كائنة لمن يرجو الله والمراد انهم الذين يرجون الله ويخافون عذابه يعنى يرجون ثوابه ولقاءه واليوم الآخر . ١ى انهم يرجون رحمة الله فيه او يصدقون بحصوله . وانه كائن لا محالة وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الاولى وذكر الله ١ى لمن ذكر الله فى جميع احواله ذكرًا كثيرًا وجمع بين الرجاء لله والذكر له فانه بذلك تتحقق الأسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) والذى يظهر من كلامه ان الأسوة لها دعامتان أساسيتان هما :-

١ - رجاء رحمة الله فى اليوم الآخر .

٢ - ادامة الذكر له جل وعلا .

وقال الله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٣)

وهذا التوجيه العظيم بأن تكون محبته صلى الله عليه وسلم هى بالتعليق فى سلوكه وعمله وسنته لانه التعلق بشخصيته سينتهى بوفاته (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (٤) فلا بقاء للقدوة الا بالسنة والسلوك العملى فقط مما يكون دافعا للمؤمن لحسن الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى كل شئ وضابطا له عن كل سيئة .

(١) سورة الاحزاب آية : ٢١

(٢) فتح البيان فى مقاصد القرآن ج ٣ ص ٦٠٤ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٣١

(٤) سورة الزمر آية : ٣٠

القدوة فى الحديث النبوى :-

اهمية القدوة فى السنة :

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم اهمية القدوة فى قوله فيما رواه مسلم : (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِنْ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ وَزُرُّ مِنْ عَمَلِ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) (١) .

وما تشديده صلى الله عليه وسلم بنفى كمال الايمان بقوله صلى الله عليه وسلم : (فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) (٢) الا مبالغة فى التحذير من المخالفة ووجوب الاقتداء والملازمة .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه حذيفة بن اليمانى قال : (أَنْتَ لَا أَدْرِي مَا قَدَرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَأَقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي) وأشار الى أبى بكر وعمر . (٣)

(١) أخرجه مسلم كتاب العلم باب من سن سنة حسنة او سيئة ج ١٦ ص ٢٥٢ وكتاب الزكاة باب الحث على الصدقة وانواعها وانها حجاب من النار ج ٧ ص ١٠٢ - ١٠٤ عن جرير بن عبد الله وأخرجه أحمد ج ٤ ص ٣٥٧ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٢) خرج فى ص ٤٣ باب الدوافع .

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب مقدمة باب فضائل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ٩٧ ج ١ ص ٣٧ واللفظ له . ورواه أحمد ج ٥ ص ٣٨١ - ٣٨٥ - ٣٩٩ - ٤٠٢ واسناده حسن تحقيق وصى الله بن محمد بن عباس - مؤسسة الرسالة ، ورواه الترمذى كتاب المناقب باب فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حديث ٣٦٦

دوافع الاقتداء بالانبياء :-

١- الحب هو الدافع الاول للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم :

وفى هذا قال الله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (١) فحبه سبيل للاقتداء به صلى الله عليه وسلم .
وقال صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى
أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (٢)

ومن المعروف ان النفوس جبلت على تقليد من تحب كمحبته صلى الله عليه وسلم دافع للاقتداء به .

٢ - شدة الحاجة الى القدوة :

وتبدو شدة الحاجة الى القدوة من التوجيه المبكر للنبي صلى الله عليه وسلم الى النهوض والدعوة الى الله قال الله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) (٣)
(وقوله تعالى على لسان شعيب :) (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَا مَا
أَنهَأَكُم عَنْهُ) (٤)

فالانبياء جميعهم اساس مهمتهم التبليغ والتاثير فى الناس ولما كانوا كذلك كانت ابرز ملامحهم التى اعددهم الله تعالى عليها هى القدوة الحسنة ولهذا فان الربط بهذا الشكل بين المهمة التبليغية الشريفة بعد التهيئة لها يعطى القدوة الحسنة اهمية بالغة .

(١) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب الايمان باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم

من الايمان ج ١ ص ١٠٠ . واخرجه مسلم كتاب الايمان باب وجوب

محبة الرسول ج ١ ص ١٥ بشرح النووى واللفظ له . (٣) سورة

المدثر آية : ١ .

(٤) سورة هود آية : ٨٨ .

ولهذا حذر الله تعالى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وامته
بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (١)

وروى البخارى فى صحيحه عن اسامة أن الرسول صلى الله عليه وسلم
قال (يَجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ) (٢)
فِي النَّارِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرِجَاهِ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ
فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانٌ مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ
الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَتِيهِ (٣)

آثار الاقتداء بالانبياء :-

- ١ - النصر من الله تعالى وتأييده بالهداية (إِنَّا لَنُنَصِّرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (٤)
- ٢ - الاقتداء بالانبياء والذين معهم يتيح انتشار الاسلام : (كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٥)
- ٣ - الاقتداء بالانبياء سلوك يدفع الانسان الى الالتزام بكل مبادئ
الدعوة الى الله وهو بهذا يقدم نموذجا خلابا مثيرا للاعجاب
حاملا الفطرة السليمة على التساؤل عن الدافع لكل هذه الاعمال
الانسانية النبيلة .

(١) سورة الصفاية : ٢ - ٣ .

(٢) فتندلق اقتابه : الاقتاب الامعاء - وقال ابن عيينه هى ما
استدار فى البطن وهى الحوايا والامعاء وهى الاقصاب واحداها قصب
. والاندلاق خروج الشئ من مكانه ج ١٨ ص ١١٨ صحيح مسلم شرح
النووى .

(٣) اخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب صفة النار وانها مخلوقة ج ٤
ص ١٤٧ وكتاب الفتن ج ٩ ص ٦٩ - ٧٠ واللفظ له - واخرجه مسلم
كتاب الزهد باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعل ج ١٨ ص ١١٨
بشرح النووى - واخرجه احمد ج ٥ ص ٢٠٥ - ص ٢٠٧ - ص ٢٠٩ .

(٤) سورة غافر آية : ٥١ (٥) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

٤ - يدعو المسلم بالقُدوة الحسنة الى هدى الانسان وفلاحه فى الدنيا والآخرة وهذا مقصد نبيل جيد .

يدعو بدافعين اساسيين على الاقل هما :-

١ - الحرص التام من جانب المسلم القدوة على الالتزام بمنهج الله تعالى فى الحياة طمعا فى الفلاح فى الدنيا والآخرة .

٢ - الحرص من المسلم القدوة على تجسيد نموذج القدوة رغبة فى الاقتداء به لينال شرف الالتزام ومثوبته ولينال شرف التأسى به ومثوبته التى اوضحها محمد صلى الله عليه وسلم فى حديث : (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً) (١) ولهذا فان الدوافع السامية القوية عامل قوى وسر من اسرار قوة التأثير بالقدوة الحسنة .

موقف الصحابة من الاقتداء بالانبياء ومن معهم :-

عن ابي وائل (٢) قال جلست الى شيبه (٣) فى هذا المسجد قَالَ جَلَسَ إِلَى عُمَرَ فِي مَجْلِسِكَ هَذَا فَقَالَ لَقَدْ هَمَمْتُ (٤) أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا (٥) (٦) صَفْرَاءَ (٧) وَلَا بَيْضَاءَ (٨) إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا

(١) سبق تخريجه كاملا . ص ١٢٩ .

(٢) ابو وائل شقيق بن سلمه الأسدى ادرك سبع سنين من سن الجاهلية وقد ذكرناه فى كتابنا فى الصحابة . روى عن عمر وعلى وابن مسعود وجريير البجلي وابى موسى والمغيرة بن شعبة روى عنه منصور والاعمش وعاصم واجمعوا على انه ثقة . الاستغناء فى معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى ج ٢ ص ٩٦٨ لابی عمر يوسف القرطبى ج ١ عام ١٤٠٥ هـ - دار ابن تيميه للنشر والتوزيع .

(٣) شيبه هو ابن عثمان الحجبى العبدوى اسلم بعد الفتح وبقى الى زمان يزيد بن معاوية وليس له فى البخارى ومسلم الا هذا الحديث . عمده القارى ج ٢٥ ص ٢٦ .

(٤) هممت : اى قصدت

(٥) ان لا ادع : اى لا اترك فيها اى فى الكعبة .

(٦) صفراء : ذهب (٧) بيضاء : اى فضة

أَلَمْ تَأْتِ بِفَاعِلٍ قَالَ لِمَ ؟ قُلْتُ لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبُكَ قَالَ هُمَا الْمَرَّانِ يُقْتَدَى بِهِمَا (١)

قوله هما المران يقتدى بهما : أى بالنبى صلى الله عليه وسلم وبأبى بكر رضى الله عنه والافتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم اقتداء بسنته . (٢)

هذا اقتداء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه حيث اقتدى بهما واقتفى آثارهما فلم يخرج عن سلوكهم بقول أو بعمل .
آدم عليه السلام :-

خلق الله آدم عليه السلام واسكنه الجنة وقال ابن كثير فى فضائل آدم عليه السلام هذه أربع تشرىفات خلقه الله بيده الكريمة ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له وتعليمه أسماء الأشياء (٣)
قال الله تعالى : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (٤)

وقوله (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٥)

(١) أخرجه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء

بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٩ ص ١١٤ - وكتاب الحج

ج ٢ ١٨٣ واللفظ له - وأخرجه احمد ج ٣ ص ٤١٠ .

(٢) عمدة القارى المجلد ١٢ ج ٢٥ ص ٢٦ .

(٣) كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - مكتبة المعارف

بيروت ج ١ ص ٧٢ - الطبعة الثانية وانظر ايضا ص ٣٣ مع

الانبياء فى القرآن الكريم - تأليف عفيف طباره - ط ١٢ - دار

العلم للملايين - بيروت .

(٤) سورة الحجر آية : ٢٩ .

(٥) سورة البقرة آية : ٣١

وقد استعرض القرآن كثيرا من الايات التى تبين لنا فضائل آدم عليه السلام وتشريفه وتكريمه ومدة بقائه فى الجنة وخلق له زوجة واسكنه اليها .

الا انا نريد ان نشير هنا الى مواضع الابتلاء والقعدة فقط ليكون لنا نبراسا نسير على منهاجه ونقتدى به .

فدخل آدم الجنة وسكنه فيها من عظيم النعم التى امتن الله بها على نبيه آدم قال الله تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ . فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (١)

الابتلاء الأول :-

هذه النعم الموجبه للشكر فان بقاء النعم منوط بدوام الشكر والبعد عن المعاصى . ولا يمكن ان يقال ان معصية آدم خارجة عن ارادة الله بل هى اصل الابتلاء والامتحان فقد خلق آدم على اصح الاقوال ليكون خليفة الله فى ارضه ولذا قال القرطبى :

(لم يكن اخراج آدم من الجنة واهباطه منها عقوبة له لانه اهبطه بعد ان تاب عليه وقبل الله تعالى توبته وانما اهبطه ابتلاء وامتحانا له وذهب الى القول بان فى اهباطه واسكانه الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية فى ذلك وهى تنشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم بناء على قوله : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (٢) وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة . (٣)

(١) سورة البقرة آية : ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(٣) تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٠٧ .

ويقول الطبرى فى تاريخه وفى ابتلاء آدم وامتحانه بما امتحنه من طاعته وذكر ركوب آدم معصية ربه بعد الذى كان اعطاه من كرامته وشريف المنزلة عنده ومكنه فى جنته من رغد العيش وهنيئه وما ازال ذلك عند فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش الى نكد عيش اهل الأرض وعلاج الحراثة والعمل بالمساحة والزراعة فيها .

فلما اسكن الله آدم وزوجته الجنة اطلق لهما ان ياكلا ما شاءا اكله من كل ما فيها من ثمارها غير شجرة (١) واحدة ابتلاء منه لهما بذلك وليمضى قضاء الله فيهما وفى ذريتهما . (٢)

وهذا ضابط لسلوك آدم امام الشهوات ولكن ما الدافع الى الاكل من الشجرة والوقوع فى المعصية وفى ذلك عدة اقوال :

الدافع الى الكل من الشجرة : دافع حب البقاء

١ - الرغبة فى التمكين والحرص على البقاء فى الجنة ولذا قال لهما الشيطان (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) (٣)

ويقول ابن كثير اى اذا اكلت منها حصل لك الخلد فيما انت فيه من النعيم واستمررت فى ملك لا يبين ولا ينقص وهذا من التغرير والتزوير والاختبار بخلاف الواقع . (٤) وقوى هذا الدافع عاملان اساسيان هما :

(١) اختلف فى هذه الشجرة ولكننا لسنا بصدد الحديث عنها يرجع اليه

فى كتب التفاسير - تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٠٧ .

(٢) تاريخ الامم والملوك ج ١ ص ٥٣ . لآبى جعفر بن جرير الطبرى - دار احياء التراث - بيروت .

(٣) سورة الاعراف آية ٢٠ .

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٧٧ مرجع سابق .

١ - دافع الحقد والحسد كيف اخرج آدم من الجنة :

وذلك ان ابليس عليه لعنة الله قد حقد وحسد آدم عليه السلام فحاول اغرائه .

وهنا تظهر غريزة الانسان امام المغريات وما هو ذا قد ضعف امام اغواء الشيطان فآزلهما ووقعهما فى المخالفة . (١)

٢ - اغواء آدم وحواء بآن نسي العهد بآن الشيطان عدو له ولذا قال تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) (٢) وقال الله تعالى : (إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (٣) . فنسى عداوة ابليس لهما ونسى النهى والتحذير البالغ والشديد من ابليس لعنة الله حتى وقعا فى الخطيئة فأكلا من الشجرة .
اما ما ترتب على هذا الابتلاء :-

١ - الهبوط من الجنة الى الارض

قال تعالى : (فَآزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ . وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) (٤) قال ابن كثير فى كتاب البداية والنهاية : (١)
من النعيم والنضرة والسرور الى دار التعب والكد والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه فى صدورهما (٥) .
كما قال تعالى : (فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (٦)

(١) التفسير الواضح ج ١ ص ٣٢ - محمد محمود حجازى - ط ٦ - مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة .

(٢) سورة طه آية : ١١٥ .

(٣) سورة طه آية : ١١٧٧ .

(٤) سورة البقرة آية : ٣٦ .

(٥) البداية والنهاية ج ١ ص ٧٧

(٦) سورة طه آية : ١١٧

حيث ان الجنة ليس فيها تكليف وليس فيها سعى ومنذ نزول آدم وهو يسعى فى رزقه - ولذا قال الفخر الرازى : (اذاق البدن الم الطاعات كما ذاق حلاوة المعصية (١))

(٣) توبة آدم عليه والسلام وحواء

قال الله تعالى : (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢)) .

وقال الله تعالى : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣))

يقول القرطبى اى فطن وفهم وقيل قبل واخذ وقبل توبته ووفقه للتوبه وتاب ورجع الى طاعة ربه . (٤)

وقال الفخر الرازى فى تفسيره :

ان آدم عليه السلام لما لم يستغن عن التوبة مع علو شأنه فالواحد منا اولى بذلك . (٥)

ان كان ظهر من آدم عليه السلام من البكاء على زلته تنبيه لنا ايضا لاننا احق بالبكاء من آدم عليه السلام .

وقال ابن كثير : (وهذا اعتراف ورجوع الى الانابة وتذليل وخضوع واستكانه وافتقار اليه تعالى فى الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى فى احد من ذريته الا كانت عاقبته الى خير فى دنياه واخراه (٦)) .

(١) الفخر الرازى - التفسير الكبير ط ٢ دار الكتاب العلمية -

طهران ج ١ ص ٢٥٠ .

(٢) سورة الاعراف آية : ٢٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ٣٧ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ١ ص ٣٢٤ ن وانظر ايضا تفسير

ابى السعود ج ١ ص ٩٠ - ٩٣ .

(٥) تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ٢٢ .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٧٩ " مرجع سابق " .

ومراداه ان التوبة وسرعة الندم اذا ورشها الابناء عن الاباء
فأصبح المذنب مستشعر بالذنب والندم واناب الى الله ولذا قال الله
تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**) (١) أى كثيرى التوبة والانابة
الى الله .

ولذا لجأ آدم الى التضرع والدعاء بقوله : (**إِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا**
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢) . وقال تعالى : (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ**
رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) قال ابو السعود :
فى الجمع بين قوله تواب ورحيم (وفى الجمع بين الوصفين وعد بليغ
للتائب بالاحسان مع العفو والغفران) (٣)

قال سيد قطب : (ان قصة الشجرة المحرمة ووسوسة الشيطان باللذة
ونسيان العهد بالمعصية والصحوة من بعد السكره والندم وطلب
المغفرة انها هى تجربة البشرية المتجددة والمكررة) (٤)
ويريد بذلك ان الانسان دائم الوقوع فى المعاصى لكن المؤمن هو
من يسرع بالتوبة والندم .
دافع الحسد أدى الى قتل هابيل :

اذ ابتلى آدم عليه السلام بقتل قابيل لهابيل وقد ذكرت كتب
التاريخ والسير هذه القصة فيقول الطبرى فى سبب القتل هو تقبل
الله لقربان هابيل دون قابيل . (٥)

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٢ .

(٢) سورة الاعراف آية : ٢٣ .

(٣) تفسير ابى السعود ج ١ ص ٩٢ - محمد بن محمد العمارى - دار
احياء التراث - بيروت .

(٤) فى ظلال القرآن ج ١ ص ٥٩ - سيد قطب .

(٥) تاريخ الامم والملوك لآبى جعفر بن محمد بن جرير الطبرى ج ١ ص

٦٩ - احياء التراث العربى ، بيروت .

قال الله تعالى فى هذا : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبِئَاسٍ يَدَى إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبْثُورَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١)

وفى الحديث الشريف عن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الساعى قال افرأيت ان دخل على بيتى وبسط يده الى ليقتلنى قال كن كابنى آدم . (٢) فلما رجع آدم وجد ابنه قد قتل فذلك حين يقول الله عزوجل (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (٣) يعنى قابيل حين حمل امانة آدم ثم لم يحفظ له امله . (٤)

ولهذا يتحمل قابيل وزر كل من سعى بهذا الذنب العظيم لانه هو الذى سن القتل فى الارض وتبعه بعده الناس فهى اول معصيه يعصى الله فيها قال تعالى : (ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) (٥) .

(١) سورة المائدة آية : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ .

(٢) أخرجه الترمذى واللفظ له كتاب الفتن باب ما جاء فى تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم حديث ٢١٩٤ ج ٤ ص ٤٨٦ ، وقال ابو عيسى هذا حديث حسن واخرجه ابو داود كتاب الفتن باب النهى عن السعى فى الفتنة ج ٤ ص ٩٩ واخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب التثبت فى الفتنة ج ٢ ص ١٣١٠ حديث ٣٩٦١ .

(٣) سورة الاحزاب آية : ٧٢ .

(٤) تاريخ الامم والملوك للطبرى ج ١ ص ٦٩ .

(٥) سورة المائدة آية : ٣٢

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لَا تُقَاتِلْ نَفْسًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا) (١)

فقد تحمل آدم عليه السلام هذه المصيبة والفجيرة العظيمة التى وقعت لابنه تحقيقا لقوله تعالى : (لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٢)

من قصة آدم عليه السلام لنا عبر وعظات من نواح عدة :-

١ (التحذير من الوقوع بالمعاصى ولذا قال الفخر الرازى :-

ان من تصور ما جرى على آدم عليه السلام بسبب اقدامه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصى .

٢ (التحذير من الحرص على الدنيا .

قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى (٣) رضى

(١) أخرجه البخارى واللفظ له كتاب الديات باب قول الله تعالى

(ومن أحيائها) ج ٩ ص ٣ ، وكتاب الاعتصام باب اثم من دعا الى

ضلالة او سن سنة سيئة ج ٩ ص ١٢٧ وأخرجه مسلم كتاب القسامة

باب اثم من سن القتل ج ص ١٦٦ بشرح النووى وأخرجه الترمذى

كتاب العلم ج ٥ ص ٤٢ حديث ٢٦٧٣ وأخرجه احمد ج ١ ص ٣٨٣ -

٤٣٠ - ٤٣٣ . وأخرجه ابن ماجه ديات باب التغليظ فى قتل مسلم

ظلمًا ج ٢ ص ٨٧٣ حديث ٢٦١٦ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٦ .

(٣) أبى سعيد الخدرى : هو سعيد بن مالك بن سنان الانصارى الخزرجى

صحابى جليل من فقهاء الصحابة اشتهر بكنيته استصغر يوم احدث

كان اول مشاهده اللخندق وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم

اثنى عشرة غزوة كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم قال

الواقدي وغيره مات سنة اربع وسبعين وقيل قبلها بعشر سنين -

يوم الجمعة ودفن بالبقيع .

اسد الغابة ج ١٢ ص ٢١٣ - البداية والنهاية ج ٩ ص ٣ - ٤

الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّهُ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَيْنَتِهَا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ مَا شَأْنُكَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَكَلِّمُكَ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ قَالَ فَفُصِّحَ عَنْهُ الرَّحَضَاءُ (١) فَقَالَ أَيْنَ السَّائِلُ وَكَانَ حَمْدُهُ فَقَالَ إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ وَإِنْ مِمَّا يَنْبِثُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يَلْمُ إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرَاءِ (٢) أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا أَمْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ (٣) وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خُضْرَةٌ طَوْدَةٌ فَنَعَمْ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمُسْكِينُ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ . (٤)**

فما حمل آدم على الوقوع بالمعصية الا حرصه على التمكين والخلود في الجنة

٣ - التحذير البالغ والشديد من الشيطان واعوانه وبيان عداوته لادم وذريته .

وقال الفخر الرازي في قوله تعالى : (**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**) (٥)

هذا تنبيه عظيم على وجوب التحذير (٦)

(١) الرحضاء : العرق اثر الحمى عرق يغسل الجلد كله .

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم (ان مما ينبت الربيع يقتل او يلم الا

آكله الخضراء - المعنى ان نبات الربيع وخضرة يقتل حبطا

بالتخمة لكثرة الاكل او يقارب القتل الا اذا اقتصر منه على

اليسير الذى تدعوا اليه الحاجة وتحصل به الكفاية المقتصدة

فانه لا يضر وهكذا المال) ص ١٤٣ ج ٧ صحيح مسلم بشرح النووى .

(٣) فثلطت : اى القت الثلط وهو الرجيع الرقيق واكثر ما يقال

للابل والبقر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ١٤١ .

(٤) اخرجه البخارى كتاب الزكاة باب الصدقة على اليتامى ج ٢ ص ١٥٠

- واخرجه مسلم كتاب الزكاة باب التحذير من الاغترار بزيينة

الدنيا ج ٧ ص ١٤١ ن ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ بشرح النووى -

واخرجه احمد ج ٣ ص ٢١ ن ج ٢ ص ٤٠ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٨ . (٦) الفخر الرازي بتصرف ج ٣ ص ١٨

ولذا قال ابن القيم فى قوله : (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) (١) وهو سبحانه قد اكد امر العداوة بين الشيطان والانسان واعاد وابدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة الى التحرز من هذا العدو (٢) وقال (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا . إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (٣) ولنا ان نتعظ من وقوع آدم عليه السلام فى المعصية . واخرجه من الجنة يقول الله تعالى (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا) (٤) فان المقصود اخبار الله تعالى الثقلين بما جرى لأبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر فذكر أبويهما ابلغ فى حصول هذا المعنى من ذكر أبوى الانسان فقط .

لذا فالخطاب موجه الى آدم وابليس اذ هما أبوا ثقلين واصلا الذرية فذكر حالهما ومآل امرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما (٥) ٤ - سرعة توبة وانابة آدم عليه السلام .

وقال الفخر الرازى ان آدم عليه السلام لما لم يستغن عن التوبة مع علو شأنه فالواحد منا أولى بذلك .

ان بكاء آدم وتضرعه الى الله لنا ان نقتدى به فهو على عظم منزلته من الله لم يستكبر عن التوبة والانابة الى الله .

وفى هذا ايضا تنبيه لنا لاننا احق بالبكاء من آدم عليه السلام

٥ - انه لا بد ان يكون العبد مشغلا بالتوبة فى كل حين واوان .

٦ - العزم على ترك الذنوب فى المستقبل (٦)

(١) سورة البقرة آية : ٣٦

(٢) التفسير القيم لابن القيم - تحقيق محمد حامد الفقى - دار الكتب العلمية - بيروت ص ١٣٤ .

(٣) سورة فاطر آية : ٦

(٤) سورة طه آية : ١٢٣ .

(٥) التفسير القيم ص ١٣٥ - ص ١٣٦ بتصرف .

(٦) تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ٢٢ ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ بتصرف .

ويمكن ان نستنتج من قصة ابليس ما يلى :-

١ - التحذير من الاستكبار والحسد والحرص ولذا قال الله تعالى
 : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
 وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (١) فقد حسد ابليس آدم على ما
 اعداه الله من الكرامة فكان ان عاقبه الله تعالى فقال الله
 تعالى : (فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ
 الصَّاغِرِينَ) (٢)

وفى الحديث نهى شديد عن الكبر (عن عبد الله بن مسعود عن
 النبى صلى الله عليه وسلم قال لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
 مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ
 ذَرَّةٍ مِنْ رِيَامَانٍ قَالَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا
 وَتَعْلِي حَسَنَةً قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطَرَ
 الْحَقَّ (٣) وَغَمَطَ النَّاسُ (٤) (٥) الحديث .

وقد نقل ابن حيان قول الطبرى :

وفى قصة ابليس تقريع لمن اشبهه من بنى آدم وهم اليهود
 الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع عملهم بنبوته ومع قدم
 نعم الله عليهم وعلى اسلافهم . (٦)

(١) سورة البقرة آية : ٣٤ .

(٢) سورة الاعراف آية : ١٢ .

(٣) بطر الحق : دفعه وانكاره ترفعا وتجبرا .

(٤) غمط الناس : احتقارهم . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٩٠

(٥) اخرجه مسلم كتاب الايمان باب تحريم الكبر ج ٢ ص ٨٩ بشرح

النووى واخرجه الترمذى واللفظ له كتاب البر باب ما جاء فى

الكبر ج ٤ ص ٣٦١ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب -

واخرجه ابو داود عن ابى هريرة ج ٤ ص ٥٩ كتاب اللباس باب ما

جاء فى الكبر - حديث ٤٠٩٢ . (٦) التفسير الكبير المسمى

بالبحر المحيط لآبى حيان - مكتبة النصر الحديثة - الرياض ج ١

وهى ايضا لنا عبرة اذ حرم علينا الحسد والكبر وغيره من النقائص
وفى الحديث الشريف . عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : (لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا
وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ) (١)

ولذا كان جديرا بنا ان ننقل قول سيد قطب فى ختام هذه القصة
قصة اول صراع بين آدم وابليس حيث يقول :

(وفى خاتمة القصة وهو وقوف الانسان امام مفترق الطريق اما ان
يسمع الانسان ويطيع لما يتلقاه من الله او ان يسمع الانسان ويطيع
لما يمليه عليه الشيطان وليس هناك طريق ثالث اما الله واما
الشيطان اما الهدى واما الضلال اما الحق واما لباطل اما الفلاح واما
الخسران . هذه الحقيقة هى التى يعبر عنها القرآن كله) (٢) .
قال الله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ
أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) (٣) . هذا تحذير بليغ لنا من عداوة الشيطان
لابن آدم اذ انه اساس الفتنة الاولى والخطيئة التى بسببها اخرج
آدم من الجنة . فخطيئته الكبرى هى :-

١ - اول معصية عصاها ابليس لله عزوجل حينما امتنع عن السجود لآدم
(اَبَى وَاسْتَكْبَرَ) (٤)

وكان نتيجة العقوبة الحتمية . قال الله تعالى : (أَخْرَجْنَا مِنْهَا
مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) (٥)

(١) اخرجه البخارى واللفظ له كتاب الادب باب ما نهى عن التحاسد

والتدابير ص ٢٣ ج ٨ واخرجه الترمذى كتاب البر والصلة باب ما

جاء فى الحسد ج ٤ ص ٣٢٩ حديث رقم ١٩٣٥ .

(٢) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٦١ " مرجع سابق " .

(٣) سورة الاعراف آية : ٢٧ .

(٤) سورة البقرة آية : ٣٤ .

(٥) سورة الاعراف آية : ١٨ .

٢ - الخطيئة الثانية الحسد اذ حسد ابليس آدم فقال : (وَأَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) (١) فقد حسد ابليس آدم عليه السلام على تكريم الله له .

٣ - الخطيئة الثانية : واما الخطيئة المشتركة بين آدم وحواء فهي الحرص على البقاء والتمكين فاتاهم الشيطان من هذه الغريزة ووسوس لهم بان قال : (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) (٢)

فدافع الحسد هو اول ذنب عصى الله فيه فى السماء من ابليس وهو اول ذنب عصى الله فيه من اهل الارض (٣)

ولنا فى قتل قابيل لهابيل عدة عبر وعظات ومنها :

١ - القى الشيطان الحرص فى قلب هابيل حتى قتل هابيل وسبب ذلك الحرص على الدنيا فقد ذهب المفسرون الى ان سبب تقديم القربان هو طمع قابيل ان يتزوج اخت هابيل وزوجته فرفض فقدا القربان فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل مما دعاه الى الحسد فتوعده بقتله حتى تمكن من ذلك فقتله .

وسواء كان هذا هو السبب او لاي سبب آخر فالدافع للقتل هو الحرص وحب الشهوات وحب النساء خاصة كما قال الله تعالى : (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ . (٤)

(١) سورة الاسراء آية : ٦١

(٢) سورة الاعراف آية : ٢٠ .

(٣) مع الانبياء فى القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طباره - دار

العلم للملايين , بتمصرف ص ٥٥ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٤ .

فهذا تحذير بالغ من هذه الشهوات وان كانت هى فى غريزة النفس البشرية فان اول فتنة بنى اسرائيل من النساء . وقال صلى الله عليه وسلم : (وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خُضْرَةٌ حُلْوَةٌ فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمِسْكِينُ وَالْيَتِيمُ وَابْنُ السَّبِيلِ) (١)

٢ - وفى القصة بيان ابتلاء آدم عليه السلام بقتل ابنه وصبره على هذا البلاء واحتسابه .

٣ - عدم مواجهة هابيل لقابيل بالقتل وذلك دفعا للفتنة لانه قال تعالى على لسان هابيل (لَإِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (٢) .
نوح عليه السلام :-

نوح عليه السلام نبى الله بعث يدعو قومه الف سنة الا خمسين عاما فما وهن وما ضعف وما ترك الدعوة بل صبر وجلد حتى بلغ بوحى من الله انه لن يؤمن معه الا من آمن من قبل وهم قلة . وساسير على نفس المنهج الذى التزمته فى هذا الفصل حيث سالتبع مواضع الابتلاء والصبر والبلاء الحسن فى سبيل الدعوة ليكون لنا قدوة اخرى نسير عليها .

فنوح عليه السلام كان ممن ابتلى بقوم عصاة لا يفيد معهم الوعظ ولا الارشاد والنصح بالتى هى احسن حتى طال بقاءه بينهم وتواصوا عليه قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) (٣) .

(هذا تشبيت للنبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل له ان نوحا لبث الف سنة الا خمسين عاما يدعو قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد امتك) (٤)

(١) سبق تخريجه : ص ١٤٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٢٨

(٣) سورة العنكبوت آية : ١٤ .

(٤) فتح القدير للشوكانى ج ٤ ص ١٩٦ .

فهذا موضع يتجلى فيه عظم صبر الداعية الى الله فلا ييئس ولا يقطع الدعوة والرجاء لان هذا كله من اجل الله .

" فمع هذه المدة الطويلة فما آمن به الا القليل منهم وكان كل ما نقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الايمان به ومحاربته ومخالفته . وكان الوالد اذا بلغ ولده وعقل منه الكلام وصاه فيما بينه وبينه ان لا يؤمن بنوح ابدا ما عاش ودائما ما بقى وكانت سجايهم تنبى الايمان واتباع الحق (١) . ولهذا قال : (وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) (٢)

واخرج الطبرى بسنده من حديث عمير الليثى : (انه كان يحدث انه بلغه انهم كانوا يببطشون به يعنى قوم نوح بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) (٣)
قال ابن اسحاق حتى اذا تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتى قوم الا كان اخبث من الذى قبله حتى ان كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع ابائنا ومع اجدادنا هكذا مجنوننا لا يقبلون منه شيئا حتى شكا ذلك من امرهم نوح الى الله عزوجل فقال كما قص القرآن عنه : (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) (٤) الا ان دعا عليهم (لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) (٥) .

والله انه لصبر عظيم طويل الباع بل ان اعتذار نوح عن قومه لهو اعظم درجات العفو والصفح حين قال فانهم لا يعلمون عظم المعصية من

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٠٩ .

(٢) سورة نوح آية : ٢٦ .

(٣) تاريخ الامم والملوك ج ١ ص ٩٢ - للطبرى . وانظر ايضا المختصر

فى اخبار البشر - تاريخ ابى الفداء ج ١ ص ١٠ .

(٤) سورة نوح آية : ٤ - ٥ .

(٥) سورة نوح آية : ٢٥ - ٢٦ .

اذية الرسل والانبياء فكان الاجدر ان ينتقم او يدعو عليهم او يعرض عنهم لكنه نبي لم يعرض ولم يدع عليهم ولم ينتقم منهم الا بعد الامد الطويل والوحى من الله انهم لن يؤمنوا ولن يلدوا الا فاجرا كفارا هنالك دعا عليهم نوحا فاهلكهم الله بالطوفان .

١ - اتهامه بالجنون :-

قال الله تعالى : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) (١) . لم يقتصر اذيتهم على خذلانه وعدم الايمان به بل اتهموه بالجنون وزجروه ونهروه . عن دعوة النبوة وعن تبليغ ما ارسل به بكل انواع الزجر وهذا فيه تاس وتسليه لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وقد اشار الشوكاني الى موضع القدوة فقال : (والمقصود من ذكر القصة هي تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه (٢))

٢ - تهديد نوح عليه السلام :-

قال تعالى على لسانهم : (لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) (٣) فهذا تهديد له عليه السلام ليكف عن تبليغ الرسالة (فلما طال مقام نبي الله بين اظهرهم يدعوه الى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا وكلما كرر عليهم الدعوة صموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا ان لم تنته عن دعوتك ايانا الى دينك لنرجمك) (٤)

٣ - الانقاص من قدره وقدر اتباعه عليه السلام :-

قال الله تعالى : (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا

(١) سورة القمر آية : ٩ .

(٢) فتح القدير ج ٥ ص ١٢٢ .

(٣) سورة الشعراء آية : ١١٦ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٤١ .

بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (١)

يقول الامام الطبرى كانوا منكرون ان الله يرسل من البشر رسولا الى خلقه . وما تبعك الا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والاشراف . (٢)

فهم قد اعابو عليه انصاره واتباعه ونسبوه الى انهم السفلة
الى ضعفاء القوم وليسوا من السادة والاشراف .
٤- تكذيبهم نبيهم فى الآخرة :-

لم يقتصر التكذيب والخذلان وما لاقاه فى الدنيا فقط بل استمروا بالمكابرة والتكذيب حتى فى الآخرة ففى الحديث الصحيح عن ابي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَجَاءُ بَنُوْحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ فَتَسْأَلُ أُمَّتَهُ هَلْ بَلَغَكُمْ فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ شَهِدَكَ ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ فَيَجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (٤) والوسط : العدل .

هذا جانب مما لاقاه نوح عليه السلام من قومه فقط الذين جحدوا

(١) سورة هود آية : ٢٧

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن - تفسير الطبرى - ج ٢ ص ١٧ .

(٣) أخرجه البخارى واللفظ له فى كتاب الانبياء باب قوله تعالى :

(ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) ج ٤ ص ١٦٣ وكتاب الاعتصام باب

قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم امة وسطا) ج ٩ ص ١٣٢ - وأخرجه

ابن ماجه زهد باب صفة امة محمد صلى الله عليه وسلم ج ٢ ص ١٤٣١

حديث رقم ٤٢٨٤ - وأخرجه احمد ج ٣ ص ٣٢ - ص ٥٨ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

تبليغ الرسالة وانكروا بادىء ذى بدء ان يكون رسولا من عند الله .
ومن الملاحظ ان ابتلاء نوح عليه السلام لم يقتصر على قومه بل ابتلى
فى اقرب الناس اليه فضرب لنا باعا عظيما فى الصبر وتحمل الاذى
والابتلاء حتى من اقرب الناس اليه فقد وقعت الخيانة من زوجته
والتكذيب من ابنه فابتلى باهله فصبر على ذلك صبورا جميلا قال الله
تعالى (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا
تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) (١)

وقال الشوكانى خيانتها انها كانت تقول للناس انه مجنون وقد
وقع الاجماع على انه لم تنزن امرأة نبي قط . وقيل خيانتها النفاق -
وقيل النميمة (٢) بل حتى ابنه يام الذى كذبه ولم يصدقه وكان وعد
الله نوحا بان ينجيه واهله الا ان الغرق امتد الى يام فقال الله
تعالى : (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ
مَعَ الْكَافِرِينَ) (٣)

وقال الطبرى نادى نوح ابنه يام وكان فى معزل عنه لم يركب
معه الفلك يا بنى اركب معنا الفلك ولا تكن مع الكافرين .
وفى هذا يضرب لنا نوح مثالا آخر للاقتداء والصبر على الابتلاء
فابننه عصاه وتخلى عنه وانحرف عن منهجه ومع ذلك عرف نوح ان هذا
ابتلاء من الله . ولما عاتبه ربه على طلبه نجاة ابنه بادر بالتوبة
والاستغفار وهذا جانب عظيم وخلق المؤمن الكريم فهو خلق آدم عليه
السلام ومنهج الانبياء السالفين فقال الله تعالى على لسان نبيه

(١) سورة التحريم آية : ١٠ .

(٢) فتح القدير تفسير ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٣) سورة هود آية : ٤٢ .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن - الطبرى ج ١٢ ص ٢٨ .

(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١)

ويقول الطبري هذا حث على الاقتداء بالنبي نوح في سرعة توبته وانابته الى الله من زلته في مسأله التي سألها ربه في ابنه (٢)
العاقبة :-

ولقد كانت العاقبة انتصار نوح وهلاك كل من كفر وجحد بنبي الله عليه السلام وقد حكى لنا القرآن في مواضع متعددة استجابة الله سبحانه لعبده الصالح ولنبيه القدوة وانتصاره على قومه فقال تعالى : (وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) (٣) وقال الله تعالى (وَنُوْحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) قال رب قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين (٤)

وقال (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِر) (٥)

وقال (رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) (٦)

وقال الله تعالى (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا) (٧) وقال نوح رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) (٨) فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوه نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك (٩)

(١) سورة هود آية : ٤٧

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢ ص ٣٤ .

(٣) سورة الصافات ص ٧٥ - ٧٦ . (٤) سورة الانبياء آية : ٧٦ .

(٥) سورة القمر آية : ١٠ . (٦) سورة المؤمنون آية : ٣٩ .

(٧) سورة نوح آية : ٢٥ . (٨) سورة هود آية : ١١٧-١١٨ .

(٩) سورة نوح آية : ٢٦ - ٢٧ .

(٩) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٠٩

قصة ابراهيم عليه السلام :-

ابراهيم الخليل عليه السلام ابو الانبياء و خليل الله وشبيهه محمد صلى الله عليه وسلم لقد خصه الله بالخله لفضله وصبره ومصابرته .
قال الله تعالى : (**وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ**) (١)
يقول الطبرى : (فى تفسير هذه الآية ان ابراهيم خليل الله كان معلم خير ياتم به اهل الهدى ومطيعا لله حنيفا مستقيما على دين الاسلام . (٢)

وقال القرطبي : الأمة الرجل الجامع للخير فانه عليه السلام دعا مشركى العرب الى ملة ابراهيم اذ كان اباهم وبانى البيت الذى فيه عزهم (٣) ولم يكن من المشركين .
وهذا اعلام من الله تعالى الى اهل الشرك من قريش ان ابراهيم منهم برىء وانهم براء منه .

فهو المجتبى والمصطفى لخلقه وهداه الى دين الاسلام لا اليهودية ولا النصرانية (٤) ويقول القرطبي : ان الله اجتباها للنبوّة . وقيل للولد الصالح الطيب . وقيل الصلاة مقرونة بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه ليس اهل دين الا وهم يقولونه وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى مع الصالحين) (٥)

جمع خيرى الدنيا والآخرة . ففى الحديث عن انس بن مالك قال : (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ**

(١) سورة النحل آية : ١٢٠ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١٤ ص ١٢٨ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي . ج ١٠ ص ١٩٧

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١٤ ص ١٢٨ بتصرف .

(٥) تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ١٩٧ وانظر تفسير

الطبرى ج ١٤ ص ١٢٩ .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١)

قال النووي وقال بعض العلماء انما قال هذا تواضعا واحترام لابراهيم عليه الصلاة والسلام لخلته وابوته والا فنبيننا صلى الله عليه وسلم افضل كما قال صلى الله عليه وسلم : عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَوَّلُ مَنْ تَشَقَّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ) (٢) ولم يقصد به الافتخار ولا التناول بل قاله بيانا لما امر ببيانه ولهذا قال ولا فخر (٣) وهذا من باب الهضم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام (٤) كما قال وفي فضل ابراهيم يقول الله تعالى : (إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (٥) ويقول ابن حجر فى معنى (الاواه) عن مجاهد الاواه الحفيظ الرجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا . (٦)

(١) أخرجه مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب فضائل ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ج ١٥ ص ١٢١ واللفظ له - وأخرجه ابو داود كتاب السنة باب التخير بين الانبياء عليهم السلام ج ٤ ص ٢١٨ - وأخرجه احمد ج ٣ ص ١٧٨ ، ص ١٨٤ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ج ١٥ ص ٣٧ بشرح النووي وأخرجه ابو داود كتاب السنة باب التخير بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ج ٤ ص ٢١٨ واللفظ له - وأخرجه الترمذى كتاب مناقب باب فصل النبى صلى الله عليه وسلم ج ٥ ص ٥٨٣ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب . وأخرجه بن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة ج ٢ ص ١٤٤٠ حديث رقم ٤٣٠٨ . وأخرجه احمد ج ٢ ص ٥٤٠ ، ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٢١ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٧١ .

(٥) سورة التوبة آية : ١١٤ .

(٦) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٣٩٠ .

وذهب الطبري الى انه الدعاء ونقل قول عبد الله بن مسعود (١) الذي رواه عنه انه الدعاء . وعلل ذلك بقوله ان الله ذكر ذلك ووصف به ابراهيم خليله وهو بعد وصفه اياه بالدعاء والاستغفار لآبيه فقال . (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ اِبْرَاهِيمَ لِآبِيهِ اِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا اِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) (٢) وترك الدعاء والاستغفار له ثم قال ان ابراهيم لدعاء ربه شاكر له حلیم عن سبه وناله بالمكروه وذلك صلى الله عليه وسلم وعد اياه بالاستغفار له ودعاء الله له بالمغفرة على الرغم من توعد ابيه اياه وتهده به بالشتم بعد ما ورد عليه نصيحته في الله .

فوفى لآبيه الاستغفار له حتى تبين له انه عدو لله فوصفه الله بأنه دعاء لربه حلیم عن سفه عليه . وأصله من التآوه وهو التضرع والمسألة بالحنن والاشفاق) (٣)

وفى الحديث من فضائل ابراهيم ما رواه ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا ثُمَّ قَرَأَ) (كَمَا بَدَأْنَا اَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا اِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (٤) واول من يكسى يوم القيامة ابراهيم وان اناسا من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي فيقول انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم فاقول كما قال العبد الصالح (٥) : (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ) .. الى قوله (الْحَكِيمُ) (٦)

(١) عبد الله بن مسعود : امه ام عبد من هذيل اسلم بمكة وهاجر الهجرتين وكان صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد بدرا والمشاهد كلها . تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٧ .

(٢) سورة التوبة آية ك ١١٤ .

(٣) تاريخ الامم والملوك - الطبري ج ١١ ص ٣٧ المجلد ٧

(٤) سورة الانبياء آية : ١٠٤ .

(٥) اخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب قول الله تعالى (واتخذ

الله ابراهيم خليلا) وقوله (ان ابراهيم كان امة قانتا)

وقوله (ان ابراهيم لاواه حلیم) ج ٤ ص ١٦٩ .

(٦) سورة المائدة آية : ١١٧

ويقول ابن حجر : (الحكمة فى خصوصه بذلك لكونه القى فى النار عرياناً وقيل لانه اول من لبس السراويل .
ولا يلزم من خصوصيته بذلك تفضيله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان المفضل قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة (١)

ولقد تعددت مواضع الابتلاء بالنسبة لابراهيم الامة القانت فكان نموذجاً كاملاً لصبر على البلاء وتقديم احسن البلاء العظيم فى سبيل ربه ودعوته الى دينه هذا الخليل والمجتبى المختار يبتلى بكفر ابيه ازر فيصبر ويستغفر ويستحى على احسن ما يكون ادب الابن البار بوالديه فهو اول ابتلاء لابراهيم عليه السلام ويحكى القرآن هذا البلاء حيث يبين الاسلوب الرفيع الذى دعى فيه الابن اباه فقال : (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً . يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً . يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً . يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً) (٢)

ابراهيم كداعية لم يتبرا من بنوته لانيه ازر - استخدم اسلوب الاقرار بالابوة فى كل بيان للدعوة وما هو يفتح قوله يا ابت . ويختم الدعوة بقوله : (يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن) اعتراف تام بالابوة وامتنال لأمر الدعوة باللفظ واللين كما قال تعالى : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) (٣) الآية هذا هو اللين الذى اتبعه ابراهيم فى دعوة صانع التماثيل والأصنام وهو اسوة لكل داعية الى الله حيث يظهر لنا ضبطه لسلوكه وعطفه على والده ومخاطبته بالتى هى احسن .

(١) فتح البارى ج ٦ ص ٣٩٠ سبق شرح فضل النبى صلى الله عليه وسلم

على سائر الانبياء ص ١٤٨ .

(٢) سورة مريم آية : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) سورة لقمان آية : ١٥ .

ثم يظهر السياق القرآنى جانباً آخر من عظم ادب الابن البار وحسن اسلوب الدعوة الى الله والحاجة ليكون لنا قدوة واسوة حيث بين ان المعبود لا بد ان ينفع ويضر وهذه التى يعبدونها لا تنفع ولا تضر فهذه حجة من ابراهيم عليه السلام لعل ازر يدركها فيقتنع بها .
 لم يصرح انه عالم بكل شىء ولم يصف اباه بالجهل بل قال :
 (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) (١) .

هكذا شأن العلماء العظماء لا فخر ولا تعالى بعلمه فلم يسم نفسه بالعلم ولم يسم اباه بالجهل المفرط بل قال جاءنى شىء من العلم وهو العلم الذى سينقذنا من هذا الضلال وهذا اسلوب جيد من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وضابط لسلوكه ولعجبه وكبريائه بعلمه فهو عالم بربه واعلم اهل زمانه ومع وجود الدافع الى العجب والكبر الا انا نجد الضابط اقوى حيث لا يظهر علمه بل يقول شيئاً من العلم .
 ثم يبين له ان الشيطان مغاضب لله بسبب امتناعه للسجود لآدم وهو سبب المعصية الاولى التى بسببها اهبط آدم من الجنة . وهذا ايضا اسلوب ينبغى للداعية ابرازه فى دعوته الى الله عزوجل اذ يبين الضرر من الطريق الذى عليه الضال ويبين له سبيل الهداية والرشاد .

ويختم الدعوة كما اشارت الايات سابقا بقوله (يا ابت) الا انه هنا يظهر حزنه وشفقته على والده من العقوبة التى هى عادة تلحق العصاة امثاله .

هكذا اسلوب الداعية الى الله قال الله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٢)

(١) سورة مريم آية : ٤٣ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٥ .

ابتلاءه عليه السلام بتهديد ابيه وطرده من أرضه :

قال تعالى على لسان ابي ابراهيم : (لَنْ لَّمْ تَنْتَهَ يَا اِبْرَاهِيمَ
لَارْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) (١)

(لم يجد ابراهيم من قومه اذانا صاغية لدعوته بل وجد اعراضا
وعداوة وهجرانا فلم يثنه ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن الى
قلبه) (٢) . فقلب ابراهيم الكبير لا يطيق رؤية والده يتيه فى الضلال
وينغمس فى عبادة الاصنام فيسعى الى هدايته ولكن هذا الوالد الذى
تجر عقله يقابل ابراهيم بالوعيد والتهديد بالرجم فيجيب هذا الابن
(سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي) (٣) .

(ان استغفار ابراهيم لوالده بعد ان تلقى تهديده يدل على
اخلاصه له كما ينم على قلب كبير ينبض بالحب والعطف والحنان) (٤)
(وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ اِبْرَاهِيمَ) (٥)

ففى قصة نوح كان الاب نبيا والابن كافرا وفى قصة ابراهيم كان
الاب كافرا والابن نبيا . وفى القصتين نرى المؤمن يعلن براءته من
عدو الله رغم كونه ابنه او والده وكان الله يفهمنا من خلال القصة
ان العلاقة الوحيدة التى ينبغى ان تقوم عليها الروابط بين الناس
هى علاقة الايمان لا علاقة الميلاد او الدم (٦)

وهذا ضابط قوى لعاطفة الابوة او النبوة فدافع الابوة قد يدفع
الانسان الى الارتباط بابيه وان كان كافرا ودافع البنوة قد يدفع
الانسان الى الارتباط بوالديه وان كانا كافرين . ولكننا نلمس من

(١) سورة مريم آية : ٤٦ .

(٢) مع الانبياء ص ١٣٨ .

(٣) سورة مريم آية : ٤٧ .

(٤) مع الانبياء ص ١٣٧ .

(٥) سورة التوبة آية : ١١٤ .

(٦) انبياء الله - احمد بهجت ص ٩٠ .

القصتين انضباط في السلوك وتبريء من الجانبين وسرعة العودة والاستغفار الى الله عزوجل وبيان ان العلاقة والدعوة انما هي من اجل الله فقط . ولذا قال في ابراهيم (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (١) اى تائب عن الاستغفار لوالده راجع الى ربه . هجرته عليه السلام من بلاده :

(فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ . وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢)

لقد قل اتباعه فلم يتبعه الا النبي لوط عليه السلام - وزوجته التي آمنت به فهاجر وساح داعيا الى الله على قلة الانتصار والاتباع وهذا مما يؤيد لنا ان قلة الاتباع لا تنبئ باليأس او القنوط وان الحق وان قل اتباعه لا بد ان يظهر . ابتلاؤه عليه السلام بالقاء في النار :

قال الله تعالى على لسان قومه (حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) (٣)

وقال الله تعالى : (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) (٤)

لقد دمغهم ابراهيم بالحجة الباهرة فما كان منهم الا ان لجأوا الى استخدام اسلوب الضعف والسلط والجبروت وهذه عادة الطغاة اذ اعدموا الحجة والبرهان . فيعد ان حاولوا معه وهو يقول : (أَفُكُّ لَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ) (٥)

(١) سورة التوبة آية : ١١٤ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٢٦ .

(٣) سورة الانبياء آية : ٦٨ .

(٤) سورة الصافات آية : ٩٧ .

(٥) سورة الانبياء آية : ٦٧ .

(أَيُّفَكَأَءِإِلَهَةًدُونَاللَّهِتُرِيدُونَ) (١) فهو مصر على موقفه وان واجه الاعداد فى سبيل العقيدة والثبات عليها وفوض امره الى الله فروى البخارى عن ابن عباس انه قال : (حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قالها ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ رَإِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (٣)

وقال ابن كثير : عدلوا عن الجدل والمناظرة الى استعمال قوتهم وطغيانهم لينصروا ما هم عليه من سفهم وطغيانهم فكادهم الرب واعلى كلمته ودينه وبركاته . (٤)

كما قال الله تعالى : (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِزِينَ) (٥)

" فهكذا الجهل اذا استحكم فى النفوس والتعصب الاعمى اذا لامس القلوب جعل النفوس تصل الى مستوى حقير فى الحكم على صحة الاشياء لهذا لما راوا انهم غلبوا على امرهم وخافوا اقتضاح حالهم ولم تبقي لهم حجة عدلوا عن الجدل والمناظرة وعمدوا الى القوة يسترون بها فضيحتهم " (٦)

ولكن الثبات هو مبدأ الدعاة فهكذا ابراهيم ثبت وان كان شابا يانعا لقوله تعالى : (إِنَّا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) (٧)

(١) سورة الانبياء آية : ٦٧ .

(٢) سورة الصافات آية : ٨٦ .

(٣) أخرجه البخارى كتاب التفسير باب تفسير سورة آل عمران ج ٦ ص

٤٨ ، ص ٤٩ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٤٥ .

(٥) سورة الانبياء آية : ٦٩ .

(٦) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره ص ١١٣ .

(٧) سورة الانبياء آية : ٦٠ .

فلجأ الى الله واسند ظهره اليه وشد به بآسه فانزل الله السكينة على قلبه وايده بنصره فهذه النار تاكل كل شيء الا الخليل يبقى فيها لم يمسسه سوء بامر الله . انه حسن التوكل على الله وضبط النفس وتحملها الصعاب والمشاق لنصره دين الله واعلاء كلمته لم يهرب ولم ينخدل ولم يتراجع مع ادراكه وقوع الموت له بل اعتمد على الله فى اخلاصه فنجاه الله منها وكادهم فلم يمسسه سوء .

هذه العقيدة الخالصة التى ينبغى للدعاة أن يقتدوا بها لا بد أن يواجه الداعية مثل هذا العناء مثل هذا الاسلوب لكنه لا يقنط ولا يتراجع بل يقتدى بأنبياء الله المهتدون فلا يتخلى عن ربه وعندئذ يأتى نصر الله المحقق له . عن سعيد بن المسيب عن ام شريك (١) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ وقال وكان ينفخ على ابراهيم (٢) .

ابتلاؤه عليه السلام بابنه الوحيد :

قال تعالى (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَا بُنَى إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ

(١) ام شريك : العامرية ويقال الانصارية ويقال الدوسيه اسمها غزيه ويقال غزيلة بنت دودان بن عمرو بن عامر بن رواحه بن منقذ بن عمرو بن عميص بن عامر بن لؤى وقيل غير ذلك فى نسبها وقال ابن سعد غزيه بنت حكيم جابر ويقال هى التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . روت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعنهما جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وشهري بن حوشب . تهذيب التهذيب . ج ١٢ ص ٤٧٢ .

(٢) رواه البخارى كتاب الانبياء ج ٦ ص ٣٨٩ فتح البارى . ورواه مسلم من حديث ابن جريح - كتاب قتل الحياة باب استحباب قتل الوزغ ج ١٤ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ بشرح النووى - واخرجه ابو داود كتاب الادب باب قتل الوزغ ج ٤ ص ٣٦٦ - واخرجه الترمذى كتاب الصيد باب ما جاؤ فى قتل الوزغ ج ٤ ص ٧٦ .

مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِذَا نَشَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١)

حقا انه ابتلاء وانه لبلاء مبين اذ يقول : (المفسرون انه ولد له وهو على رأس ست وثمانين سنة فلما شب وصار يسعى في مصلحة كآبيه وارتحل وطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل رأى ابراهيم انه يذبحه . هذا اختبار من الله عزوجل لخليله في ان يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر وقد طعن في السن) (٢)

ولكن هل هذا الابتلاء الاول لابراهيم مع هذا الابن الفريد الوحيد لشيخ طعن في السن لا بل كان الفراق والحكم عليه بأن يسكنه الواد كما يقول ابن كثير (هذا بعد ما أمر بأن يسكنه هو وامه في بلد كفر وواد ليس به حسيس ولا انيس ولا زرع ولا ضرع فامتثل أمر الله في ذلك وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ورزقهما من حيث لا يحتسبان) . (٣)

فهذا الابتلاء بالفراق عظيم وبعد عن الزوجة والولد بعد ان يرزقه على كبر وطعن في السن ومع هذا يمتثل فدافع الابوة شيء معروف ان الانسان لا يتحمل مشاق الزواج واعباء الاسرة الا من أجل الولد وبالتالي تأتي عاطفة الابوة والحنو على الاطفال وحبهم والتعلق بهم ولكننا نرى ان الله يربى هذا الخليل المصطفى المختار على تربيته خاصة لئلا يتعلق قلبه بغير ربه لا زوجه ولا ولد فينضبط

(١) سورة الصافات من الآية ١٠٠ : ١١٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٧ .

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٧ .

سلوك الأب ويضبط عواطف الأبوة ويتجه بزوجته وولده الى حيث امره الله (ثم لما امر بعد هذا كله بذبح ولده وهو بكره ووحيدده الذى ليس له غيره اجاب ربه وامتلأ امره وسارع الى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون اطيب لقلبه واهون عليه من ان يأخذه قسرا ويذبحه قهرا) (١)

تضحية من وجهين تضحية الوالد بولده وتضحية الابن بنفسه هذه هي ارفع صور الايمان واجلها فى تاريخ الانسانية .

(ما احوجنا الى هذا الدرس فى هذا الزمان الذى أصبح فيه المال والولد والمرأة يستاثرون بحب الانسان الذى يؤثرهم على كل شئ حتى أصبحوا معبودات له من دون الله وما احقر الانسان اذا تعلق بزينة الحياة الدنيا الفانية وترك الحقيقة الخالدة التى هي سبب وجوده ومصدر استمرار حياته) . (٢)

(فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (٣) . اسلما كلاهما لأمر ربهما وتنفيذه حتى لا تشرئب النفوس بغير ذات الجلال والكمال وليظهر استسلام ابراهيم لأمر ربه واستسلام النبی اسماعيل ايضا لهذا الأمر وانقيادهما مخلصين له وتنفيذ أمره عندئذ يشاء الله ان يفتدى بكبش عظيم ويكتب لابراهيم الاخلاص والوفاء والفداء هكذا ينبغي ان تبقى سيرة الدعاة الى الله التضحية بكل شئ يغلب على النفس حبا المال والزوجة والولد فالحب كله لله وحده .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره ص ١٣٩ .

(٣) سورة الصافات آية : ١٠٣ - ١٠٤ .

قصة داود عليه السلام :

ابتلى بأن جعل خليفه فى الارض اوكل اليه الحكم بين الناس وقد يظهر للبعض ان هذا ليس بلاء ولكنا ان تتبعنا قصة شريك القاضى ورفضه لان يكون قاضيا عرفنا عظم البلاء ليكون لنا قدوة (١)
 قال الله تعالى : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (٢)
 يقول ابن كثير :

هذا خطاب من الله مع داود والمراد ولاية الأمور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والآهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك ولو كان داود عليه السلام هو المقتدى به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادته وأنواع القربات حتى انه كان لا تمضى ساعة من آناء الليل وأطراف النهار الا واهل بيته فى عبادة ليلا ونهارا (٣) كما قال الله تعالى : (اَعْلَمُوا أَن دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (٤)

(وقد تكون الخلافة سببا لان يطغى الانسان ويحكم هواه لذلك دعاه الله الى ان يحكم بين الناس بالحق والعدل بعيدا عن هوى النفس) (٥)

-
- (١) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٤ .
 - (٢) سورة ص آية : ٢٦ .
 - (٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٤ .
 - (٤) سورة سبأ آية : ١٣ .
 - (٥) مع الانبياء فى القرآن ص ٢٨٠ .

موقف هذا النبی علیه السلام :

قال تعالى يصف شدة عبادة : (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَرْنَا مَعَهُ بِالسَّيِّئِينَ بِالعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْثُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ) (١)

وفى هذه الايات يتجلى لنا موضع القدوة الحسنه لهذا النبی الشاكر لانعم الله (وفى هذه الايات يأمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يذكر عبدة ونبيه داود ليكون له فيه الاسوة الحسنه فهو المتصف بصفة (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (٢) اى صاحب القوة فى دينه لايهن لشدته ولايضعف لاضطهاد فهذا المال وذلك الغنى لم تغنيه عن اللجوء الى الله بالعبادة وكثرة التوبة والانابه الى الله ولذا قال الله تعالى فيه : (انه اواب) اى كثير الرجوع الى الله فى الرخاء والشدة . فلم يغتر بهذة النعم كقصة قارون وفرعون والنمرود وغيرهم ممن فتنوا بمالهم فكانت عاقبه امرهم خسرا مما يجعلنا نقتدى بهذا النبی اذ ضبط سلوكه فقام بواجب شكر النعمة لله عز وجل فقال الله تعالى فى معرض الثناء على داود لشكره نعمة ربه ((٣) وَلَقَدْ أُتِينَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (٤) .

قصه أيوب عليه السلام :

ايوب عليه السلام : هو نبى من انبياء الله وقد خصه الله بسعة فى الرزق والولد الا انا نجد البلاء يشمله كسائر انبياء الله الكرام

(١) سورة ص آية (١٧- ١٨- ١٩)

(٢) سورة ص آية (١٧)

(٣) انبياء الله فى القرآن ص ٢٨٢

(٤) سورة النمل آية (١٥)

الذين ابتلوا بأنواع البلاء والذين تجد صبرهم ومصابرتهم مع كل مصيبة ومع كل بلاء عظيم .

عن مصعب بن سعد (١) عن أبيه قال قلت يا رسول الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مَثَلَ فَيَبْتَلِي الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ (٢) والآن نحن امام نموذج فريد من البلاء العظيم والصبر على الشدة والكرب دون جزع أو استعجال للشفاء .

قال الله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأُنْتِ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) (٣)

وقال الله تعالى: (وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا (٤) فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (٥)

(١) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري ابو زرارة المدني ثقة ارسل عن عكرمة بن ابى جهل مات سنة ثلاث ومائة تقريبا التهذيب ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٢) أخرجه البخارى كتاب المرضى باب اشد بلاء الانبياء ثم الاول فالاول ج ٤ ص ٣ بحاشيه السندى - أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٤ - حديث رقم ٤٠٢٣ ، ٤٠٢٤ وأخرجه احمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٣ ١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٥ ج ٦ ص ٣٦٩ - وأخرجه التروذى كتاب الزهد باب ما جاء فى الصبر على البلاء ج ٤ ص ٦٠١ حديث رقم ٢٣٩٨ .

(٣) سورة الانبياء آية (٨٣- ٨٤)

(٤) ضغثا: أى شمرخ - تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٠

(٥) سورة ص آية (٤١- ٤٤)

وينقل ابن كثير قول علماء التفسير والتاريخ وغيرهم ان ايووب كان رجلا كثير المال من سائر صنوفه وانواعه من الانعام والعبيد والمواشى والارض المتسعة وكان له اولاد واهلون كثير فسلب من ذلك جميعه وابتلى فى جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما وهو فى ذلك كله صابر محتسب ذاكر الله عز وجل فى ليله ونهاره وصباحه ومساءه . وطال مرضه وعافه الجليس واوحش منه الانيس واخرج من بلدة والقى خارجها وانقطع عنه الناس ولم يبق احد يحنو عليه سوى زرجته كانت ترعى له حقه وتعرف قديم احسانه اليها وشفقته عليها فكانت تتردد اليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته وضعف حالها وقل ما لها حتى كانت تخدم الناس بالاجر وتقوم بأودة رضى الله عنها وأرضاها وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق . المال والولد مع ما يختص بها من المصيبة بالزواج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعنة والخدمة والحرمة . (١)

هذا نموذج آخر من البلاء الذى يبتلى الله به عبادة وانبياءه ورسله فبعد الغنى والجاه والصحة والولد يسلب ذلك كله ليمتحن هذا العبد الصالح والنبي العظيم فيرى موقفه من هذا البلاء الذى نزل به موقف أيوب عليه السلام :

لم يزد هذا كله أيوب عليه السلام الاصبرا واحتسابا وحمدا وشكرا حتى ان المثل ليضرب بصبرة عليه السلام ايضا بما حصل له من انواع البلاء . (٢)

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٢١ ص ٢٢٢ - وانظر ايضا المختصر فى اخبار البشر لابی الفداء ص ١٦ ج ١ . وانظر ايضا فتح البارى ج ٦ ص ٤٢١ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٢٢

موضع القدوة فى قصة أيوب :

وفى قصة أيوب وما أصابه من البلاء وما دعا ربه فى كشف ما نزل به وما امتنى الله به عليه فى رفع البلاء وما ضاعف له بعد صبرة من النعماء كل ذلك فيه درس للمؤمنين بأن يكون أيوب قدوة لهم فيما يصيبهم من بلاء لأن البلاء لم ينج منه الأنبياء بل هم أشد الناس ابتلاء ولذا قال الله تعالى عقب قصة أيوب: (وَذَكِّرْ لِلْعَابِدِينَ) (١) أى تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب فى الدنيا والآخرة فانهم اذا ذكروا بلاء أيوب وصبرة وهو افضل أهل زمانه وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا . هذا وأن الصبر هو خلق الأنبياء وسلاح المتقين والمصلحين ما نجح نبي ولا زعيم ولا مصلح الا به (٢) ولنا قدرة ايضا فى هذه الزوجة الطاهرة التى ابتليت بعد الغنى بالفقر ومرض الزوج وفقد الولد فصبرت وأخلصت لزوجها لتكون قدوة يقتدى بها نساء المؤمنين رضى الله عنها وأرضاها لذا عندما عافاه الله وكان قد حلف بأن يضربها لمعصية اتت بها مائه سوط جعل الله لها مخرجا وجعل لهذا النبي فرجا اذا أمره ان يأخذ ضغثا ويصره كالعشال الذى يجمع الشماخيخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط ويبر ولا يحنث وهذا هو الفرج والمخرج لمن اتقى الله واطاعه ولا سيما فى حق امرأتة الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة . (٣) ولذا قال الله تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (٤) .

(١) سورة الأنبياء آية (٨٤)

(٢) مع أنبياء الله فى القرآن - عفيف طيارة - ص ٢١٢

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٢٤

(٤) سورة ص آية (٤٤)

وأخرج البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قَالَ بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَشِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيَنَّكَ عَمَّا تَرَى ؟ قَالَ بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَآغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ . (١)

قصه يوسف عليه السلام :

قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَكِّلِينَ . إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَإِخْوَتُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكُمْ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُوا لَكُمْ وَجْهٌ أَبْيَضٌ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ . قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةَ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهَا بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) (٢)

وقال تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ - وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (٣)

وقال الله تعالى : (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ لَيْسَجُنَّ وَلِيكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ . قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي

(١) أخرجه البخارى كتاب الغسل باب من اغتسل عرياناً وحدة فى الخلوة ج ١ ص ٧٨ و كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (إنا الرزاق ذو القوة المتين) ج ٩ ص ١٤٣ باب قول الله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله) ج ٩ ص ١٧٥ - وكتاب الانبياء باب قول الله تعالى وايوب اذ نادى ربه) ج ٤ ص ٨٤ .

وأخرجه أحمد ج ٢ ص ٣١٤

(٢) سورة يوسف آية : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٣) سورة يوسف آية : ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢

كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (١)

وقال الله تعالى : (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) (٢)

دافع الغيرة كيف ادى الى تأمر اخوة يوسف على قتله :

لقد تميز يوسف عليه السلام من بين اخوته بحب ابيه يعقوب لانه عرف فيه مظاهر النبوة ومن هنا كان هذا دافعا لاخته الى التخلص منه .

قال الله تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (٣)
(فلم يزالوا بابيهم حتى بعثه معهم فما كان الا ان غابوا عن عينه فجعلوا يشتمونه ويهينونه بالفعال والمقال واجمعوا على القائه فى غيابت الجب) (٤)
عاطفة الأبوة :

ويتجلى لنا هنا موقف الاب النبى العظيم يعقوب عليه السلام ذو الحب الشديد لابنه يوسف كيف واجه هذه المحنة وكيف ضبط سلوكه امام هذا الحادث الجلل قال الله تعالى على لسانه : (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (٥)

(١) سورة يوسف آية : ٣٢، ٣٣ .

(٢) سورة يوسف آية : ٧٧ .

(٣) سورة يوسف آية : ١٥ .

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٢١٠ .

(٥) سورة يوسف آية : ١٨ .

وقال الله تعالى : (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) (١)

(١ى مكظوم من كثرة حزنه واسفه وشوقه الى يوسف) (٢) .

وقال الله تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٣)

هذا خلق الانبياء الصبر وكظم الغيظ وضبط السلوك والشعور مع ما يرافقه من حسن التوكل على الله والايمان به فلم يفقد الامل على طول مدة الفراق بل قال (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيُخُسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (٤)

" ١ى لا تياسوا من الفرج بعد الشدة فانه لا يياس من روح الله وفرجه وما يقدره من المخرج فى المضايق الا القوم الكافرون " .
اصرار اخوة يوسف على اتهامه :

قال الله تعالى : (قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ * فَاسْرَحَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) (٥)

" يقول ابن كثير (اجابهم سرا لا جهرا حلما وكرما وصفحا وعفوا) (٦)
هكذا يضبط الانبياء غريزة حب الانتقام مع انه فى مكان القدرة اذ انه اصبح خازنا الاموال مصر وهم تحت سيطرته فلو شاء لانتقم منهم ولكنه العفو الجليل من النبى الجليل قال الله تعالى : (وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٧)

(١) سورة يوسف آية : ٨٤ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) سورة يوسف آية : ٨٦ .

(٤) سورة يوسف آية : ٨٧ .

(٥) سورة يوسف آية : ٧٧ .

(٦) البداية والنهاية ج ١ ص ٢١٣ .

(٧) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .

هذه هي الصورة التي تجلت في نفس يوسف عليه السلام عندما سمع اصرار اخوته بعد ما انتقموا منه على اتهامه ايضا بالسرقة . وبعد هذه المحنة في النفس بالقتل ومحاولتهم واصرارهم على اتهامه بالسرقة ومحاولتهم قتله والتخلص منه يصاب بمحنة الفتنة في عرضه وشرفه عليه السلام فما يضعف امام الشهوات بل يضبط جماح الشهوة ويحد من قوتها مع عنفوانه وشدة قدرته عليها واكتمال نموه قال الله تعالى يحكى قصة الابتلاء العظيم ليوسف : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْاَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اِنَّهُ رَبِّيْ اَحْسَنُ مَثْوًى اِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَالْفَحْشَآءَ اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفِيَا سَدَّهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ سَوْءًا اِلَّا اَنْ يُسَجَّنَ اَوْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ . قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِيْ عَنْ نَفْسِيْ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ اَهْلِهَا اِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ رُفِيَ مِنْ قَبْلِ قَصِدْتِ وَهُوَ مِنَ الْكَٰذِبِيْنَ . وَاِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ رُفِيَ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ . فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قَدْ رُفِيَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ اِنَّهُ مِنْ كٰذِبِيْنَ اِنْ كَيْدُكَ عَظِيْمٌ . يُوْسُفُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا وَاسْتَغْفِرِيْ لِذَنْبِكِ اِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخٰطِئِيْنَ (١) يوسف ودوافع الغريزة والاغراء :

هكذا يبتلى الصديقون والنبليون لقد عرفنا ان الغريزة الجنسية هي من اقوى الدوافع لدى الانسان وهي امر غريزي فيه . وتزيد هذه الغريزة قوة في الشباب ولذا نبه صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله . عن عبد الله قال لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَاِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ (٢) لكونه يضعف الغريزة ويحد من قوتها

(١) سورة يوسف الآيات : ٢٣ الى ٢٩ .

(٢) سبق تخريجه ص ٥٠ .

ثم ان الاسلام اغلق جميع الوسائل المؤدية الى ممارسة هذه الغريزة بغير وسيله الزواج ومن اجل هذا حرم المخالطه بين النساء والرجال والخلوة فقد روى عبد الله بن عمر عن ابيه قال :-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ اِلَّا كَانَ شَالِيَهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفَرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مَعَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيُزِمِ الْجَمَاعَةَ مِنْ سِرَّتِهِ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتُهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ) (١)

بحبو فيه الجنة : اوسطها واوسعها وارجحها .

وحرم النظر لكلا الجانبين قال تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) (٢) وقال تعالى : (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) (٣) حرم على المرأة ظهور زينتها لكونه فيه اغراء للرجال فقال الله تعالى : (وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ اِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (٤) وامر بالحجاب فقال : (وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُوهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) (٥) وامر بعدم لين القول والتلفظ مع الاجانب : (اِنْ اِتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) (٦)

كل هذه الوسائل وضعت لاجلاق باب الجريمة والضبط سلوك الانسان ولمحافظه على مجتمع خال من عوالق هذه الجرائم الشائنه الا انا نجد هذه الوسائل جميعها تفتح امام النبی يوسف فى عز شبابه

(١) اخرجه الترمذى فى الفتن باب ما جاء فى لزوم الجماعة ج ٤ ص ٤٦٥

وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ورواه

احمد ج ١ ص ١٨ - ٢٦ ، ج ٣ ص ٣٣٩ - ص ٤٤٦ .

(٢) سورة النور آية (٣٠) .

(٣) سورة النور آية (٣١) .

(٤) سورة النور آية (٣١) .

(٥) سورة النور آية (٣١) .

(٦) سورة الاحزاب آية (٣٢) .

وتتم له الخلوة الكامله حيث قال الله تعالى : (وَغَلَّقَتِ الْآبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) (١) هى التى راودته عن نفسه وهى التى تعرضت له فوسائل ارتكاب الجريمة مهيئه :

- ١ - الرغبة الجنسية وهى متوفرة لتوفر الشباب مع عنصر الجمال .
- ٢ - الخلوة التامة . بامراة العزيز . حيث غلقت الابواب .
- ٣ - عرض نفسها عليه حيث قالت (هيت لك)

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (سَبْعَةٌ يَظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ (٢)

اذن هذا هو الضابط الذى منع يوسف من الوقوع على امراة العزيز انه يخاف الله ضابط التقوى فى نفس النبى الصديق الذى منعه من ارتكاب المحرم مع وجود كل الدافع لوقوع الفاحشه منه عليه السلام لكنه نبى .

(١) سورة يوسف آية (٢٣)

(٢) أخرجه البخارى / كتاب الزكاة الصدقه باليمين ج ٢ ص ١٣٨

وكتاب الاذان باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ج ١ ص ١٢٠ وكتاب الحدود باب فضل من ترك الفواحش ج ٤ ص ١٧٥ بحاشيه السندى - وأخرجه الترمذى فى الزهد باب ما جاء فى الحب فى الله حديث ٢٣٩١ ج ٤ ص ٥٩٨ . وأخرجه مالك فى مثوطة كتاب الشعر باب ما جاء فى المتحابين فى الله ص ٥٩٠ . وأخرجه مسلم كتاب الزكاة باب فضل اخفاء الصدقه ج ٧ ص ١٢٠ بشرح النووى . وأخرجه احمد ج ٢ ص ٤٣٩ ج ٣ ص ٣٩٨ .

(فاخلصه لزوجها والوفاء له وواجب الشرف كانت من اقوى الضوابط
التي منعتها من ارتكاب الفاحشه) (١) (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ
مَثَوَايَ) (٢)

وهذا الوفاء مقرون بالمراقبه الالهيه فهذه المراقبه جعلت نفس
يوسف تترتفع عن هذا الاثم مع امرأة سيده . وبعد ان رغبته امرأة
العزيز بنفسها وحاولت ان تتعرض له بالخلوة واظهار محاسنها لكن
هذا لم يكن يجدى مع النبی الذي اخلصه الله من اثار هذه الجريمة
لجأت لاسلوب آخر وهو قد يكون اشد واقوى وهو الرهبة .

(لقد تأمرت سيدته عليه مع صاحباتها لاستمالته ثم تهديده
بالسجن فى حال رفضه فماذا كان موقف يوسف امام هذا التهديد
والوعيد ؟ لقد اعرض عنهما بترفع وانفه وفضل حياة السجن
المحفوفه بالذله والهوان والعذاب على العيش فى كنف الترف
والانغماس فى الشهوات قائلًا مناجيا ربه (٣) (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) (٤)

(١) مع انبياء الله فى القرآن ص ١٩١ بتصرف .

(٢) سورة يوسف آية (٢٣) .

(٣) مع انبياء الله فى القرآن - ص ١٩٢ .

(٤) سورة يوسف آية (٣٣) .

قصة موسى

فضائل موسى عليه السلام

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
أَذُوا مُوسَى فَجَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) (١)

وقد نقل القرطبي في هذه الآية قوله :

نهى الله قريشا عن اذية محمد صلى الله عليه وسلم كما اذت
اليهود موسى وهو قولهم ان زيدا ابن محمد وقيل انهم قالوا ان هذه
القسمه ما اريد بها وجه الله ففي صحيح البخارى عن عبد الله (٢)
رضى الله عنه قال (قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَهُ حَنِينَ قَالَ
رَجُلٌ (٣) مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَاخْبَرْتَهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا
فَصَبَرَ) (٤)

يقول بن حجر : وفي الحديث ما كان في الانبياء من الصبر على
الجهال واحتتمال اذا هم والاعراض عن الجاهل والصفح عن الاذى
والتأسي بمن مضى من النظراء (٥)

واما اذية موسى فهي قولهم انه آدر وابرص او به آفه . وقيل هو
اتهامهم اياة بقتل هارون حيث كان هارون الطف من موسى مع قومه
وقيل اذيتهم اياة بالسحر والجنون .

(١) سورة الاحزاب آية (٦٩)

(٢) عبد الله هو بن مسعود - فتح البارى ج ١٠ ص ٥١٢

(٣) الرجل هو معتب بن قشير من بنى عمرو بن عوف وكان من

المنافقين ج ٨ ص ٥٦ فتح البارى

(٤) أخرجه البخارى كتاب المغازى - غزوة الطائف ج ٥ ص ٢٠٢ وكتاب

الادب باب الصبر على الاذى وقوله تعالى : (انما يوفى الصابرون

اجرهم بغير حساب) ج ٨ ص ٣١ .

(٥) فتح البارى ج ٨ ص ٥٦ بشرح صحيح البخارى بتصرف .

وذهب القرطبي الى ترجيح القول الاول وان كان يحتمل انه صبر على ذلك كله ولذا كان وجيها عند الله عظيم القدر رفيع فى المنزله ومن فضائله انه كان اذا سال شيئا اعطاه الله آية (١) وقال ابن كثير من وجاهته العظيمة عند الله انه سال الله ان يرسل معه اخاه هارون نبيا فاجابه (٢) قال الله تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) (٣) .

وفى الحديث من فضائل موسى عليه السلام انه كان رجلا حيا ستيरा فقد روى ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنْ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا لَأَيُرَى مِنْ جِلْدَةِ شَيْءٍ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ فَأَذَاهُ مَنْ أَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ بِأَمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أَدْرَةٌ (٤) وَإِمَّا بِهِ آفَةٌ وَإِنْ اللَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنْ الْحَجَرُ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرٌ ثَوْبِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللَّهِ إِنْ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا (٥) فَذَلِكَ قَوْلُهُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ أَذُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) (٦)

(١) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢٥٢ وانظر ايضا ج ٣ ص ٥٢٠ ابن كثير تفسير القرآن العظيم .

(٢) ابن كثير ج ٣ ص ٥٢١ .

(٣) سورة مريم آية (٥٣)

(٤) الادره كبير الخصيتين ج ٥ ص ١٢٧ صحيح مسلم بشرح النووى

(٥) أخرجه البخارى واللفظ له ج ٤ ص ١٩٠ كتاب بدء الخلق . وأخرجه

مسلم ج ٥ ص ١٢٧ بشرح النووى .

(٦) سورة الاحزاب آية (٦٩) .

ويقول ابن حجر فى الحديث ان الانبياء فى خلقهم وخلقهم على غاية الكمال واما من نسب نبيا من الانبياء الى نقص فى خلقته فقد اذاة ويخشى على فاعله الكفر " وقال القاضى ان الانبياء منزهون عن النقائص فى الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعائب بل نزههم الله من كل عيب وكل شىء يبغضها العيون " (١)

وقال النووى : (وفى الحديث معجزتان ظاهرتان لموسى احدثهما مشى الحجر بثوبه الى ملا بنى اسرائيل - والثانية حصول الندب فى الحجر ومنها وجود التميز فى الحجر) (٢)

ويصف القرآن امانه موسى عليه السلام ونصرته وقوته حيث قدم الى مدين فوجد الفتاتين قال الله تعالى : (يَا أُبَّتِ اسْتَأْجِرِيَّ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) (٣) واما امانته فانه رفض ان يسير خلف الفتاة كما يذكر المفسرون وذلك لما رأى ان الهواء قد اثر على ثوبها فظهر عجزتها كما هو معروف اذا التصق الثوب بالبدن . (٤)

فهذا موسى عليه السلام رجل قوى منفرد ليس معه الا الله وهذه الفتاة يخلو بها فما الذى يمنعه من الوقوع عليها بل ما الذى يمنعه من النظر اليها فيتجلى لنا دور الضابط لسلوك الفرد فالضابط الذى سيطر على موسى ومنعه من السير خلف الفتاة فالجاء الى الاعتصام بالتقوى والسير امامها فلا تقع عينه على ما يكره فضلا ان تقع منه معصيه مع وجود دوافعها كلها من القوة والخلو ولكنه يتجلى فى نفسه عظم هيئته ووقاره الله فينضبط سلوكه ولذا قالت الفتاة ان خير من استأجرت من جمع هاتين الصفتين القوة - والامانة وقد ابتلى موسى بلاء عظيم وصبر صبرا طويلا وحليما على قومه الذين اذوة بكل ما استطاعوا واعتدوا عليه واعترضوا سبيل دعوته وساتتبع الابتلاء بقصه موسى وموقفه منها ليكون لنا قدوة نسير على نبراسه :

(١) فتح البارى ج ١ ص ٤٣١ وانظر ايضا ج ٥ ص ١٢٧ صحيح مسلم بشرح النووى .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ١٢٧

(٣) سورة القصص آية (٢٦)

(٤) انبياء الله - احمد بهجت ص ٤

(١) ابتلاؤه بفرعون وملئه :

ولن استعرض قصه موسى وكيفيه دخوله بيت فرعون فان هذا ليس مجال بحثه هنا وكتب التفاسير يمكن ان تغنى للباحث فى هذا الموضوع ولكن اورد قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَلَبِثَ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) (١)

فقالت امراته انه طفل لا يعقل وساقدم له الجمر واللؤلؤ فان اخذ اللؤلؤ عقل فمد يده الى ذقن فرعون فشده الى الارض فقال الكبراء ان هذا ما وعد الله به انه يشير الى قتلك واهانتك . فهذا ابتلاء لموسى منذ الوهلة الاولى لحياته وهى تربيته من الله لموسى عليه السلام لتحمل الاذى بجلد وصبر .

(٢) ابتلاؤه بالقتل :

وقد ابتلى عليه السلام بالقتل بعد ان استغاثه الاسرائيلي على القبطى فوكزة موسى فمات القبطى فاتهموه بقتله وظل خائفا يترقب قال الله تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (٢)

(وقد كان ذلك القبطى كافرا مشركا بالله ولم يرد موسى قتله بالكلية وانما اراد زجره وردعه) (٣)

(١) سورة القصص آية (٧ - ٨)

(٢) سورة القصص آية (١٤ - ١٥)

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٢٥١ .

لم يكن موسى يقصد قتل الرجل بل دفعه بيده بهدف ابعادة عن الاسرائيلى فاذا هو يقتله .

(وهذا القبطى كان كافرا وكان الاقباط قد علوا على الاسرائيلين وتسلطوا عليهم واستعبدوهم ولذا قام موسى بدفع الظلم الواقع الى الاسرائيلى لكن موسى عليه السلام استغفر وشعر بعظم الذنب الذى عليه ووعد بان لايعود مرة اخرى الى هذه المعصية) (١) وقال الله تعالى على لسانه : (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ . قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (٢)

ومع ان الوكز ليس ذنبا الا ان موسى عليه السلام استعظمه نظرا لعلو شأنه فاستغفر منه . (٣)

لقد اتجه موسى بالتوبه النصوح والتضرع والخشيه من عظم المعصيه وان لم تكن عن اصرار وتعنّت .
ابتلاؤه بالخوف والحزن بعد هذه المعصيه :

وفى ذلك يقول الله تعالى : (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرْتَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُكَ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) (٤)

وعد موسى بالا يعود للذنب مرة اخرى ولكنه وجد الاسرائيلى الذى كان قد انقذه بالأمس يستنصر به اليوم لكن موسى قال للقبطى انك لغوى مبين فخاف الاسرائيلى وظن انه يريد بهذ القول فقال : (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ) (٥)

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن - الطبرى ج ١ ص ٢٢٤

(٢) سورة القصص آية (١٥ - ١٦)

(٣) عصمة الانبياء والرد على الشبه والموجه اليهم - د محمد ابو النور الحديدى ص ٣٤٠ .

(٤) سورة القصص آية (١٨)

(٥) سورة القصص آية (١٩)

ومن هنا علم فرعون وجنوده أن موسى هو القاتل ولذا أصبح موسى خائفاً يترقب كما وصفه القرآن قال الله تعالى : (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) (١)

يقول ابن كثير (١) خرج من بلاد مصر من فوره على وجهه لايهتدى الى طريق ولا يعرفه (٢)

وقد نقل الطبرى انه خرج مطاردا لم يكن له طعام سوى ورق الشجر وكان يشرب من الابار التى يجدها فى الطريق وكان خائفا طوال الوقت ان يرسل فرعون وراة من يقبض عليه

وبعد اتهامه بقتل القبطى هرب تجاة مدين وناله من النصب والتعب والجوع . عن سعيد بن جبير (٣) قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمانى ليال قال وكان يقال نحو من الكوفة الى البصرة ولم يكن له طعام الا اوراق الشجر فخرج حافيا فما صار اليها حتى رقع خف قدمه . وعن ابن عباس فى قوله : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) (٤) قال ورد الماء وان خضرة البقل لترى فى بطنه من الهزل (٥) فقال (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (٦) .

(١) سورة القصص آية (٢١) .

(٢) البدايه والنهايه ص ٢٥١ ج ١ .

(٣) سعيد بن جبير : المقرئ الكوفى الفقيه احدى الاعلام سمع من بن عباس . وكان يقال السعيد بن جبير جهبذ العلماء كان قتل الحجاج له لكونه قاتله مع ابن الاشعث وروى اصبغ بن زيد عن القاسم بن ابى ايوب قال كان سعيد بن جبير يبكى بالليل حتى عمش وسمعته يردد هذه الايه (واثقوا يوما ترجعون فيه الى الله) بضعا وعشرين مره - تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٧٦ .

(٤) سورة القصص آية (٢٣)

(٥) تاريخ الامم والملوك للطبرى ج ١ ص ٢٥ بتصرف .

(٦) سورة القصص آية (٢٤) .

ومن هذه القصة ومن هذا الابتلاء تتجلى لنا صورة موسى عليه السلام من نواح عدة :

(١) قوة موسى عليه السلام اذ صرع القبطى بوكزة (فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) (١)

(٢) سرعه توبة موسى وندمه على ما فعل (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) (٢)

(٣) رفضه الاستمرار على الطغيان والمعصية (فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ) (٣)

(٤) لم تستغل هذه القوة البدنية فى معصيه الله او فى البطش بالناس بل لجاء الى الله بالتصرع والتوبه والندم .

(٥) مالفية موسى من الخوف والترقب اذ يصف القرآن لنا ذلك بقوله تعالى : (فَاصْبَحْ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ) (٤)

والخوف من اشد البلاء اذ يتوقع معه وقوع المكروه عليه وخاصة وموسى بين قوم هم اهل عدااء له ولبنى اسرائيل جميعا . (وفى وسط هذه المحنة الشديدة يلجأ الى الله بالدعاء) (٥) (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (٦)

(٣) ابتلاؤه بالجلء الى ارض مدين :

(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (٧)

خرج هارباً مطارداً لايهتدى الى طريق ولال يحمل الزاد ولا المتاع ولكن

(١) سورة القصص آية (١٥)

(٢) سورة القصص آية (١٦)

(٣) سورة القصص آية (١٧)

(٤) سورة القصص آية (١٨)

(٥) التفسير الواضح ج ٢٠ ص ٢٨ .

(٦) سورة القصص آية (٢١) .

(٧) سورة القصص آية (٢١) .

مع هذا الابتلاء العظيم هل تغيرت صورة الداعية الى الله هل تراجع
عن دعوته بل صبر وصابر ووعد فأنجز .
(٤) الابتلاء بقتل هارون :

ويذكر المفسرون أن هارون أحب الى بنى اسرائيل من موسى يقول
الطبرى . وكان هارون أكف عنهم والين لهم من موسى وكان فى موسى
بعض الغلظ عليهم فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس معه هارون
قالوا ان موسى قتل هارون وحسدة لحب بنى اسرائيل له فلما بلغه ذلك
قال ويحكم افترونى اقتله (١)

وقد ناله من الهم والغم الشئ الكثير بسبب هذه التهمة الباطلة
حتى يقال انه قام وصلى ودعا الله فاحيا له هارون وقال لهم انه
مات ولم يقتله وأخرج الطبرى عن عمرو بن ميمون قال مات موسى
وهارون جميعا فى التيه مات هارون قبل موسى وكانا خرجا جميعا فى
التيه الى بعض الكهوف فمات هارون فدفنه موسى وانصرف موسى الى
بنى اسرائيل فقالوا ما فعل هارون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته
لحبنا اياه وكان محبا فى بنى اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا
ما لقى من بنى اسرائيل (٢)

ففى هذه القصة لنا عبرة بأن الله لن يخذل رسله ولن يجعل
للظالم يدا على المظلوم فلجوء موسى الى الصلاة والتضرع والدعاء
هو الوسيلة الوحيدة التى ينبغى ان يلجأ اليه المؤمن فى كل مصائب
الزمان .

(٥) ابتلاؤه عليه السلام بفرعون :

لقد ابتلى بفرعون وكان من الجبارين فى الأرض الى الحد الذى
جعل نفسه الها وعبد بنى اسرائيل وسخرهم له . فلما بنى موسى امر
بأن يدعو فرعون الى عبادة الله ومن هنا نستنتج موقف فرعون وردّه

(١) تاريخ الامم والملوك - الطبرى ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) تاريخ الامم والملوك ج ١ ص ٢٢٤ للطبرى .

على موسى فبعد ان اظهر الله على يديه كثيرا من المعجزات الا ان
فرعون استمر بتكذيبه وعناده وقد حكى القرآن موقف فرعون من موسى
: (قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (١)

فقد اتهمه بالجنون . وقال ايضا (لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي
لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) (٢) لكن ما موقف موسى عليه السلام من هذا
استمر يدعو هذا الجبار المتمرد الى الدين والى عبادة الله بالحسن
ما يكون عليه من الصبر فحينئذى امرة الله بدعوة فرعون قال له (اذهب
إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (٣) .
ولنا فى هذا المنهج والسبيل قدوة حسنة اذ امرنا الله ايضا بعد

امر نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا المنهج قال الله تعالى
: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ) (٤) كما قال الله تعالى : (وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ) (٥) .

هذا هو المنهج الربانى فى الدعوة الى الخير والفلاح والصلاح
فانه انفع للقلوب العاصيه ومع سبق علم الله ان فرعون لن يتذكر
ولن يخشى الا انه امر موسى بهذا الامر ليكون لنا قدوة فى دعوتنا
الى الله ومنهج نسير عليه فى مواجهه الطغاة والجبارين
والمتكبرين " وانتصار موسى على فرعون فيه عبرة للطغاة ودرس للامم
المضطهدة كى تصمد وتكافح الطغيان لان النصر حليفها فى النهاية " (٦)
قال الله تعالى : (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (٧) .

(١) سورة الشعراء آية (٢٧ - ٢٨)

(٢) سورة الشعراء آية (٢٩)

(٣) سورة طه آية (٤٣ - ٤٤)

(٤) سورة النحل آية (١٢٥)

(٥) سورة العنكبوت آية (٤٦)

(٦) مع الانبياء ص ٢٥٨ .

(٧) سورة الاعراف آية (١٢٩)

(٦) ابتلاوة عليه السلام بالأمراء والكبراء من قوم فرعون :

قالى الله تعالى : (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) (١)

يقول ابن كثير :

(ان الامراء والكبراء حرضوا ملكهم فرعون على آذيه نبي الله موسى ومقاتلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والاذى) (٢)

ومن هنا استشارت هذه الكلمات فرعون واشعرته بالخطر الحقيقى على نظامه كله فانطلق يعلن عزمه الوحش البشع (٣) قال : (سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) (٤) .

الا ان القرآن يصف لنا موقف موسى من هذه المكابرة وهذا العناد الشديد قال الله تعالى (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٥)

فهذا صبر ومصابرة وثبات من الكليم موسى عليه السلام يقول ابن كثير (اذهم هموا باذيتكم والفتك بكم فاستعينوا انتم بربكم واصبروا على بليتكم) (٦)

(انها رؤيه النبي لحقيقه الالوهيه واشراقها فى قلبه الواقع الكونى والقوى التىتعمل فيه ولحقيقه السنه الالهيه وما يرجوه منها الصابرون) (٧)

(١) سورة الاعراف آية (١٢٧)

(٢) البداية والنهاية - ج ١ ص ٢٥٩ .

(٣) فى ظلال القرآن - سيد قطب ج ٣ ص ١٣٥٤ .

(٤) سورة الاعراف آية (١٢٧)

(٥) سورة الاعراف آية (١٢٨)

(٦) البداية والنهاية - ج ١ ص ٢٥٩

(٧) فى ظلال القرآن - سيد قطب ج ٣ ص ١٣٥٥ .

(٧) ابتلاؤه بتقليل اعوانه من بنى اسرائيل:

قال الله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا
أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ) (١)

(وهذا القتل للغلمان من بعد بعثه موسى انما كان على وجه
الاهانه والاذلال والتقليل لملا بنى اسرائيل لثلا يكون لهم شوكة
يمتنعون بها ويصولون على القبط بسببها وكانت القبط منهم
يحذرون (٢) .

هذا ابتلاء عظيم بلى موسى خاصة عن سائر الانبياء فقد اودى قبل
بعثته بقتل ابناء الاسرائيليين قال الله تعالى على لسان فرعون
:(سَنَقِيْلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) (٣)
وبعد البعثة استمر القتل لبنى اسرائيل: (اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ) (٤) هذا امتحان عظيم وقليل من يصبر عليه فلنا بهولاء
الاتباع آسوة حسنة بصبرهم على قتل ابناءهم بعد ان امنوا بموسى
عليه السلام ولكن ما الدافع لكى يقتل الابناء . يقول ابن كثير

(وهذا من جهه الاهانه والتقليل لا اتباع موسى عليه السلام (٥)
قال الله تعالى: (احْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا زُورًا) (٦)
وقال الله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ
وَالْآتِفْسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (٧) .

(١) سورة غافر آية (٢٥).

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٥٩ .

(٣) سورة الاعراف آية (١٢٧).

(٤) سورة غافر آية (٢٥).

(٥) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٥٩ لابن كثير .

(٦) سورة العنكبوت آية (٢).

(٧) سورة البقرة آية (١٥٥).

هذا المعيار الذى يقاس عليه ايمان الشعوب وتصديقهم فايما من امن من قوم موسى هو الايمان الحقيقى اذ بذلت فيه الارواح رخيصة فى سبيل الدين .

(٨) ابتلاء بنى اسرائيل من اتباعه ونكوصهم عن مناصرته :

قال الله تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَاتَوَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَىٰ آصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١)

بعد ان تتابعت عليهم المعجزات وتوالت عليهم الايات الباهرات لم يتم لبعضهم الايمان الكامل بل تراجعوا وضعفوا وطلبوا من موسى عليه السلام ان يجعل لهم صنما يعبدونه .

ويقول ابن كثير هذه ليست مقالتهم كلهم بل بعضهم كما نقل عن ابن كثير فى تفسير هذه الاية حيث قال : (فكان بعض الجهال سألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم ان يجعل لهم الهة كما لاولئك الهة) (٢) ويقول سيد قطب ان موسى عليه السلام : (لا يواجه اليوم طاغوت فرعون وملاة فقد انتهت المعركة مع الطاغوت . ولكنه يواجه معركة اخرى لعلاها اشد واقسى واطول انها موجهة مع النفس البشريه مع رواسب الجاهليه فى هذه النفس وسنرى من خلال متاعب موسى عليه السلام متاعب كل صاحب دعوة يواجه نفوسا طال عليها الامد وهى تستمرى حياة الذل تحت قهر الطاغوت . ان جهد صاحب الدعوة فى هذه الحال لهو جهد مضاعف ومن ثم ان يكون صبرة مضاعفا كذلك . يجب ان يصبر على الالتواءات والانحرافات وتفاهة الاهتمامات ويجب ان يصبر على الانتكاس الذى يفاجئه فى هذه النفوس بعد كل مرحله والاندفاع الى الجاهليه عند اول بادرة) (٣) .

(١) سورة الاعراف آية (١٣٨ - ١٣٩)

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٧٦ ابن كثير .

(٣) فى ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٦٤ - ص ١٣٦٥ بتصرف .

وفى الحديث عن ابي واقد الليثي (١) ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج الى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات انواط يعلقون عليها اسلحتهم فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط (٢) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (سبحان الله هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا رالها كما لهم رالهة) والذي نفسى بيده لتركبن سنه من كان قبلكم (٣)

وفى الحديث الشريف تحذير بالغ من اتباع طريق الامم السابقة المهلكة كما فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي مالى موسى من قومه وجهالتهم . فهو صابر صبر موسى ومحتسب عليهم السلام وهذا منهج الانبياء حميعهم وهومنهج الدعاه الذين يسرون على نهج انبيائهم قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ . يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرِيدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) (٤)

هذه مواجهه لنبي الله وعصيانه بعد ظهور الكرامات وانتصاره على فرعون وكثرة النعم عليهم (ومع ذلك فقد خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عاينوا هلاك فرعون وهو اجبر من هؤلاء . واشد باسا واكبر حجما وهذا يدل على انهم ملومون فى هذه مقاله ومذمومون على هذه

(١) واقد الليثي : يكنى ابا مراوح ذكر ابن مندة عن ابي داود ان له صحبه الاصابه فى تمييز الصحابه ج ١٠ ص ٢٩٤ رقم ٩١

(٢) ذات انواط شجرة تعليق بها سيوفهم ويعكفون عليها كما يفعل المشركون .

(٣) اخرجه الترمذى كتاب الفتن باب لتركبن سنن من كان قبلكم ج ٤ ص ٤٧٥ وقال الترمذى وهذا حديث حسن صحيح . واخرجه ابن ماجه فى باب افتراق الامم ج ٢ ص ١٣٢١ واخرجه احمد ج ٥ ص ٢١٨ واخرجه الحاكم فى مستدركه ج ١ ص ٣٧ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ .

(٤) سورة المائدة آية (٢٠ - ٢١ - ٢٢)

الحالة من الذلة عن مقاومة الأعداء والمردة والأشقياء (١) وهذا خذلان لموسى عليه السلام فى الشدائد وقت الحاجة اليهم (فهذه طبيعتهم تعاودهم مرة أخرى حين رأوا قوما يعكفون على أصنامهم فسدت فطرتهم وانهزموا من الداخل واعتادوا الذل فلم يعد فى استطاعتهم ان يحاربوا وان بقى فى استطاعتهم ان يتوقعوا على بنى الله موسى بمقاتلتهم (٢) (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (٣) ثم ان وعد الله بالنصر لهم محقق ولذا كان انخذاً لهم عن القتال مع موسى دلالة على عدم التصديق برسالته قال الفخر الرازى (لما اخبر ان الله تعالى جعل تلك الأرض لهم كان هذا وعدا بان الله تعالى ينصرهم عليهم فلو لم يقطعوا بهذه النصرة صاروا شاكين فى صدق موسى عليه السلام فيصيروا كافرين بالالوهية والنبوة) (٤) ولنا فى أصحاب رسول الله قدوة حسنة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر . عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال الْمَقْدَامُ (٥) يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (٦)

(١) البداية والنهاية ص ٢٧٨ ج

(٢) انبياء الله - احمد بهجت ص ٢٢٨ . (٣) سورة المائدة آية (٢٤)

(٤) التفسير الكبير الفخرى الرازى ج ١١ ص ١٩٨

(٥) المقدام : بن الأسود الكندى . هو ابن عمر بن شعلبه اسلم قديما

وتزوج ضباعه بنت الزبير بن عبد المطلب ابنه عم النبي صلى الله

عليه وسلم وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها . وكان

فارسا يوم بدر حتى انه لم يثبت انه كان فيها على فرس غيره

عن عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه سبعة فذكره فيهم .

وعنه ايضا قال شهدت من المقدام مشهدا لان اكون صاحبه احب الى

ما عدل به روى المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث

وروى عنه على وانس وغيرهم واتفقوا على انه مات سنة ثلاث

وثلاثين فى خلافة عثمان وهو ابن سبعين سنة) ج ٩ ص ٢٧٣ الاصابه فى

تمييز الصحابة .

(٦) سورة المائدة آية (٢٤)

وَلَكِنْ أَمْضَى وَنَحْنُ مَعَكَ فَكَانَهُ سُرَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)

(٩) ابتلاوة بعبادتهم العجل :

() وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارُ الْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (٢)
وقال الله تعالى (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبًا أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعِظْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَكْوَاحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتُ بَنِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٣)

() ولقد راودوا نبيهم من قبل أن يجعل لهم آلهة يعكفون عليه بمجرد رؤيتهم لقوم وشنيين يعكفون على أصنام لهم فصدّهم نبيهم عن ذلك الخاطر وردّهم ردا شديدا فلما خلوا إلى أنفسهم وراوا عجلا جسدا من الذهب لاهية فيه كما تفيد كلمة جسد (٤) لجاءوا إلى عبادة .

ولذا قال الفخر الرازي أنهم بعد أن أراهم الله المعجزات الظاهرات والدلائل الواضحات أجازوا لأنفسهم أن يتخذوا العجل الها وهو مع ذلك صابر ثابت على الدعاء إلى ربه والتمسك بدينه وشرعه فكَذَلِكَ الْقَوْمُ فِي حَالِ مُحَمَّدٍ مَعَهُمْ بِالْغَتَمِ فِي التَّكْذِيبِ وَالْإِنْكَارِ (٥)

ويذكر ابن كثير موقف موسى عليه السلام حيث يقول ثم أقبل عليهم وعنفهم وهجنهم في ضنيعهم هذا القبيح فاعتذروا إليه بما ليس بصحيح وهو تخرجهم من تملك حلي آل فرعون وهم أهل حرب وقد أمر الله يأخذه وأباحه لهم ولم يتخرجوا بجهلهم وقله علمهم وعقلهم عن عبادة العجل

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة المائدة ج ٦ ص ٦٤

(٢) سورة الاعراف آية (١٤٨)

(٣) سورة الاعراف آية (١٥٠ - ١٥١)

(٤) في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٧٣

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣ ص ١٨٧

الجسد مع الواحد الاحد الفرد الصمد) (١) (وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) (٢)
موقف هارون :

وقف هارون وسط قومه وراح يعظهم قال لهم انكم فتنتم به هذه الفتنة
 استغل السامري جهلكم وفتنكم بعجله ليس هذا ربكم ورب موسى (٣)
 قال الله تعالى (وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) (٤)
 واقبل موسى على هارون قائلًا له (قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) (٥) اى هلا اعلمتنى بما صنعوا وقد كان
 هارون عليه السلام نهامهم عن هذا بالطبع اشد النهى وزجرهم عنه اتم
 الزجر (٦)

اتهامه عليه السلام بالزنا

تذكر كتب التفاسير ان قارون كان ابن عم موسى وكان ثريا جدا
 وتسهب بسرد قصته وغناه وقد نقل ابو الفدا سبب خسف الله بقارون
 فقال : (ان الله قد رزق قارون مالا عظيما على طوا الدهر وتكبر
 قارون على موسى بسبب كثرة ماله واتفق مع بنى اسرائيل على قذفه
 والخروج عن طاعته واحضر امرأة بغى وجعل لها جعلا وامرها بقذف موسى
 بنفسها واتفق معها على ذلك ثم اتى موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا
 فخرج اليهم موسى وقال من سرق قطعنا ومن افترى جلدنا ومن زنا
 رجمنا فقال قارون وان كنت انت قال موسى نعم وان كنت انا قال

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٨٧ وانظر ص ٢٣٣ انبياء الله -
 احمد بهجت .

(٢) سورة طة آية (٨٧)

(٣) انبياء الله - احمد بهجت ص ٢٤٥ .

(٤) سورة طة آية (٩٠)

(٥) سورة طة آية (٩٢ - ٩٣)

(٦) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٨٧ .

فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانہ قال موسى فادعوها فان
قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى اقسمت عليك بالذى
انزل التوراة الا صدقت انا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا كذبوا ولكن
جعلوا لى جعلاً ان اذفك (١)

الا انا نلاحظ من القصة ان النصر حليف الصبر فالتبرثه جاءت من
امراة بغى جعل لها جعلاً من اجل رمى موسى بالبهتان فهذا منهج
اليهود فهم قتلہ الانبياء الذين اتهموا انبياءهم باشنع وافطع
الجرائم وانا منهم بريؤون ان شاء الله

فهذا موسى وبعض ما لاقاة فى دعوته لفرعون وقومه ودعوته لبنى
اسرائيل الشعب الذى طالما ذاق الاستبعاد والذل والهوان ونلمس من
سيرته وانتصاراته على عدوه على حين ضعفه وقوة عدوه . ان الله لن
يخذل انبياءه ورسله بل لن يخذل الدعاة الى الله وان لم يكونوا
انبياء او رسلا ويؤخذ من القصة ما يلى :

١ - فانتصار موسى على فرعون فيه عبرة للطغاة ودرس للامم المضطهدة
كى تصمد وتكافح الطغيان لان النصر حليفها فى النهايه قال الله
تعالى : (عَسَى رَبُّكُمْ اَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْاَرْضِ فَيَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (٢)

٢ - صدق موسى بدعوته وتضحيته والاستمرار بالكفاح ونصر قومه بالصبر
ولذا قال الله تعالى على لسانه (اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ وَاصْبِرُوا اِنَّ
الْاَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٣)

٣ - فى صبرهم على الاذى وتحملهم له عبرة لنا نحن المؤمنين لنسير
على منهجهم فنصبر كما صبروا .

(١) المختصر فى اخبار البشر - ج ١ ص ١٩ لابتى الفداء .

(٢) سورة الاعراف آية (١٢٩)

(٣) سورة الاعراف آية (١٢٨)

عن خباب قال (١) قلت للنبي صلى الله عليه وسلم (اَلَا تَدْعُو اللَّهَ فَتَقْعَدُ وَهُوَ مُحَرَّرٌ وَجْهَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَأَنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيَمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ) (٢) فهؤلاء المؤمنون برسالة موسى يمضون فرعون تقتيلا وتعذيبا بهم فيواسيهم موسى وينصحبهم .

٤- نلمس منهج الدعاة الى الله وهو المنهج الرباني الذي سار عليه جميع انبياء الله ورسله من لين القول وحسنه ولذا قال الله تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (٣)

٥- انه ارشاد سام ذكره القرآن ليكون مثالا يحتذى به فى كل الأزمان والظروف فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا صاحبها اللين كان افضل واشد اثرا فى النفس وفى ردعها عن غيها بخلاف القهر والشدّة والقول الغليظ فانه يحملها على التمرد والنفور وعدم تقبل النصيحة (٤)

قال الله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْجَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٥)

(١) خباب بن الارت - ابن حنبل بن سعد بن خزيمه . سبى فى الجاهليه فبيع بمكه فكان مولى ام انمار الخزاعيه وكان من السابقين الاولين للاسلام وكان من المستضعفين روى البارودى انه اسلم سادس سنه وهو اول من اظهر اسلامه وعذب عذابا شديدا لاجل ذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابو اسامه وابنه عبد الله بن خباب وآخرون شهد بدرا وما بعدها ونزل الكوفه ومات سنه سبع وثلاثين الاصابه فى تمييز الصحابه ج ٣ ص ٧٦ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب مناقب الانصار باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من المشركين بمكه ج ٥ ص ٥٦ .

(٣) سورة طه آية (٤٤)

(٤) انبياء الله بتصرف ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .

(٥) سورة النحل آية (١٢٥)

كما قال الله تعالى يصف لنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (١)

فهذا هو المنهج الربانى الذى ينبغى ان يكون لنا طريقا نلتمس فيه الدعوة الى الله ونسير على منهجه

ومن الملاحظ انى لم اذكر القصص التى اسهب المفسرون بذكرها وما ذلك الا لانى التمتست بهذا الفصل البحث عن مواضع الابتلاء والقدرة وكيفيه تعامل انبياء الله مع مواضع الابتلاء ليكونوا لنا قدوة .

وكيف ظهر لنا نتيجة الصبر النصر على الاعداء قال الله تعالى : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) (٢) فى هذه الايه تمام لما وعد الله به موسى عليه السلام به من اهلاك اعدائه ومعنى صرفهم اهلاكهم فلا يقدرّون على منع موسى من تبليغها ولا على منع المؤمنين من الايمان بما هو شبيه بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (٣) فاراد الله تعالى ان يمنع اعداء موسى عليه السلام من ايذائه ومنعه من القيام بما يلزم فى تبليغ النبوة والرساله (٤)

(١) سورة آل عمران آيه (١٥٩)

(٢) سورة الاعراف آيه (١٤٦)

(٣) سورة المائدة آيه (٦٧)

(٤) ملنقط جامع التاويل لمحكم التنزيل - نصوص اتى بها الشيخ ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى فى تفسيره - جمعت من مفاتيح الغيب على بجمعه وترتيبه سعيد الانصارى طبع فى مدينه كلكتا بمطبعه البلاغ ١٣٢٠هـ - ص ٥٣ .

قصة عيسى عليه السلام

هو عيسى ابن مريم ابنت عمران كلمة القاها الى مريم وروح منه من اولى العزم من الرسل وهو الذى بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الصحيح عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه (عن خالد بن معدان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله اخبرنا عن نفسك فقال دعوة ابراهيم وبشرى عيسى وراى امى حين حملت بى انه خرج منها نور اضاءت لى بصرى وبصرى من ارض الشام) (١) وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضائل عيسى عليه السلام كما روى البخارى وابى هريرة قوله عليه السلام (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ اَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ اِبْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ وَيَضَعَ الْجُزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ يَقُولُ اَبُو هُرَيْرَةَ وَاَقْرَأُوا اِنْ شِئْتُمْ) (٢) : (وَإِنْ مِّنْ أَهْلٍ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) (٣)

وسبب كثرة نزول البركات وتوالى الخيرات اقامه العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الارض كنوزها وتقل الرغبات فى اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة (٤)

(١) قال الحاكم خالدين معدان من خيار التابعين صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابه فاذا اسند حديث الى الصحابه فانه صحيح الاسناد وان لم يخرجاه - اخرجه الحاكم كتاب التاريخ ج ٢ ص ٦٠٠ قال الذهبى صحيح واخرجه احمد ج ٥ ص ٢٦٢

(٢) اخرجه البخارى كتاب احاديث الانبياء باب نزول عيسى بن مريم ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٣) سورة النساء آية (١٥٩)

(٤) فتح البارى ج ٦ ص ٤١٩

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ فَقَالَ لَهُ عِيسَى سَرَقْتَ قَالَ كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَقَالَ عِيسَى آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ نَفْسِي) (١)

(وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحدا لا يحلف بعظمه الله كاذبا على ما شاهدة عيانا فقبل عذره ورجع على نفسه فقال آمنت بالله أي صدقتك وكذبت بصرى لأجل حلفك) (٢)

وعن عبادة بن الصامت (٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَابْنُ أُمِّتِهِ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ) (٤)

في عصمة عيسى من الشيطان : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحاديث النبوية باب (يا أهل

الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ج ٤

ص ٢٠٤ . وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل عيسى ج ١٥

ص ١٢١ بشرح النووي واللفظ له .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) عبادة ابن الصامت بن قيس بن أكرم بن فهر الخزرجي الأنصاري

أبو الوليد المدني أحد النقباء ليله العقبة شهد بدرًا فمابعداها

قال ابن سعد أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين ابن

مرشد وكان هو أحد من جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه

وسلم رواية البخاري في تاريخه الصغير وقال وأرسله عمر إلى

فلسطين ليعلم أهلها القرآن فأقام بها إلى أن مات بالرملة سنة

أربع وثلاثين وهو ابن (٧٢) سنة ج ٥ ص ١١٢ تهذيب التهذيب .

(٤) رواية مسلم ج ١ ص ٢٢٧ بشرح النووي كتاب الإيمان باب عقائد

التوحيد ورواه البخاري ج ٤ ص ٢٠١ .

جَنَّبَهُ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي
الْحِجَابِ (١)

فهذا شأن هذا النبي العظيم الذي انطلق داعيا الى الله على بصيرة ومؤيدا بمعجزات الله سبحانه منذ الطفولة بل منذ مولده عليه السلام وهو الذي ابتلى باليهود وبالنصارى فصبر صبرا جميلا كسائر انبياء الله ورسله حيث سار على منهجهم واتبع ملتهم وساتتبع مواضع الابتلاء لعيسى عليه السلام وكيف واجهها عليه السلام وان كانت هناك احداث هامه في مولده ونشئته وسائر سيرته العطره الا انه ليس هذا مجالها ومن يرد شيء من ذلك فاليجا الى كتاب الله وما جاء عن المفسرين ففي هذا الكفاية ان شاء الله

١- دافع الحسد كيف اد به الى النزوح من موطنه :

نقل ابن كثير عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى العجائب في صباه الهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهت به بنو اسرائيل فخافت امه عليه فاوحى (٢) الله الى امه ان تنطلق به الى ارض مصر (٣) فذلك قوله (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً)
وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٤)

٢ - ابتلاؤه باليهود ورمى امه بالبغاء :

قال الله تعالى : (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) (٥)

(١) اخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده ج ٤ ص ١٥١ واخرجه احمد ج ٢ ص ٥٢٣ واخرجه الحاكم فى مستدركه كتاب التاريخ ج ٢ ص ٥٩٤ بلفظ آخر وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجہ قال الذهبي صحيح .

(٢) المراد بالوحى هنا وحى الهام

(٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ٧٤

(٤) سورة المؤمنون آية (٥٠)

(٥) سورة النساء آية (١٥٦)

أكثر اليهود فيه وفي أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البغية (١) وانما صار هذا الطعن بهتانا عظيما لانه ظهر عند ولادة عيسى عليه السلام من الكرامات والمعجزات ما دل على براءتها من كل عيب (٢). نحو قوله (وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ رَجَدِ الْكَلْبَةُ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا) (٣) وكلام عيسى (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) (٤)

فان الله لا يعطى النبوة لمن هو كما زعموا لعنهم الله انهم قالوا انها حملت به من زنا في زمن الحيض لعنهم الله فبرأها الله من ذلك واخبر عنه انها صديقه وتخذ ولدها نبيا مرسلًا احد اولى لعزم الخمسة وهذا ابتلاء من جنس ما ابتليا به صلى الله عليه وسلم في زوجته عائشة ام المؤمنين فقد وردت قصه الافك بتمامها في سورة النور وبرأ الله السيدة عائشة رضى الله عنها من هذا البهتان العظيم فلعل الحكمة من هذا الافتراء والبلاء العظيم ان لا تعظم نفس انسان عليه فقد ابتلى من هم افضل منه فان وقع لاحدنا مثل ذلك فليلجأ الى قراءة السيرة العطرة للسيدة مريم ابنت عمران التى احصنت فرجها وللزوجه الحصون الرزون ام المؤمنين عائشة الصديقه بنت الصديق وليقف على الحقيقه الصبر وكظم الغيظ والعفو ولنا بهن اسوة حسنه فى فضل مريم فى الحديث الذى يرويه على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ) (٥) وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ) (٦) .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٧٦ .

(٢) التفسير الكبير الفخر الرازى ج ١١ ص ٩٩ .

(٣) سورة مريم آية (٢٥) . (٤) سورة مريم آية (٣٠) .

(٥) أخرجه البخارى كتاب مناقب الانصار باب تزويج النبى خديجه

وفضلها ج ٥ ص ٤٧ . وأخرجه الترمذى كتاب المناقب باب فضل

خديجه ج ٥ ص ٧٠٢ .

(٦) أخرجه الترمذى كتاب المناقب باب فضل خديجه ج ٥ ص ٧٠٣ وقال

هذا حديث صحيح .

ويتمادى اليهود والنصارى فى ضلالهم واتهامهم نبيهم عليه السلام وعدم الامتثال له حتى هموا بقتله وباشروا ذلك بالفعل لولا ان نجاه الله من كيدهم وظلمهم ومكر بهم مكرًا عظيمًا فقال الله تعالى :
 (وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (١) سبحانه فبعد اخراج عيسى عليه السلام مع امه عاد يدعوه مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا عليه (٢) ثم ان عيسى عليه السلام اقام عليهم الحجج والبراهين واستمر اكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم فانتدب له طائفة صالحه فكانوا له انصارا واعوانا قاموا بمتابعتة ونصرته ومناصحته وذلك حين هم بنو اسرائيل ووشوا به الى بعض ملوك ذلك الزمان فعزموا على قتله وصلبه فانقذة الله منهم ورفعهم اليه من بين اظهرهم والقى شبهه على احد اصحابه فاخذوه فقتلوه وهم يعتقدونه عيسى عليه السلام وهم فى ذلك غالطون ولحق مكابرون (٣) .

وهذا يدل على كفرهم لانهم كانوا راغبين فى قتله مجتهدين فى ذلك فلا شك ان هذا كفر عظيم (٤) فهذا منهج الكفرة من بنى اسرائيل وهى سيرتهم التى يستقبلون بها انبياءهم فهم كذلك كما لقبوا بقتله الانبياء فهذا سبيلهم وتلك طريقهم لعنهم الله فهذا النبى الذى اظهر الله على يديه المعجزات والكرامات يلقى هذا الابتلاء الجلل اذ يريدون قتله وما ذنبه الا ان دعاهم الى النجاة والخلص من الكفر والضلال وهكذا يبتلى الانبياء ويبتلى الدعاة العظماء فكل داعية الى الله عليه ان يتاس بهذا النبى العظيم الذى اصر على دعوتهم وان اصروا هم على كفرهم وعنادهم بل وحتى بعد اخراجه من ارضه عاد يلتمس الاعوان والانصار ويقول القرطبى " فى قوله تعالى : (فَلَمَّا احْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ) (٥) وطلب النصرة ليحتمى بها من قومه ويظهر الدعوة

(١) سورة آل عمران آية (٥٤)

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٤ ص ٩٨ .

(٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٤ .

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ١١ ص ٩٩

(**) رفع عيسى على الصحيح من اقوال الجمهور دون موت او نوم بل رفعه الله اليه .

(٥) سورة آل عمران آية (٥٢) .

وهذه سنة الله فى انبيائه واوليائه (١) قال لوطا (لَوْ اَنَّ لِىْ رِبْكَمُ قُوَّةً اَوْ اَوْىٰ اِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) (٢) اى عشيرة واصحابه ينصروننى (٣)
 ٣ - ابتلاوة عليه السلام باصحابه :

قال الله تعالى: (اِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ اَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ اَنْ نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ اَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا اَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُوْنُ لَنَا عِيْدًا لِاَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ وَارْزُقْنَا وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ) (٤)

وهذا بلاء عظيم لانه من الحوارين الذين الههم الله بالايمان به وبرسوله عيسى فآمنوا واشهدوا عيسى على اسلامهم انهم اتباعه حين قال (من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله) (٥) لهذا عظم الطلب فى جانبهم وخاصة بعد ان راوا الكرامات والمعجزات الباهرات يبرء الاكمه والابرص ويحى الموتى باذن الله ثم يطلبوا هذه المعجزة وان كانت اقل فى دلالتها من احياء الموتى وابراه الاكمه ولذا استعظم ذلك منهم عيسى عليه السلام فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فان مقتضى الايمان ينافى هذا الطلب فلمؤمنين الكمل لايقترحون على نبيهم ولا يطلبون منه المعجزات بل يؤمنون به فهذا شان الابرار كما قال الله تعالى: (اَلَمْ ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ) (٦) فالمؤمن لايطالب نبيه بمعجزة بل يؤمن به ايمانا محضا

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٤ ص ٩٧ .

(٢) سورة هود آية (٨٠) .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٤ ص ٩٧ .

(٤) سورة المائدة الايات (١١٢ - ١١٣ - ١١٤) .

(٥) سورة الصف آية (١٤) .

(٦) سورة البقرة آية (١ - ٢) .

دون تكليف ما يثبت لهم نبوته ولذا اتخذ عليهم المفسرون فى ذلك
مآخذ منها قولهم (هل يستطيع ربك)

١- قال سيد قطب : (اختلفت التاويلات فى هذا اذ كيف سألوا بهذه
الصيغة بعد ايمانهم بالله واشهاد عيسى عليه السلام على اسلامهم
وقيل هو مستجيب لك اذا طلبت وقيل هل تستطيع بمعنى هل تملك انت ان
تدعو ربك لينزل علينا مائدة من السماء) (١)

ب - قال ابن كثير فوعظهم عيسى فى ذلك وخاف عليهم ان لا يقوموا
بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فابوا عليه الا ان يسأل لهم ذلك من ربه
عز وجل فلما لم يقلعوا عن ذلك قام الى الصلاة وتضرع الى الله فى
الدعاء والسؤال ان يجابوا الى ما طلبوا) (٢)

ولذا فقد حذرهم عيسى عليه السلام من طلب هذه الخارقة لان
المؤمنين لا يطلبون الخوارق ولا يقترحون على الله وهذا الحوار يكشف
لنا الفرق بينهم وبين اصحاب محمد الذين لم يطلبوا منه خارقة
واحدة بعد اسلامهم لقد آمنت قلوبهم واطمأنت منذ ان خالطتها بشاشة
الايمان ولقد صدقوا رسولهم فلم يعودوا يطلبون على صدقه بعد ذلك
البرهان ولقد شهدوا له بلا معجزة ، إلا هذا القرآن

هذا هو الفارق بين حوارى عيسى عليه السلام وحوارى محمد صلى الله
عليه وسلم ذلك مستوى وهذا مستوى وهؤلاء مسلمون واولئك مسلمون
وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون ولكن تبقى المستويات
متباعدة كما ارداها الله (٣)

وقد استخرج المآخذ عليهم الفخر الرازى فى قولهم (هل يستطيع ربك)
(١) هل يستطيع فقال دل ذلك على انهم كانوا شاكين متوقفين فان هذا
القول لا يصدر عن من كان كاملا فى الإيمان .

(١) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٩٩٨ وانظر ايضا البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٦

وانظر ايضا فتح القدير ج ٢ ص ٩٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٦

(٣) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٩٩٨ .

(٢) وقالوا ونعلم ان قد صدقتنا وهذا يدل على مرض هذا القلب .
 (٣) وقول عيسى عليه السلام (اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يدل على انهم ما كانوا كاملون بالإيمان لأن ذلك جار مجرى التعنت والتحكم وهذا من العبد في حضرة الرب جرم عظيم ولانه اقتراح معجزة بعد تقديم معجزات كثيرة.

(٤) ومن المأخذ عليهم : ان الحواريين لما سألوا المائدة ذكرُوا في طلبها اغراضا دنيوية فقد قدموا ذكر الاكل فقالوا (نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا) واخروا الاغراض الدينية والروحية .
 وان عيسى قدم الاغراض الدينية على الدنيوية ثم ان عيسى لشدة صفاء دينه واشراق روحه لما ذكر الرزق بقوله (وَارْزُقْنَا) لم يقف عليه بل انتقل من الرزق الى الرزاق فقال : (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (٢)
 وهذا ادب عظيم في الدعاء ينبغى ان نقتدى به عند سؤال الحاجة فينبغى الثناء على الله فيما هو اهله وتقديم الصلاة والذكر ثم سؤال الحاجة فان هذا اجدر في قبول الدعوة باذن الله .
 ٤ - ابتلاوة عليه السلام حتى بعد رفعه :

قال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (٣) .

فهذه كبيرة لا يطيق بشر عادي ان يقذف بها فيدعى الالوهية وهو يعلم انه عبد فكيف برسول من اولى العزم ؟ كيف بعيسى ابن مريم وقد اسلف الله له هذه النعم كلها بعد ما اصطفاه بالرساله وقبل ما

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ .

(٢) الفخر الرازي ج ١٢ ص ١٣١

(٣) سورة المائدة آية (١١٦) .

اصطفاه ؟ كيف به يواجه استجوابا عن ادعاء الالهويه وهو العبد الصالح المستقيم (١) .

فهذا والله ابتلاء عظيم وبهتان ظاهر ينسب الى سيدنا عيسى عليه السلام وهو برىء منه ولكن هكذا سنتهم ومسيرتهم ليخلصوا انفسهم كما فعل قوم نوح اذا انكروا انهم بلغوا او وصلهم رسول اصلا (*) (ما جاءنا من نذير) ثم يكون الجواب والحجة الظاهرة من عيسى عليهم اذ لقنه الله هذه الحجة فقد اخرج الترمذى وصححه من حديث ابى هريرة : (قال تلقى عيسى حجة ولقاء الله فى قوله :) واذا قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فلقاء الله (سبحانه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق . الايه) (٢) ولذا اشاد المفسرون بحسن جوابه وعظم موقفه وتصاغره امام ربه فيبرأ الى الله من ذلك حيث قال (مَا يَكُونُ لِيْ اَنْ اَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقِّ) (٣) (واستشهد بذات الله على براءته مع التضاجر امام الله وبيان خصائص عبوديته وخصائص الوهيه ربه) (٤) حيث قال : (اِنْ كُنْتُ قُلْتُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِيْ وَلَا اَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِ) (٥) ويقول ابن كثير : (هذا تادب عظيم فى الخطاب والجواب) (٦) وينتهى الى التفويض المطلق فى امرهم مع تقرير

(١) فى ظلال القرآن ص ١٠٠١ ج ٢ .

(*) حديث سبق الاشارة اليه فى قصه نوح عليه السلام وبيان تبرئته من هذه الفرية العظيمة ص ١٤٩ .

(٢) اخرجه الترمذى كتاب التفسير باب سورة المائدة حديث رقم ٣٠٦٢ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ج ٥ ص ٢٦٠

(٣) سورة المائدة آية (١١٦)

(٤) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ١٠٠١

(٥) سورة المائدة آية (١١٦)

(٦) البداية والنهاية ج ٢ ص ٧٤

عبوديتهم لله وحده وتقرير قوة الله على المغفرة لهم او عذابهم وحكمته فيما يقسم لهم من جزاء سواء كان هو المغفرة او العذاب (١)
(إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢)
فيا للعبد الصالح فى موقفه العظيم اذالم ينسى عطف ربه وسيده ولهذا لم يقل ان تعذبهم فانهم

عصوك وانما قال فانك انت العزيز الحكيم وهذا انقياد وتسليم خالص لله عز وجل ولكمال قدرته. (٣)

وبعد هذا المشوار مع اولئك العصاة تحقق نصر الله لنبيه ولمن تبعه من الحوارين فيرفع عيسى على الصحيح من اقوال العلماء دون نوم ولا موت وينصر الله انصاره واتباعه قال الله تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَأَرْفِعْكَ إِلَيْنَا وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (٤)

فايد الله من امن به على من كفر فيما بعد واصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال الله تعالى فكل من كان اليه اقرب كان غالبا ممن دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لاشك فيه انه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه واطروه وانزلوه فوق ما انزله الله به (٥) فبصبره وقوة بلاسه قام بمواجهه من عتوا عن امر ربه من اليهود والنصارى وقام اتباعه الحواريون وهم الاثنى عشر بمناصرتهم عليه السلام وتأييده لما راوا من صدق معجزاته واستمر هذا الكفاح حتى رفع عليه السلام وهم يعاضدونه بصبر وقوة وجلد كالسلسله المتواليه من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم خير قدوة يقتدى بها كما قال صلى الله

(١) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ١٠٠١

(٢) سورة المائدة آية (١١٨)

(٣) فتح القدير ج ٤ ص ٩٥

(٤) سورة آل عمران آية (٥٥)

(٥) البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٥ .

عليه وسلم : (وَاقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي) وأشار الى ابي بكر وعمر (١)

هكذا تتجسد لنا القدرة فى الصبر وشبات وكفاح وجهاد حتى يتحقق وعد الله النصر او الشهادة .
عظم ما اقترفت النصارى :

وفى الصحيح عن ابي موسى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَذًا وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ) (٢)
فلا احد اعظم افتراء على الله من اولئك العصاة الذين ابتلى بهم عيسى عليه السلام .

(١) سبق الاشارة اليه ص ١٢٩ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب الادب باب الصبر على الاذى ج ٨ ص ٣١ .

قصة محمد صلى الله عليه وسلم

محمد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم :

هذا هو خاتم النبيين والرسل انقطعت بعده صلة السماء بالارض ولم يبق الا هديه وسيرته من كتاب وسنه يقتدى بها ويسار على نهجها لنصل الى ما وصل اليه اولئك الاجلاء الذين بذلوا ارواحهم رخيصة في سبيل الوصول الى جنة عرضها السموات والارض .

ولكنى ساكتب بعض نماذج من كفاحه الميرير وصحابته لهذه الثمن الجليل حيث ان الكل لا يستوعبه الا مجلدات عظيمة وحيث ان الهدف من هذا الفصل هو تجريد مواضع القدوة فيهم ففى البعض غنى عن الكل ان شاء الله .

لقد ابتلى صلى الله عليه وسلم ابتلاء عظيما وتنوع ابتلاؤه بيشتى صنوف البلاء فابتلى بأهله بأقرب الناس اليه وفى عشيرته صلى الله عليه وسلم الذين صرفوا له ضروب الفتن والمكائد وأراد به كيدا ومكروا به وكذبوه وأذوه ولم ينصروه . وهاجر وترك البلد والموطن وأحب البقاع اليه مغبوناً مطروداً مضطهداً . وابتلى بأصحابه الذين استهزئ بهم وأذوا فى سبيله وسبيل دينه وسوف أعرض لهذا كله مفصلاً فى بعض نماذج للكفاح الميرير من أجل دعوته خالدة وعقيدة ثابتة :-

اول المحن : السخريه والاستهزاء باللسان :

فبعد الجهر بالدعوة الى الله سخروا منه وأذوه قال الله تعالى : (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (١)

وقال الله تعالى على لسانهم : (وَإِذَا رَأَوْكَ إِتَّخَذُوكَ آيَاتٍ هُزُوءًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) (٢) هكذا قوبل نوح عليه السلام بالسخرية

(١) سورة ص آية (٤)

(٢) سورة الفرقان آية (٤١)

والاستهزاء . ولذا كان يؤمر صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بهم فى صبرهم وكانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات لتذهب عنه الهم والحزن الذى كان يحتاج نفسه عند تكذيبهم له واذيتهم له فقال الله تعالى (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا) (١) لم يكن النصر اذن بضاعة بلا ثمن لابل كان ثمنه النصر من الله والتأييد التام به والاعتداء بالانبياء قبله . فالصبر هو الضابط لسلوك الانبياء قبله وهو الضابط لسلوكه صلى الله عليه وسلم وسلوك اتباعه من بعده

ولذا قال الله تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا أَوَّلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) (٢) هذا هو المنهج الذى رباهم عليه رب السماء ولذا عندما قالوا له انه كاذب وانه مجنون وكاهن كما قال الله تعالى (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) (٣) لم يقلع عن دعوتهم بل استمر وان استمروا برفض دعوته وقولهم انه افك قال الله تعالى على لسانهم (إِنْ هَذَا إِلَّا فِكَ افْتِرَاءٍ وَاعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (٤) هذا بعض ما لاقاه صلى الله عليه وسلم من قذى الالفاظ والافتراء عليه باللسان فلم يأل عنه جهدا من تكذيب الى الوصف انه مجنون او ساحر او غيره مما تنضب نفس البشر العادى عنه الا انه نبي عظيم يصبر ويتحمل اعلى من ذلك فعلا انه صبر على عظم البلاء وان عظم واشتد حقا انها المحنة المهداة الى كل نبي والمنهج الذى يسير عليه كل داعيه الى الله تفننهم بطلب المعجزات لكى يؤمنوا بالله

تماما كما فعل اليهود بموسى عندما طلبوا ان يروا الله جهرة وكما فعل اصحاب عيسى عليه السلام بعد ان راوا المعجزات حينما قالوا

(١) سورة الانعام آية (٣٤) .

(٢) سورة الاحقاف آية (٣٥) .

(٣) سورة الطور آية (٢٩) .

(٤) سورة الفرقان آية (٤٥) .

ادع لناربك ينزل علينا مائدة من السماء ولكن هؤلاء يطلبون نوعا آخر بهدف آخر وهو التعنت والامتناع عن الايمان كما

قال الله تعالى على لسانهم (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى السَّمَاءَ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (١))

هذا بعض ما كان يلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاومه وهو ثابت صامد يدعوا الى الله مسفها عقائدهم بسبب عبادتهم اصناما لاتضر ولاتنفع .

٢- رمى العاص بن وائل الرسول بأنه أبتَر :

وقد بلغ البغض والسفه ببعض المشركين ان عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا خيرة له فيه من موت اولادة الذكور ولايخل بدين ولا مروءة ولا رجوله فمن هؤلاء العاص بن وائل السهمي كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانما هو ابتر لا عقب له لو مات لانقطع ذكرة واسترحتم منه (٢)

فانزل الله : (إِنَّا آَعَطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ (٣) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (٤) فلم يعبا الرسول صلى الله عليه وسلم بكل هذا بل مضى

(١) سورة الاسراء آية (٩٠ - ٩٣)

(٢) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طبارة ص ٣٤٨

(٣) الكوثر : اختلف الجمهور على انه الحوض - وقال ابى الجوزى الكوثر حوض النبی صلى الله عليه وسلم . وقال عياض فى احاديث الحوض صحيحه والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهرة عند اهل السنه والجماعة .

وقال عكرمه الكوثر النبوة والقرآن والاسلام وعن مجاهد الخير كله وقيل نور فى قلبه صلى الله عليه وسلم دله على الحق وقطعه عن سواه وقيل غير ذلك ج ٢٠ ص ٣ عمدة القارى .

(٤) سورة الكوثر .

الى سبيله يدعوا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وما زادة الاسراف فى الايذاء والاستهزاء الا اصرار على الدعوة (١)

٣ - اذيتهم له صلى الله عليه وسلم بالضرب والاعتداء عليه :
لقد استعرضت بعض اذيتهم له باللسان . ولكنهم لم يقلعوا عن اذيته صلى الله عليه وسلم بالفعل والضرب واصناف الاذى .

ومن الامثلة على ذلك ما رواة البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم يلقى فى حجر الكعبة اذ اقبل عليه عَقْبَةُ ابْنِ اَبِي مُعِيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِى عُنُقِهِ فَخَنَّقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَاقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ اتَّقَتُلُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ (٢)

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجزا عن دفع عقبه ولم يكن الله ليكل حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم الى جهدة وقله حيلته ولكنه الابتلاء ويتجلى لنا من هذا الموقف العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم موضعان اثنان للقدرة :-

١ - اذ ظهر فيه فضيله صلى الله عليه وسلم وصبره وعظم ما لاقاه من الاذى ثم فضل ابنى بكر الصديق والمصاحب فى الضيق رضى الله عنه اذ قام بالدفاع عنه صلى الله عليه وسلم وهو بهذا يقدم لنا قدوة فى الدفاع عن الدعاة ومناصرتهم والوقوف معهم

٢ - استمر هذا المحروم من الخير باذى النبى صلى الله عليه وسلم والتعرض له فقد روى البخارى عن عبد الله بن عمر قال : (بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ جَاءَ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعِيْطٍ بِسَلَى جُزُورٍ (٣) فَكَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ج ١ ص ٣٥١ - ٣٥٢

دكتور / محمد ابو شهبه .

(٢) اخرجه البخارى كتاب مناقب الانصار باب ما لقي النبى صلى الله

عليه وسلم واصحابه من المشركين بمكة ص ٥٧ - ٥٨ ج ٥ .

(٣) ما يكون من الناقه بعد الولادة كالمشيئه لانيه مسلم بشرح

النووى ج ١ ص ١٥ .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَاخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلٍ بَيْنَ هِشَامٍ وَعَتْبَةَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَامِيَةَ بْنَ خُلْفٍ وَأَبِي بَنٍ خَلْفَ شُعْبَةَ النَّشَاكِ فَرَأَيْتَهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ فَأَلْقُوا فِي بَيْتٍ غَيْرِ أُمِّيَّةٍ^١ وَأَبِي تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ فَلَمْ يُلْقَ فِي الْبَيْتِ^(١) فَقَدْ تَفَنَّنُوا فِي إِيْذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرْعُوا فِيهِ قَرَابَةَ وَتَخَطُّوْا حُدُودَ الْإِنْسَانِيَةِ^(٢) هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ لَنَا الْقُدُوةَ بِالْفِعْلِ وَالْعَزِيمَةِ الصَّادِقَةَ فَعَلًا أَنَّهُ صَدَقَ الْإِيمَانُ وَعَزَمَهُ وَقُوَّةُ الثَّبَاتِ وَالتَّحَمُّلِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنٍ وَكُلُّ دَاعِيَةٍ إِلَى اللَّهِ فَإِنْ تَوَفَّرَ قُوَّةُ الْعَقِيدَةِ وَثَبَاتُهَا زَالَتْ بِسَبَبِهَا وَبِهَا وَهَانَتْ كُلُّ الْمَصَائِبِ وَكُلُّ الْمَحَنِّ وَاسْتَثْلَذَهَا الدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ هَذَا هُوَ الْيَقِينُ وَهُوَ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ الدَّفَاعُ الْأَسْمَى لِلثَّبَاتِ عَلَى الْمَبْدَأِ وَعَلَى الْعَقِيدَةِ وَالصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ (وَلِذَا لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَوَهَّمُ الْيَأْسَ إِذَا مَا لَاقَى شَيْئًا مِنْ الْمَشَقَّةِ أَوْ الْمَحَنِّ بَلِ الْعَكْسُ هُوَ الْمُنْجِمُ مَعَ طَبِيعَةِ هَذَا الدِّينِ أَيْ أَنْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَبْشِرُوا بِالنَّصْرِ كُلَّمَا رَأَوْا أَنَّهُمْ يَتَحَمَّلُونَ مَزِيدًا مِنَ الضَّرِّ وَالنَّكَبَاتِ سَعِيًّا إِلَى تَحْقِيقِ أَمْرِ رَبِّهِمْ^(٣)) قَالَ تَعَالَى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ^(٤)).

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الانصار - باب ٢٩ ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين ج ٥ ص ٥٧ وأخرجه مسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من اذى المشركين والمنافقين ج ١٢ ص ١٥٤ بشرح النووي .

(٢) السيرة النبوية للندوي ص ١١١.

(٣) فقه السيرة للبوطي - ص ١٢٤ .

(٤) سورة البقرة آية (٢١٤).

قالت عائشة : (هُمْ أَتَّبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَاسْتَأْخَرَهُمْ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِنْهُمْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَظَنَنْتِ الرُّسُلُ أَنَّ أَتَّبَاعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ) (١) هكذا وبهذا العرض لبعض ما لقي الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح لنا عظم البلاء وشدة اصرار قومه على اذيته واستمرارهم على ذلك وتنوعت الحيل وتنوع معه الاذى فمن القول باللسان الى الفعل باليد يا لهامن عزيمة صادقة وموقف له صلى الله عليه وسلم لا ينسى هذا هو المنطق الذى ينطبق على الفعل صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اخرج البخارى عن خباب بن الارت انه قال اتيت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وهو مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌ وَجْهَهُ فَقَالَ : لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيْمِشُطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَادُونِ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصِيٍّ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُوضَعُ الْمَنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَشْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَلِيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ) (٢)

هذا ما كان من السابقين الاولين من اتباع الرسل والذين يريد محمد صلى الله عليه وسلم ان يسير عليه اتباعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (٣) تعاخذ القول بالفعل ليتم النصر والظفر وليكون من اقوى الدوافع للوصول الى الهدف الاسنى والاسمى . صبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر ما يلاقى اتباع الانبياء قبلهم لقد هبته النبى صلى الله عليه وسلم امام قريش مما جعلها تستعمل اسلوب آخر لعله يجدى بهذا الذى خرج عن ملتهم وسب آلهتهم

(١) اخرجه البخارى كتاب التفسير سورة يوسف باب (حتى اذا استيأس

(الرسول) ج ٦ ص ٩٧ ، ج ٦ ص ٣٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٩٢ .

(٣) سورة الصفاية (٢) .

فلما لم يجد السب باللسان والضرب والتهديد عمدت الى الترغيب لعله انفع فى نظرها مما سبق وكثيرا ما يستخدم هذا الاسلوب فيكون اكثر نفعا واجدى عاقبه من غيره ولا ننكر ان هذه هى الطريقه المتبعه فى تغيير النفوس والسلوك بها الى مسلك آخر لكن مائنه ان هذا ليس هو مجاله فالاولى ان يعاضده ويشدوا ازرة لا ان يتفمنوا ويتفكرون بتحويلهم عن طريقه وسلوكه صلى الله عليه وسلم . فقد جاء اليه الوليد فقال يا ابن اخى ان كنت ماتريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا - حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان الذى ياتيك رثيا تراه لا يستطيع رده عن نفسك طلبنا لك اطباء وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه (١)

قال ابن القيم : (لما كثر المسلمون وخاف الكفار منهم اشتد اذاهم له صلى الله عليه وسلم وفتنتهم اياهم فاذن لهم رسول الله فى الهجرة الى الحبشة (٢)

٤ - موقف قريش من هجرة المسلمين الى الحبشة :

بعثوا الى النجاشى يطلبون تسليم المسلمين اليهم يقول ابن الجوزى فرد الله كيدهم فى نحورهم اذا لم يسلمهم اياهم النجاشى بلغ المهاجرين ان قريشا اسلمت وكان هذا الخبر كاذبا فرجعوا الى مكه فلما بلغهم ان الامر اشد مما كان رجع منهم من رجع ودخل جماعه فلقوا من قريش اذى شديدا وكان منهم عبد الله بن مسعود (٣) .

(١) السيرة النبويه للندوى - ص ١١٣ .

(٢) زاد المعاد ج ١ ص ٩٧ .

(٣) زاد المعاد فى هدى خير العباد - لابن قيم الجوزيه - تحقيق شعيب الارنؤط (عبد القادر الارنؤط - الناشر مؤسسه الرساله مكتبه المنار الاسلاميه ط ١٤ ص ٩٧ ج ١ وانظر ايضا السيرة النبويه للندوى ص ١١٣ وانظر ايضا مع الانبياء والقرآن - عفيف طباره - ص ٣٥٤ . .

فلا يكاد التاريخ يعرف قوما ابتلوا بالوان البلاء وفتنوا اشد
الفتنه مثل ما عرف ذلك لأصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد
عذبوا عذابا تنوء به الجبال وأوذوا فى سبيل عقيدتهم ودينهم اشد
الايذاء ولاسيما الضعفاء والعبيد منهم وليس هذا بعجيب من قوم
خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان من أول يوم اعتنقوا فيه الإسلام واخذهم
النبي صلى الله عليه وسلم بأساليب الحكمة فى التربية والتهذيب
وكان لهم القدوة الحسنة فى الثبات والصبر والتحمل والاستهانة فى
سبيل العقيدة (١) فقد عذب فى سبيل الله بلال وكان مملوكا لأميه بن
خلف فكان أميه بن خلف يخرجهم وقت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى
بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا
والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى
فيقول وهو فى ذلك البلاء: احد احد (٢)

وقد قام أبو بكر يوما فى الناس يدعو إلى الله وإلى رسوله
وشار المشركون على أبى بكر فوطئ وضرب ضربا شديدا وجعل عتبه بن
ربيعة يضربه بنعلين مخصوفتين يحرفهما بوجهه حتى ما يعرف وجهه من
أنفـه (٣) .

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ - أبو
شهبه مرجع سابق .

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه كتاب معرفه الصحابه ج ٣ ص ٢٨٤ وقال
صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح وأخرجه ابن ماجه
كتاب مقدمه باب فضل سلمان وأبى ذر والمقداد ج ١ ص ٥٣ وقال
وفى الزوائد اسناده ثقات

(٣) السيرة النبوية للندوى ص ١١٠ .

وممن عذب بسبب اسلامه عمار بن ياسر (١) وابوه وامه فكان بنو مخزوم يخرجونهم فى وقت الظهيرة ويضعون اجسامهم على الرمال الشديده الحراره لتعذيبهم فيمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم قائلًا (صَبْرًا آل يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ) (٢) اما الام فقد قتلت تحت العذاب فكانت اول شهيدة فى الاسلام (٣)

وكانت سيده خباب بن الارت تعذبه بالحديد المحمى بالنار فتجعله على ظهره ليكفر فلا يزيده ذلك الا ايمانًا .

ومن المعذبات فى الله زنيه الروميه امة عمر بن الخطاب اسلمت قبله فكان يضربها حتى يفتتر ويشاركه فى ضربها ابو جهل فلا يزيدها ذلك الا اصرارا على الاسلام ولما اسلمت اصيب بصرها فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ما تنضر اللات والعزى وما تنفعان ولكن هذا امر السماء وربى قادر على ان يرد على بصرى فرد الله بصرها فقالت قريش هذا من سحر محمد (٤) وقد تعرض الكثير غيرهم من المؤمنين الى الضرب والتجويع والعطش حتى ما يقدر الواحد ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذى نزل به

(١) عمار بن ياسر بن عنس من اليمن وهو حليف لبني مخزوم ويكنى ابا اليقظان نزل الكوفه ولم يزل له مع على بن ابي طالب يشهد معه مشاهدة وقتل بصفين سنه سبع وثلاثين ودفن هناك وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وقد شهد بدرا الطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٤ - وامه سميه من لخم - وكان ياسر قدم من اليمن الى مكه فحالف ابا حذيفه بن المغيره فزوجه مولاته سميه فولدت له عمارا فاعتقه ابو حذيفه واسلم عمار وابوه قديما وكانوا ممن يعذب فى الله وقتل ابو جهل سميه فهي اول شهيدة فى الاسلام تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٨

(٢) اخرجه الحاكم ج ٣ ص ٣٨٣ كتب معرفه الصحابه قال الذهبي صحيح
(٣) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره ص ٣٥٤ وانظر ايضا ص ٣٥٥ ، ص ٣٥٦ السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة .
(٤) السيره النبويه - محمد ابو شهيه " مرجع سابق " ص ٣٥٧ .

وفى اثناء ذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يتلوا على المؤمنين ما ينزل عليه من القرآن ما يخفف عنهم ما يصيبهم من العذاب وما يثبت قلوبهم (١)

مثل قوله تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (٢) وكان كثيرا ما يصبرهم بذكر اخبار الامم قبلهم ففى الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم لخباب : (لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيْمِشَطٌ بِمِشَاطٍ مِنَ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِرْزِهِ) (٣) وكان يضرب لهم المثل فى القدوة قولا وعملا فقد اخرج الترمذى وابن ماجه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَاخْفُتُ (٤) فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَى شَالِثَةٍ وَمَالِي وَلِبِلَالٍ طَعَامُ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَى بِأَبْطِ بِلَالٍ) (٥) هكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يثبت علمه وحكمته وموعظته وقد خرج يطلب النصره من اهل الطائف وكان زيد بن حارثه رفيقه فاذهبه واخرجه ورجموه بالحجاره حتى ادموا كعبيه (٦) .

(١) انبياء الله فى القرآن - عفيف طباره ص ٣٥٣

(٢) سورة العنكبوت آية (٢ - ٣)

(٣) سبق الاشارة اليه ص ١٨٩

(٤) اى خوفت فى دين الله تعالى وما يخاف احد مثل تلك الا خافه ج ١

ص ٥٤ سنن ابن ماجه شرح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٥) اخرجه ابى ماجه مقدمه ج ١ ص ٥٤ واخرجه الترمذى فى كتاب صفة

القيامة ج ٤ ص ٦٤٥ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب .

ابط بلال : اى الامقدار ما يحمل بلال ويواريه تحت ابطه سنن ابن

ماجه تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ج ١ ص ٥٤ .

(٦) زاد المعاد ج ١ ص ٩٩ .

وكان زيد بن حارثة يلقى الرسول بنفسه من الحجاره حتى انه شج فى راسه عده شجاج (١) .

فعلا هذا هو الرفيق والصاحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحن والشدائد وهو بهذا يقدم نموذجا لما ينبغى ان يكون عليه حال المسلم بالنسبه لقائد الدعوه من حمايه له بنفسه ودفاعه عنه وان اقتضى ذلك التضحيه بحياته (فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله فكما جاء يبلغنا العقيدة الصحيحه عن الكون وخالقه كذلك جاء يبلغ المسلمين ما كلغهم الله به من واجب الصبر ويبين لهم كيفيه تطبيق الصبر والمصابره الذين امر بهما فى قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) (٢) ويبين ان الصبر ومصارعه الشدائد من اهم مبادئ الاسلام التى بعث بها الى الناس كافه (٣)

قال تعالى : (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (٤) (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) (٥) انها التقوى التى جعلت له صلى الله عليه وسلم الفرج بعد الشدة فاخرج مسلم عن عائشه رضى الله عنها قالت يا رسول الله هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم اجد ؟ فقال : (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضَتْ نَفْسٌ عَلَى ابْنِ عَبْدِ بَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَكْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَقِ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ (٦) فَرَفَعْتُ

(١) فقه السيره ص ١٠٩ للبوطى وانظر ايضا السيره النبويه للندوى

ص ١٢٢ وانبياء الله - احمد بهجت ص ٤٢٠ .

(٢) سورة آل عمران آية (٢٠٠)

(٣) انظر فقه السيره ص ١٠٩ بتصرف للبوطى .

(٤) سورة يوسف آية (٩٠)

(٥) سورة الطلاق آية (٢)

(٦) قرن الثعالب : هو قرن المنازل وهو الميقات اهل نجد واصل

القرن الجبل الصغير .

رَأْسِي فَلِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمْتَنِي فَنَظَرْتُ فَلِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَارَدُوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلِكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِي مَلِكَ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلِكَ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ فَتَأْمُرْنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ (١) فَقَالَ لَارْسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُوا أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا (٢)

٥ - تأمر قريش على قتل النبي صلى الله عليه وسلم :
قال الله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٣) وذلك عندما تأمرت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار أبو جهل بأن يقتل بطريقه تمنع من الثار له . فأنجاه الله من هذه المكيدة ونام على بن أبي طالب في فراشه وخرج مع أبي بكر إلى غار ثور قال الله تعالى : (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٤)
وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال شري على نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون

(١) الأخشبيين : هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله شرح

النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ١٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري ج ٤ ص ١٣٩ كتاب في بدء الخلق باب اذ قال

أحدكم آمين والملائكة في السماء وأخرجه مسلم واللفظ له كتاب

الجهاد باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من اذى المشركين

والمنافقين ج ١٢ ص ١٥٥ بشرح النووي .

(٣) سورة الانفال آية (٣٠) .

(٤) سورة التوبة آية (٤٠) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم البسه بردة وكانت قريش تريد ان تقيل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمون عليا ويرونه النبي صلى الله عليه وسلم وقد لبس برده وجعل على رضى الله عنه يتضور (١) فاذا هو على فقالوا انك للنميم انك لتضور وكان صاحبك لا يتضور ولقد استنكرناه منك (٢) وقضى صلى الله عليه وسلم وصاحبه ثلاثة ايام فى الغار يقول ابو بكر لو ان احدهم نظر الى موطىء قدميه لابصرنا فيجيبه صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " ثم دناهما الدليل بالراحله وسلك بهما طريقا غير مألوف قاصدا يثرب وفى الحديث عن ابي بكر رضى الله عنه قال (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ أَشَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَى مَا ظَنَنَّا بِأَٰثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا) (٣) .

وكانت قريش قد همت بقتله قبل ذلك فلما منعه عمه ابو طالب هو وقبيلته عزمت قريش على الحرب المادية فتعاقدوا على مقاطعه عشيره النبي صلى الله عليه وسلم لا يزوجه ولا يبيعونه شيئا ولا يبتاعون منهم وظلوا ثلاث سنوات والنبي واتباعه يعانون من الحرمان الوانا حتى انهم كانوا ياكلون اوراق الشجر وكان يسمع اصوات اطفالهم من بعيد من شدة الجوع (٤) فهذه القطيعة الظالمة تصور قمه الشدة التى لقيها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه طيله ثلاث اعوام فصبر

(١) يتضور أى يتلوى ويتلف

(٢) أخرجه الحاكم كتاب الهجرة ج ٣ ص ٤ وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد رواه ابو داود الطيالسى وغيره بزيادة الفاظ وقال الذهبى صحيح .

(٣) أخرجه البخارى كتاب التفسير باب التفسير سورة براءة ج ٦ ص ٨٣ وأخرجه احمد ج ١ ص ٤ .

(٤) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره - ص ٣٦٨ وانظر ايضا فتح البارى ج ٧ ص ٢٣٠ .

الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ما اصابهم من المقاطعة وانصياعا لامر الله وايتبارا للآخرة على الدنيا (١) لقد تنوع البلاء على دين النبي صلى الله عليه وسلم (احتمال كل الظروف ورغم أن ضائقه المسلمين استمرت ثلاث سنوات لم يتوقف نشاطهم ولا خمد ولا قل (٢) احدى عشرة سنة والرسول صلى الله عليه وسلم يعانى من حياة لا راحة فيها ولا استقرار تتربص قريش فى كل دقيقه منها بقتله وتصيب عليه الوانا من المحن والشدائد فلا ينقص ذلك شيئا من عزيمته ولا يضعف شيئا من قوته وسعيه .

احدى عشرة سنة وهو يعانى من غربه هائله بين قومه وجيرانه وكافه الجماعات والقبائل المحيطة فلا ييأس ولا يضجر ولا يؤثر ذلك على شىء من انسه بربه عز وجل (٣)

٦ - ابتلاؤه بموت بعض انصاره :

وبعد المقاطعة مات عمه ابو طالب ثم ماتت خديجه رضى الله عنها وتتابع على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتها الشدائد ونالت منه قريش خصوصا ابو لهب بن عبد المطلب والحكم بن العاص وعقبه ابن ابى معيط فانهم كانوا جيران النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذونه بما يلقون عليه وقت صلاته وفى طعامه من القاذورات (٤)

٧ - محنة فى المدينه :

لقد ناصره اهل المدينه ولقى عندهم الفرج بعد الشدة الا ان يهودها والمنافقين ابو الا ان يستمروا فى اذيه صلى الله عليه وسلم حيث قذف راس النفاق عبد الله بن ابى سلول ومن تبعه السيدة عائشه بحادثه الافك قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ

(١) فقه السيره للبوطى بتصرف ص ٩٥ مرجع سابق وانظر ايضا السيره

النبيه للندوى ص ١١٩ .

(٢) انبياء الله - احمد بهجت ص ٤١٨ بتصرف .

(٣) فقه السيره للبوطى ص ١٢٥ .

(٤) المختصر فى اخبار البشر ج ١ ص ١٢٠ .

وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١)

ولقد كانت هذه الشائعه تستهدف النيل من الاسلام وتجريح الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت جزءاً من الحرب الضاربه ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الاسلام . وكانت تستهدف اظهار الاسلام بمظهر العقيده التي يقول اتباعها شيئاً وهم يتصرفون عكس ما يقولون كما كانت ضربه موجهه لنقاء بيت سيده (٢)

لقد قذفت السيده مريم من قبل قال الله تعالى : (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) (٣) ولقد قذف موسى عليه السلام اذ امر قارون المرأة البغي ان تتهمه بالزنا فظهر الله نصره لوليه ورد كيده على اعدائه .

فاذن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينه ولقى حتى فى المهجر شدة وكربه (فالهجره من سنن المصلحين الذين اتخذوا منها منطلقاً جديداً - لدعواتهم وقد حدثنا التاريخ عن هجره ابراهيم ابى الانبياء وفراره بدينه من العراق الى الشام بعد عداوة الفرس وحاولوا احراقه كما حدثنا عن هجره موسى من مصر مع من آمن معه فرارا من فرعون وعن هجره عيسى من بيت لحم الى اورشليم (القدس) لذا فالهجره توحى لنا باعظم الدروس من حيث الصبر على البلاء والتضحيه والفداء والثبات على المبدأ والثقه بالنصر (٤)) فكل ما يلاقيه الدعاة الى الله والمجاهدون فى سبيل اقامه المجتمع الاسلامى سنه الاهيه فى الكون منذ فجر التاريخ لاطهار صدق الصادقين وكذب الكاذبين (٥) .

(١) سورة النور آية (١١)

(٢) انبياء الله - احمد بهجت ص ٤٥٣ وانظر المختصر ج ١ ص ١٣٨ مرجع سابق .

(٣) سورة النساء آية (١٥٦) .

(٤) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره - ص ٤٣٥ .

(٥) فقه السنه - للبوطى ص ٨٦ مرجع سابق ج ٣ ؟

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ) (١)

واذا كانت هذه سنة الله فى عباده فلن تجد لسنة الله تبديلا حتى مع انبيائه واصفيائه من اجل ذلك اودى رسول الله صلى الله عليه وسلم واذوى من قبله من جميع الانبياء واصفيائه ومن اجل ذلك اودى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمى من عمى رغم عظيم فضلهم وجليل قدرهم عند الله عزوجل (٢) .

ان التاريخ لا يكاد يعرف قوما استعذبوا العذاب فى سبيل الايمان والعقيدة وهانت عليهم نفوسهم فى الله مثل ما عرف ذلك لاصحاب خاتم الانبياء . ان هؤلاء الرجال والنساء خطوا صحائف مشرفة فى تاريخ الايمان والبطولة والتضحية (٣) .

(١) سورة آل عمران آية (١٤٣)

(٢) فقه السنة - للبوطى - ص ٨٦ مرجع سابق

(٣) السيرة النبوية - محمد ابوشهبه - ص ٣٥٩ مرجع سابق .

الفصل الرابع

اجتناب البدعة

اجتناب البدعة

لقد شرع الله لنا من الدين ما كان كافيا لاقامة منهج حياة سعيدة فى ظل الدين الحنيف فالتوازن فى العبادات وفى العادات منهاج ديننا السمح ، وقد شرع لنا من العبادات ما يرضى نفس كل مؤمن وهو المنهج الذى رسمه الحق جل وعلا على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتوازن تام فهو كاف لسد جميع احتياجات البشر من غير تبديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقص ومهما توسعت الحياة فالدين بسماحته ويسره لا يصادم الحياه الكريمه فى تطورها السليم انه يستوعب مستجدات هذه الحياه ويقدم الحلول لهذه المستجدات .

انه لافرق بين الدين وبين ما سار او ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لذا فلا يژاد عليهما بزغم القربى الى الله ولا ينقص منها كذلك لتظل شريعتنا وديننا محاطين بسياج حفظ الذات فلا يحرفان بزيادة او نقص الا انا نجد ان الامة الاسلامية فى فترة من فترات الضعف انتشرت فيها البدع سواء كانت زيادة او نقصانا فى الدين ولاى سبب من الاسباب .

ويهمنا هنا فى هذا الفصل ان نعالج قضية انتشار البدعة فى المجتمع الاسلامى والدوافع التى كانت وراء هذا الانتشار كما نبحث فى الضوابط فى منع انتشار البدع ومكافحتها من حيث انها لا تمت الى الدين بصلة :-

البدع : فى اللغة :

بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه انشاه وبداه .
والبدعة : الحدث وما ابتدع من الدين بعد الاكمال ، وقال ابن السكيت البدعه كل محدثه (١)
البدعة فى الاصطلاح :-

لقد عرف العلماء البدعة بعدة تعريفات سوف اشير اليها ثم

نستخرج من مجموعها تعريفا واحدا مجمعا عليه يفيدنا فى هذا البحث
التعريف الاول :

١ - البدعه عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والاغلب فى المبتدعات انها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب العمل بها زيادة او نقصان .
فان ابتدع شئ لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وان كان جائزا حفظا للاصل وهو الاتباع . (١)

٢ - هو الحدث فى الدين بعد الاكمال وما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم وجعل ديننا قويا وسراجا مستقيما (٢)

٣ - وجاء تعريف الشافعى للبدعه :
هى ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة الضالة (٣) .

٤ - البدعه طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية او يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله (٤)

٥ - ومن هذا المعنى سميت البدعه بدعه فاستخراجها للسلوك عليها هو

(١) تلبيس ابليس للحافظ الامام جمال الدين ابن الفرغ عبد الرحمن ابن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - دار الكتب بيروت ط ٢ عام ١٣٦٨ هـ . ص ١٦ .

(٢) كتاب السنن والمبتدعات / المتعلقة بالاذكار والصلوات / محمد عبد السلام خضر الشقنقىرى / الناشر دار الباز - دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ . ص ١٦ .

(٣) فتح المبين ص ١٠٧ مرجع سابق .

(٤) ليس من الاسلام / محمد الغزالى ص ١٠١ دار الكتب الحديثة ط ٣ عام ١٣٨٣ هـ .

الابتداع وهيئتها هي البدعة وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعه فمن هذا المعنى سمي العمل الذى لا دليل عليه فى الشرع بدعه وهو اطلاق اخص منه فى اللغة . (١)

٦ - فالبدعه اما باعتقاد خلاف الحق الذى ارسل الله به رسوله وانزل به كتابه واما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الاوضاع والامور المحدثه فى الدين التى لا يقبل الله منها شيئا . (٢) .

٧ - هي كل ما احدث على خلاف امر الشارع . ودليله الخاص او العام ضلالة (٣) .

فلاحظ من هذه التعاريف ان البدعه لها سمات يمكن ان نقتبسها من هذه التعريفات كما يلى :

١ - ان البدعة ليس لها اصل فى الشرع :

فان كان لها اصل فى الشرع فهي ليست بدعة بل هي سنة كما قال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ) (٤) ومنه فعل عمر رضى الله عنه اذ جمع الناس على صلاة التراويح وقال نعمة البدعة هذه . وان كان الاصل موجودا وهو مشروعية الصلاة او التهجد فى ليالى رمضان وكان صلى الله عليه وسلم يصلى هذه الصلاة ولكنه لم يأمر بالاجتماع عليها خوفا من ان تفترض عليهم ٢ - ان البدعة تخالف الشريعة بزيادة او نقص :

سواء كانت مشروعه كمن زاد ركعة على صلاة الصبح - او نقص منها ركعة او نحوا من ذلك وظن ان هذا قربة الى الله عزوجل . او سواء كانت الزيادة غير مشروعة . كمن شرع لنفسه عبادة وظن انها قربة الى الله عزوجل .

(١) الاعتصام للشاطبى ج ١ ص ٣٧ .

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣) نزاهة المتقين ج ١ ص ٤٣٦ .

(٤) سبق تخريجه فى الاقتداء بالانبياء والذين معهم . ص ١٢٩ .

٣ - ويشترط فى البدعة اعتقاد صاحبها ان فعله قربى الى الله عزوجل فان لم يعتقد ذلك فلا بدعة . لان البدعة المقصود منها التقرب الى الله عزوجل .

٤ - انها توافق هوى النفس بزيادة التعبد وذلك مثل :- الرهط الذين سألوا عن عبادة النبى وكانهم تقالوها وقالوا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال احدهم انا اصوم ولا افطر والاخر قال لا اكل اللحم والثالث قال لا اتزوج النساء .

ففى الحديث الصحيح : عن انس بن مالك رضى الله عنه يقول : (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا وَآيِنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا أَصَلَّى اللَّيْلِ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَّا وَاللَّوِ إِنِّي لَاخْشَاكُمْ لِيَوْمٍ وَاتَّقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَاتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) . (١)

٥ - سواء اعتقد فعلا او اقر عملا بدعه فهو ايضا مبتدع او قام هو بما هو خلاف الشرع فهذا كله من جنس الابتداع الذى لم يلاذن به الله ولا رسوله .

ونخلص من هذا الى تعريف يمكن ان يجمع اقوال هؤلاء العلماء مع حذف ما تكرر معناه فنقول
البدعة هي :-

كل عمل ليس له اصل فى الشرع وخالف الشريعة بزيادة او نقص واعتقد صاحبها انه قربه الى الله ، بينما هو يوافق هوى النفس سواء كانت عملية او اعتقادية .

فهذا التعريف جمع اقوال العلماء وفى الوقت نفسه اتضح لنا به شروط كون العمل بدعه .

ومنه نلخص ان الدافع الى الابتداع :

- ١ - التقرب الى الله بزيادة الابتداع .
- ٢ - موافقة هوى النفس بزيادة التعبد .
- ٣ - دافع التجديد لان النفس تسام وتمل .

أصل الابتداع :-

١ أصل الابتداع خلق ما ليس له مثال سابق ولا دليل قائم . (١)

وعلى هذا فكل عمل يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صاحبته رضى الله عنهم فهو أصل تشريعى عن العرباض بن سارية (٢) رضى الله عنه قال : (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَعٌ فَمَاذَا تَعَاهَدُ بِإِلَيْنَا فَقَالَ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبْشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى بِإِخْتِلَافٍ كَثِيرٍ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (٣)

(١) ليس من الاسلام ص ١٠١ مرجع سابق .

(٢) العرباض بن سارية : السلمى كنيته ابو نجيح كان من اهل الصفه ونزل حمص مات فى فتنة ابى الزبير سنة ٧٥ هـ . تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٦٤ .

(٣) أخرجه ابو داود كتاب السنة حديث ٤٦٠٧ باب لزوم السنة ج ٤ ص ٢٠٠ وأخرجه الترمذى فى كتاب العلم باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع ج ٥ ص ٤٤ حديث ٢٦٧٦ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه فى المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ج ١ ص ١٥ . وأخرجه الحاكم فى مستدركه ج ١ ص ٩٦ وقال الحاكم هذا حديث صحيح ليس له عله - وقال الذهبى صحيح ليس له عله .

فينبغي للمسلم الاتباع لا الابتداع فى الدين عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ أَحَدَّثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) (١) وقوله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) (٢)

وكلا الحديثين حرب على البدع الأول على اختراعها والآخر على اقرارها ومتابعتها . (٣)
مضار البدعة الدينية :-

- ١ - عدم قبول الأعمال من صلاة وصيام وصدقة وغيرها من القربات .
- ٢ - عدم قبول الأعمال مطلقا سواء خالتتها البدعة أم لا وفى هذا (٤)

(١) أخرجه البخارى كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ص ٢٤١ ج ٣ - وأخرجه مسلم كتاب الأقضية باب ١٧ . ج ١٢ ص ١٦ بشرح النووى . وأخرجه أبو داود كتاب السنة باب فى لزوم السنة ص ٢٠٠ ج ٤ حديث ٤٦٠٦ . وأخرجه ابن ماجه مقدمه باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه ص ٦ ج ١ . وأخرجه احمد ج ٦ ص ٣٧٠ . (٢) أخرجه البخارى تعليقا كتاب الاعتصام . باب اذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم حكمه مردود ج ٩ ص ١٣٢ - وكتاب البيوع باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع ص ٩١ ج ٣ كتاب الصلح باب ٥

(٣) ليس من الاسلام ص ١٠٢ مرجع سابق .

(٤) الاعتصام ص ١٠٩ ص ١١٠ بتصرف

حديث على رضى الله عنه (المدينة حرام ما بين عير (١) إلى ثور .
فمن أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل) (٢)

وذلك على رأى من فسر الصرف والعدل بالفريضة والنافلة .

* - أن تخالط بدعة الاعمال .

فيكون العمل قد خالطه ما ليس من الدين فيرد كما فى الحديث عن
عبد الله بن أبى رافع (٣) عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم .
من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (٤) كمن عمل بالقرآن وحده

(١) عير : هو جبل معروف . قال مصعب بن الزبير وغيره ليس
بالمدينة عير ولا ثور قالوا إنما ثور بمكة . وقال الزبير عير
جبل بناحية المدينة قال القاضى أكثر الرواة فى كتاب البخارى
ذكروا عير وأما ثور فمنهم من كنى عليه بكذا ومنهم من ترك
مكانه بياضا لأنهم اعتقدوا ذكر ثور هنا خطأ . قال المازرى قال
بعض العلماء ثور وهم من الراوى وإنما ثور بمكة قال والصحيح
الى (احدث) قال القاضى وكذا قال ابو عبيد اصل الحديث من ()
عير الى احدث (هكذا .

قال النووى ويحتمل ان ثورا كان اسم لجبل هناك اما احدث واما
غيره فخفى اسمه والله اعلم . شرح النووى على صحيح مسلم ج ٩
ص ١٤٣ .

(٢) أخرجه البخارى كتاب الفرائض ج ٨ ص ١٩٢ - وأخرجه مسلم كتاب
العتق باب تحريم تربى العتيق غير مواليه ج ١٠ ص ١٥٠ -
وأخرجه ابو داود كتاب الديات باب ايقاد المسلم بالكافر ص
١٨٠ ج ٤ حديث ٤٥٣٠ - وأخرجه الترمذى كتاب الولاء باب ما جاء
فيمن تولى غير مواليه وادعى غير أبيه ج ٤ ص ٤٣٨ حديث ٢١٢٧ -
وأخرجه احمد ج ١ ص ٨١ ص ١٠٨ و ج ٢ ص (٣٩٨ - ٤٥٠) .

(٣) عبد الله بن رافع : المخزومى ابو رافع المدنى مولى ام سلمه
زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال النسائى ثقة ذكره ابن حبان
فى الثقات . ج ٥ ص ٢٠٦ تهذيب التهذيب .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

وترك السنة ففي الحديث (لَا الْفَيْنَ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكِتِهِ يَأْتِيهِ
الْأَمْرُ مِمَّا أُمِرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ
اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ) (١)

وانما جاء هذا الحديث على الذم واشبات ان سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى التحليل والتحريم ككتاب الله فمن ترك ذلك فقد
بنى اعماله على رايه لا على كتاب الله ولا على سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم (٢)

٣ - ان المستحسن للبدع يلزمه عادة ان يكون الشرع عنده لم يكمل
بعد فلا يكون لقوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (٣)
معنى يعتبر فدين الله قد كمل ولا يحتاج الى زيادة او نقص
وانما كان هذا حال المبتدع اذ يزعم بحال فعله او قوله ان
الهدف من البدعة هو اكمال الدين وهو ايضا اتهام لله بعدم
الكمال وهذا كفر ان اعتقده صاحب البدعة . واتهام للنبي صلى
الله عليه وسلم بعدم تبليغ الرسالة وهذا ايضا كفر ان اعتقده
صاحب البدعة .

٤ - ان المبتدع قد قدم العقل على الشرع فصار الشرع فى نحلته
كالتابع لمعين لا حاكما متبعا (٤)
والاصل تقديم الدين على العقل اذ ان العقل تابع لا متبوع .

(١) اخرجه ابو داود كتاب السنة باب فى لزوم السنة ج ٤ ص ٢٠٠ .
حديث ٤٦٠٥ واخرجه الحافظ فى التذكرة ج ٣ ص ١١٩١ وقال حسن
غريب تفرد ابن عيينه واخرجه ابن ماجه مقدمه ج ١ ص ٧ حديث
رقم ١٣ .

(٢) الاعتصام ص ١١٠ ج ١ .

(٣) سورة المائدة آية : ٣ .

(٤) الاعتصام ج ١ ص ١١٠ .

أما من قال أن المراد هو أن يراد بعدم القبول لأعمالهم ما
ابتدعوا فيه خاصة فيظهر أيضا ويدل عليه قوله صلى الله عليه
وسلم : (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) (١) والجميع من
قوله (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (٢) أي أن صاحبها ليس على الصراط
المستقيم وهو معنى عدم القبول .

٥ - أن صاحب البدعة ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
(مَنْ أَخَذَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحَدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (٣)

وإنما جاء النهي عن إيواء المحدث وتوقيره لأنه يؤدي إلى
التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير فيعتقدون في المبتدع
أنه أفضل الناس وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره فيكون هذا
دافعا للجهال إلى اتباعه وتقليده وبالتالي يؤدي إلى تعطيل
اتباع السنة والجماعة ثم أن توقيره يكون دافعا له لكي يبتدع
في الدين ما ليس فيه . (٤)

٦ - أن المبتدع يزداد من الله بعدا ففي الحديث عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم (يَحْتَقِرُ
أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا
يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيهِ) (٥)

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

(٣) سبق تخريجه من حديث على رضي الله عنه - ص ٢٣٠ .

(٤) الاعتصام بتصرف ص ١١٤ ج ١ .

(٥) أخرجه أحمد من حديث طويل ج ٣ ص ٥٦ - ٦٠ - ٦٥ . وأخرجه مسلم

كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلف ومن يخاف على إيمانه ج ٧ ص

١٦٤ ، ص ١٦٥ شرح النووي - وأخرجه البخاري كتاب المناقب باب

علامات النبوة في الإسلام ج ٤ ص ٢٤٣ .

فبين اولا اجتهدهم ثم بين بعدهم من الله (١)
فهو يجتهد بالعبادة من صيام وصلاة وانواع القربات فتخالطها
البدع فتزد اعماله اليه ويزداد من الله بعدا لذا قال صلى
الله عليه وسلم : (يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ) والمراد يخرجون من
الدين مع كثرة صلاتهم وعبادتهم .

٧ - ان على مبتدعها اثم من عمل بها الى يوم القيامة (٢)
قال الله تعالى : (لِيَحْمِلُوا اَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ
اَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (٣) والمراد يحملون اوزارهم
وذنوبهم كاملة غير منقوصة يوم القيامة وليحملوا اوزار من
يضلونهم وهم العوام (الا ساء ما يحملون وبئس شيئا يحملونه) (٤)
وفى الحديث الصحيح : (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا
بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ وَزِرَ مِنْ عَمَلِ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ اَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) (٥)
فيدل هذا الحديث على اثر البدعة على صاحبها فانه كل من يعمل
بها يعود اثمه على مبتدعها الاول .

٨ - البعد عن حوض الرسول صلى الله عليه وسلم لما روى ففى
البخارى عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
(اَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ لِيُرْفَعَنِي إِلَى رِجَالٍ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتَ
لَأَنَا وَلَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَصْحَابِي؟ يَقُولُ لَا تَدْرِي مَا

(١) الاعتصام ص ١١٩ .

(٢) الاعتصام ص ١٢٣ .

(٣) سورة النحل آية : ٢٥ .

(٤) التفسير الواضح ج ١٤ ص ٣٧ مرجع سابق .

(٥) سبق تخريجه فى باب الاقتداء بالانبياء والذين معهم ص ١٢٩

أَحَدَثُوهُ بَعْدَكَ (١)

والأظهر انهم من الداخلين فى غمار هذه الأمة لاجل ما دل على ذلك فيهم وهو الغره والتحجيل لأن ذلك لا يكون لأهل الكفر المحض ولقوله (مَا أَحَدَثُوهُ بَعْدَكَ) وكان الكفر لقال لقد كفروا بعدك ٩ - انه يخاف على صاحبها مرتكب اثما وعاصى لله تعالى حتما - لأنه مصر على ما نهى الله عنه والاصرار يعظم الصغائر ان كانت صغير حتى تصير كبيرة وان كانت كبيرة فاعظم .
فهذا ظاهر اذا اغتر بالبدعة من حيث هى معصية فاذا نظرنا الى كونها بدعة فذاك اعظم لأن المبتدع مع كونه مصرا على ما نهى عنه يزيد بانه معارض للشرعية معتقدا فى المعصية انها طاعة حيث حسن ما قبحه الشرع . (٢)

(١) اخرجه البخارى كتاب الفتن باب ما جاء فى قول الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) كتاب الرقاق ج ٩ ص ٥٨ واللفظه . وج ٨ ص ١٣٦ - واخرجه مسلم كتاب الطهارة باب استحباب اطالة الغره والتحجيل فى الوضوء ج ٣ ص ١٣٩ وكتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة ج ٤ ص ١١٢ وكتاب الفضائل باب حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفته ج ١٥ ص ٥٩ وكتاب الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر وبيان يوم القيامة ج ١٧ ص ١٩٤ - واخرجه الترمذى كتاب القيامة باب ما جاء فى شأن الحشر ج ٤ ص ٦١٦ حديث ٢٤٢٣ - واخرجه ابن ماجه كتاب مناسك باب ٤٠ التمتع بالعمرة الى الحج ج ٢ ص ٩٩٢ فانك لا تدري ما احدث أمير المؤمنين فى النسك بعدك . واخرجه مالك فى موطنه كتاب الجهاد ص ٣٧١ واخرجه احمد ج ١ ص ٣٩ ص ٥٠ .

(٢) الاعتصام ص ١٢٩ ج ١ مرجع سابق .

١٠- سواد وجهه فى الآخرة قال الله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) (١)

ففى الآية الكريمة وعيد بالعذاب لقوله : (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) قال ابن كثير : (تسود وجوه اهل البدع وتبيض وجوه اهل السنة) (٢).

١١- البراءة منه لقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (٣) وفى الحديث عن سهل بن سعيد (٤) يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَهُ شَرْبٌ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا لِيَرُدَّ عَلَى أَقْوَامٍ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِنِى ثُمَّ يَحَالُ بَيْنَ بَيْنِهِمْ) وفى حديث أبى سعيد الخدرى يزيد فيه (قَالَ إِنَّهُمْ مِنِّى فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا بَدَلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِى) (٥) . فقلوه سحقا لمن بدل بعدى أى بعدا له وفيه براءة الرسول صلى الله عليه وسلم منه

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٦ .

(٢) ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ مرجع سابق .

(٣) سورة الانعام آية : ١٥٩ .

(٤) سهل بن سعيد : بن مالك بن عمرو بن الخزرج بن ساعده بن كعب بن

الخزرج الانصارى الساعدى أبو العباس ويقال أبو يحيى له ولأبيه

صحابه توفى وهو ابن ٩٥ سنة وقيل غير ذلك وهو آخر من مات

بالمدينة من الصحابة وقال ابن حبان كان اسمه حزنا فسماه

الرسول صلى الله عليه وسلم سهل . تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٥٢ .

(٥) أخرجه البخارى واللفظ له كتاب الفتن ج ٩ ص ٥٩ ج ٨ ص ١٥٠ -

وأخرجه مسلم كتاب الطهارة باب اطالة الغره والتحجيل بالوضوء

ج ٣ ص ١٣٩ كتاب فضائل حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ج ١٥

ص ٥٤ - وابن ماجه مناسك باب الخطبه يوم النحر ج ٢ ص ١٠١٦ -

وأخرجه احمد بن حنبل ج ١ ص ٢٥٧ ، ج ٢ ص ٤٠٨ .

مضار البدع الدنيوية :-

١ - يخشى عيه الفتنة :

قال الله تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١) وهذه الفتنة هي شان اهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم فانهم يرون ان ذكره الله في كتابه ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم دون ما اهتمدوا اليه بعقولهم . (٢)

٢ - يلقي عليه الذل في الدنيا والغضب من الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ) (٣) فيدخل في العموم البدع من حيث انها افتراء على الله . (٤)

٣ - ان البدع مظنة القاء العداوة والبغضاء بين اهل الاسلام فلانها تقتضى التفرق شيعا . (٥)

قال تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) (٦) جاء تفسير الذين اختلفوا بانهم اهل الاهواء (٧) فكان الابتداع سببا لافتراقهم واختلافهم وكفرهم وردتهم .

وقال تعالى : (وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٨) .

(١) سورة النور آية : ٦٣ .

(٢) الاعتصام ج ١ ص ١٣٢ .

(٣) سورة الاعراف آية : ١٥٢ .

(٤) الاعتصام ص ٥٩ ج ١ .

(٥) الاعتصام ص ٥٩ ج ١ .

(٦) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

(٧) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ .

(٨) سورة الانعام آية : ١٥٣ .

فالسبل هي سبل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم اهل البدع
واهل السنة مأمورون بعداوة اهل البدع والتشريد بهم (١)
ضوابط النهى عن البدع :-

ولمضار البدع الدينية والدنيوية وما لها من الاثر السئ على
الاسلام والمسلمين فقد ورد النهى عن البدعة والتحذير منها فى كتاب
الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة
والتابعين مما يكون ضابطا للتحذير من الابتداع فى الدين او معصية
الرسول صلى الله عليه وسلم .
الضابط الاول : النهى عن البدعة فى القرآن :-

١- قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا
أُولَؤُا الْأَلْبَابِ) (٢)

قال ابن كثير : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) أى ضلال وخروج عن
الحق الى الباطل (فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ) أى انما يأخذون منه
بالمتشابه الذى يمكنهم ان يحرفوه الى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه
عليها لاحتمال لفظه . ابتغاء الفتنة) أى الاضلال لاتباعهم ايها
لاتباعهم انهم يحتجون على بدعتهم وهو حجة عليهم لا لهم . (٣)
وهذا لانه جعل علامة الزيغ الجدل فى القرآن وهذا الجدل مفيد
باتباع المتشابه (٤) .

(١) الاعتصام ج ١ ص ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ص ٣٤٥ ج ١

(٤) الاعتصام ج ١ ص ٥٩

فهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعه (١) وفى هذا التشديد عظيم وضابط لسلوك المؤمن من اتباع طريق الزيغ والضلal .

٢ - وقال تعالى فى تعظيمهم النهى عن البدع والمبتدعه: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢) .

قال جمهور المفسرين الذين تفرقوا واختلّفوا هم اليهود والنصارى

وقال بعضهم هم المبتدعه من هذه الأمة . (٣)
٣ - وقال تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) (٤)
قال ابن كثير: (يعنى يوم القيامة حين تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة) (٥) .

فمن بدل أو غير أو ابتدع فى دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتعددين منه المسودة وجوهم واشدهم طردا وابعدا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كجماعة اهل الزيغ والاهواء والبدع . (٦) لهذا الوعيد الشديد فى الآية والحديث سواء كان للمبتدعه أو من جاراها فهو ضابط يقتبىب المسلم الى رشده اذ شعر بعظم الذنب الذى استحق عليه ان يسود وجهه وان يطرد عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٧)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٤ ص ١٣

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن مرجع سابق ص ١٦٦ ج ٤ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٦

(٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ١٦٨ ج ٤ .

(٧) سورة الانعام آية : ١٥٣ .

فالمصراط المستقيم هو سبيل الله الذى دعا اليه وهو السنة (١)
وانما وحد سبيله لأن الحق واحدا ولهذا جمع السبل لتفرقها
وتشعبها . فالهرب الهرب والنجاة والنجاه والتمسك بالطريق
المستقيم والسنن القويمة الذى سلكه السلف الصالح ففيه المتجر
الرايح (٢)

٤ - وقال تعالى : (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (٣) (السبيل الاسلام اى على الله بيانه بالرسول
والحجج والبراهين . وقصد السبيل استقامة الطريق .
ومنها جائر اى واكثر السبيل جائر اى عادل عن الحق فلا يهتدى به
والمعنى ومنهم جائر عن سبيل الحق اى عادل عنه فلا يهتدى اليه وفيه
قولان :

احدهما : انهم اهل الاهواء المختلفة قال ابن عباس

الثانى : ملل الكفر من اليهودية والمجوسية والنصرانية (٤)
(فالسياق فى الآية يدل على التحذير فكفى بالجائر ان يحذر منه
اعاذنا الله من سلوكها بفضله) (٥)

واخبر تعالى ان ثم طرقا تسلك اليه فليس يصل اليه منها الا
طريق الحق وهى الطريق التى شرعها ورضيها وما عداها مسدودة
والاعمال فيها مردودة . (٦)

لذا كان العمل الغير مشروع مردود ولا يقبل من صاحبه البتة لانه
ابتداع على دين الله وهذا مالا يرضاه الله بل يرده على فاعله
خسرانا وضللا .

(١) تفسير ابن كثير ص ١٩١ ج ٤ .

(٢) تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٨ .

(٣) سورة النحل آية : ٩ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ص ٨١ ج ١٠ .

(٥) الاعتصام ص ٥٩ ج ١ .

(٦) ابن كثير ص ٥٦٣ ج ٢ .

٥ - وقال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (١)

الآية عامة فى كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فان الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه كاهل الملل والنحل والاهواء والضلالات فان الله تعالى قد برا رسوله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه . (٢)

وذهب الى ذلك القرطبى فقال والآية عامة فى جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر الله عزوجل به فقد فرق دينه . (٣) وفى الآية دليل على ان البدع سبب للتفرق والتخاصم والجدال مما يضعف المجتمع المسلم ويؤدى به الى الهاوية وضياع الاصول من الدين لذا حرم الاسلام البدع فى الدين ونبه تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الى براءته من اهل الاهواء والفرق المبتدعه .

٦ - وقال الله تعالى : (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) (٤)

٧ - وقال الله تعالى : (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) (٥) .

ونتيجة لهذا الانحرافات عن منهج الله والاعتماد على اهواء البشر ونزواتهم وشهواتهم وجهالتهم وضعفهم وقصورهم وتصريف الحياة وفق

(١) سورة الانعام آية : ١٥٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ص ١٩٦ ج ٢ .

(٣) القرطبى ص ١٥٠ ج ٧ .

(٤) سورة الروم آية : ٣١ - ٣٢ .

(٥) سورة الانعام آية : ٦٥ .

تلك الأهواء والنزوات تخبط الناس فى وضع انظمة للحياة وشرائع وقوانين من عند انفسهم وذاق بعضهم بأس بعض وحقد بعضهم على بعض لانهم لا يفيئون جميعا الى ميزان واحد يضعه لهم المعبود الذى يعنوا له كل العبيد (١)

فالدافع للابتداع اتباع الشهوات والأهواء والنزوات فجعل الله عز وجل للمتبعين لهذه الأهواء وعيدا شديدا يكون ضابطا لهم من الاندفاع وراء البدع والمبتدعين .
الضابط الثانى :

وفى السنة ايضا ورد النهى عن البدع والتشديد على المبتدعين:
الحديث الأول :-

١ - عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) (٢) . فقله له ما ليس منه أى مما ينافيه ولا يشهد له شىء من قواعد وأدلتة العامة (٣)

وهذا الحديث عده العلماء ثلث الاسلام انه جمع وجوه المخالفة لأمره عليه السلام ويستوى فى ذلك ما كان بدعه أو معصية . (٤)
وفى الحديث بيان أن كل شىء نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم فانه منقوص مردود (فهو رد) يوجب ظاهره افساده وابطاله الا أن يقوم الدليل على أن المراد به غير الظاهر . (٥)

(١) الضلال ص ١١٢٥ مرجع سابق .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٧

(٣) فتح المبين ص : ١٠٦ .

(٤) الاعتصام ص ٦٨ ج ١

(٥) معالم السنن للخطابى ص ١٢ ج ٥ .

فهذا الحديث مما ينبغي حفظه واشهره فى ابطال المنكرات
واشاعة الاستدلال به لذلك . (١)

فان كان الدافع للابتداع هو التقرب الى الله عزوجل فلذا نجده
يبتدع بالدين زاعما انه يتقرب الى الله عزوجل فان عمله مردود
عليه غير مقبول منه على الاطلاق .

الحديث الثانى :-

ورد التحذير من البدع على لسانه صلى الله عليه وسلم فى حديث
العرباض بن باريه فقال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً ذرقت منها العيون
ووجلت منها القلوب قلنا : يا رسول الله كان هذه موعظةً مودعةً فماذا
تعهد إلينا ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وأن عبداً
حبشياً فإنه من يعيشر منكم بعدى فسيرى اختلافاً فعليكم بسنتى وسنة
ال خلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز
وأيامكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) (٢)

فهذا الحديث فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ تشمل :

١- تقوى الله عزوجل اذ انها سبب النجاة من كل سوء وفى التقوى
افردت فصلا كاملا .

٢- عدم التفرق والخروج على الحاكم لئلا يؤدي ذلك الى الفتنة فى
الدين وانتشار الفتن بين طوائف المسلمين .

٣- التمسك بسنته صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين وعدم
الخروج عنها .

٤- عدم اتباع المحدثات وما ابتدع فى الدين لانه يؤدي الى الفتن

(١) نزله المتقين ص ٤٣٨ وانظر فتح المبين ص ١٠٩ مرجع سابق .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

والخروج على الاسلام والمسلمين ولذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث (كل محدثة بدعة) (١) .

قال الخطابى : (خاص فى بعض الامور دون بعض وكل شىء احدث على غير اصل من اصول الدين وعلى غير عياره وقياسه فهو البدعة والضلال) (٢)

فهذا الحديث بمنطوقه يدل على ان كل عمل ليس عليه امر الشرع فهو مردود ويدل بمفهومه على ان كل عمل عليه امره فهو غير مردود والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه - فإى عمل خارج عن الشرع ليس متقيدا بالشرع فهو مردود .

فينبغي ان تكون اعمال العاملين كلهم ينبغي ان تكون تحت احكام الشريعة فتكون احكام الشريعة موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود .

واما من عمل عملا اصله مشروع وقربه ثم ادخل فيه ما ليس بمشروع فهذا ايضا مخالفا للشريعة بقدر اخلاله بما اخل به او ادخله ما ادخل فيه) (٣)

ولقد كان ائمة الاسلام الاولون حريصين على تتبع البدع ومصادرتها ولنا بهم اسوة حسنة اذ الواجب تتبع البدع فى الاعتقاد خاصة وفى العبادات ومحاولة ازالتها بجميع الوسائل الممكنة وقد تعرضت الى ذلك فى فصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

(٢) سنن ابى داود ص ١٤ ج ٥ بشرح الخطابى مرجع سابق .

(٣) ص ١٤٤ جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع

الحديث الثالث :-

عن عبد الله بن عمر (١) يقول سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إِنْ اللَّهَ لَا يَنْزَعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ إِنْ تَزَاعَا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ يَعْلَمُهُمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يَسْتَفْتُونَ فَيُفْتَوْنَ فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ) (٢)

قال النووي : (ومعنى الحديث انه يموت حملة العلم ويتخذ الناس جهالا يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون) (٣)

وعلى هذا فمن اسباب البدع انتشار الجهل وقلة العلم فاذا رفع العلم افتى الناس بغير العلم فكانوا سببا لضلal الناس وانتشار الجهل ومن الحديث يظهر لنا مكانة العلم والعلماء وعلو منزلتهم وفضلهم كما قال الله تعالى : (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) . (٤)

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه احد من هاجر هو وابوه قبل الفتح وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضلهم عن ولده وكان صواما قواما كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا توفى بمصر سنة خمس وستين تذكره الحفاظ ج ١ ص ٤١ - ٤٢ - وانظر ايضا تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٣٧ .

(٢) اخرجه البخارى واللفظ له كتاب الاعتصام باب ما يذكر فى ذم الراى ج ٩ ص ١٢٢ وكتاب العلم كيف يقبض العلم ج ١ ص ٣٦ - واخرجه مسلم كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان ج ١٦ ص ٢٢٣ - واخرجه الترمذى كتاب العلم باب ما جاء فى ذهاب العلم ج ٥ ص ٣١ حديث ٢٦٥٢ - واخرجه ابن ماجه مقدمه اجتناب الراى والقياس ج ١ ص ٣١ واخرجه احمد ج ٢ ص ١٦٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٢٢٤ .

(٤) سورة المجادلة آية : ١١ .

الحديث الرابع :-

عن أبى سعيد الخدرى قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة (١) التميمى فقال اعدل يا رسول الله فقال : (وَيَلَّكَ وَمَنْ يَعْدِلْ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرَبُ عَنْقَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْتَقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَمْزُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْزُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ) (٢) ثم ساق الحديث بتمامه .

الحديث الخامس :-

وعن أبى سلمه وعطاء بن يسار انهما اتيا ابا سعيد الخدرى فسألاه عن الحرورية (٣) هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها قال لا أدري من الحرورية ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة (وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ فَيَقْرُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ أَوْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْزُقُونَ مِنَ الدِّينِ مَرْوَقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ (٤) إِلَى رِصَافِهِ (٥))

(١) ذو الخويصرة التميمى : هو اول خارجى خرج فى الاسلام - وافته انه رضى برىء نفسه ولو وقف لعلم انه لا رأى فوق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه هم الذين قاتلوا على بن أبى طالب كرم الله وجهه . تلبيس ابليس ص ٩٠ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٣٢ .

(٣) الحرورية : طائفة من الخوارج نسبوا الى حروراء موضع بقرب الكرمه النهاية لابن الاثير ج١ ص ٣٣٦ - ج ٧ ص ١٦٤ شرح النووى على صحيح مسلم

(٤) النصل : هو حديدة السهم .

(٥) الرصافى : مدخل النصل من السهم

صحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ١٦٥ ..

فَيَتَمَارَى فِي الْفُرْقَةِ هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ (١) .

نقل النووى قول المازرى فى قوله يخرج فى هذه الامة ولم يقل منها .

هذا دليل ان لفظة (من) تقتضى كونهم من الامة لا كفار .

وقال النووى والصحيح عدم تكفيرهم (٢)

وعلى هذا فمعنى الحديث انه فى اهل البدع فما تجاوزا فيه ما

شرع لهم من عبادات كان بدعا وان اجتهدوا فيه واجهدوا انفسهم فى

كثرة الصلاة والقراءة فانه غير مقبول منهم فقال صلى الله عليه

وسلم فى الحديث : (فيقرؤن القرآن لا يجاوز طوقهم او حناجرهم) .

١ - ان المراد لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلوا منه ولا لهم حظ

سوى تلاوة الفم والحنجرة والحق) . (٣)

٢ - وقيل لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل منهم . (٤)

الحديث السادس :-

عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال " تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ

وَتَفَرَّقَتِ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً " (٥)

(والفرق فيها عند اكثر اهل العلم فرق اهل البدع) (٦)

(١) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفه ومن يخاف على

إيمانه ج ٧ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ج ٦ ص ١٦٤ .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ج ٧ ص ١٥٩ .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووى ج ٨ ص ١٥٩ .

(٥) أخرجه الترمذى فى كتاب الايمات حديث ٢٦٤٠ باب افتراق هذه الامة

وقال حديث حسن صحيح ج ٥ ص ٢٥ وأخرجه ابن ماجه فى الفتن حديث

٣٩٩١ افتراق الامة ج ٢ ص ١٣٢١ وأخرجه ابو داود باب شرح السنة

كتاب السنة حديث ٤٥٩٦ ج ٤ ص ١٩٧ .

(٦) الاعتصام ج ١ ص ٦٣ .

وهذه الفرق كلها غير خارجه عن الدين (١)

الحديث السابع :-

عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ وَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى
مُحَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا) (٢)

هذا الحديث فى سياق العموم فيشمل كل حدث أحدث فيها مما ينافى
الشرع والبدع من اقبح الحدث وان كان مختصا بالمدينة فغيرها ايضا
يدخل فى المعنى (٣)

الحديث الثامن :-

عن عبد الله قال (٤): (أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهُدَى هُدَى
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَإِنْ كُلُّ مَا تَوَعَّدُونَ لِأَثَرِ
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) (٥)
الحديث التاسع :-

من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ
دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ
أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ

(١) شرح الخطابى على سنن ابو داود ج ٥ ص ٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٢٨ .

(٣) الاعتصام ج ١ ص ٧٢ .

(٤) عبد الله هو ابن مسعود ج ١٠ ص ٥١١ فتح البارى ج ١٣ ص ٢٥٣ .

(٥) اخرجه البخارى كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقوله تعالى : (وجعلنا للمتقين اماما) ج ٩

يَتَّبِعُهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا (١)

فهذه الأحاديث فيض من غيض من الأحاديث التي تنهى عن البدع وتحارب أصحابها مما تنفر منه نفس المؤمن التقى اذ يشمل هذا التنفير على ما يلى :-

- ١ - رد كل ما أحدث فى الدين .
 - ٢ - وصف العمل الخارج عن الشرع بأنه ضلالة .
 - ٣ - ان انتشار البدع دلالة للجهل بالعلم والدين .
 - ٤ - ان اجتهد المبتدع وبالفى العبادة بما هو ليس من المشروع فعمله مردود عليه وعلى صاحبه فلا يقبل منه شىء ابدا .
 - ٥ - ان الخير يتعدى كما ان الشر يتعدى فمن دعا الى ضلالة وبدعه ناله عذاب الله وكذلك كل من عمل بعده بهذه الضلالة لصاحبها الاول كفلا من العذاب لانه هو مبتدعها والداعى لها .
- وقد وردت النقول عن السلف الصالح فى النهى عن البدع ومصادرتها وتتبعها ولنا بهم الاسوة الحسنة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي) (٢)

فهذا الحديث فيه الحث على التأسى بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكون لنا دافعا لنقل اقوالهم والتي تحث على عدم الابتداع بالدين وتنهى عن البدع فى الاقوال او الافعال .

- (١) اخرجه مسلم كتاب العلم باب من سن سنة حسنة او سيئة ج ١٦ ص ٢٢٧ - واخرجه ابو داود كتاب السنة باب لزوم السنة ج ٤ ص ٢٠١ حديث رقم ٤٦٠٩ - واخرجه الترمذى كتاب العلم باب ما جاء فيمن دعا الى هدى فاتبع او الى ضلالة حديث رقم ٢٦٧٤ ج ٥ ص ٤٣ - واخرجه ابن ماجه مقدمه باب من سن سنة حسنة او سيئة حديث ٢٠٦ ج ١ ص ٧٥ .

- (٢) سبق تخريجه وكتابته كاملا ص ٢٤٠ .

الضابط الثالث : النهى عن البدع فى اقوال الصحابة والتابعين :-

١ - وفى الصحيح عن حذيفة رضى الله عنه قال (يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا فَلِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) (١) هذا وان كان الخطاب للقراء خاصة الا انه يدخل فى العموم جميع انواع العبادات سواء كانت قراء او صلاة او غيرها مما يتقرب به الى الله .

٢ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

١ - (اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)

ب - وعن ابي بكر الصديق رضى الله عنه قال : (لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَ أَنْ أَرْيَغُ) (٢)

هذا ابو بكر يخشى على نفسه الوقوع بالضلالة والزيغ عن طريق الحق . ومن آثار التابعين فى النهى عن البدع :

٤ - نقل ابن وضاح عن الحسن قال صاحب البدعة لا يزداد اجتهادا صياما وصلاة الا ازداد من الله بعدا .

٥ - وعن الفضيل بن عياض (٣) اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين واياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين . (٤)

(١) أخرجه البخارى كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنتى الرسول صلى الله عليه وسلم ج ٩ ص ١١٥ .

(٢) الاعتصام ص ٨٠ ج ١ .

(٣) الفضل بن عياض : الامام القدوة شيخ الاسلام ابو على التميمى شيخ الحرم قال ابن المبارك ما بقى على ظهر الارض افضل من الفضيل وكان ثقة نبيل فاضلا عابدا كثيرا الحديث قال النسائى ثقة وقال عبد الصمد بن مردويه سمعت الفضيل يقول من جلس مع صاحب بدعه لم يعط الحكمة . وتوفى يوم عاشوراء سنة سبع وثمانين ومائة ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ - تذكرة الحفاظ للذهبي .

(٤) الاعتصام ج ١ ص ٩٩ الطبقات لابن سعد ج ٥ ص ٥٠٠

٦ - وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان يكتب فى كتبه : (انى احذركم ما مالت اليه الاهواء والزيغ البعيدة) .

٧ - وكان ابراهيم التميمي يقول : (اللهم اعصمنى بدينك وسنة نبيك من الاختلاق فى الحق ومن اتباع الهوى ومن سبيل الضلالة ومن شبهات الامور . ومن الزيغ والخصومات) (١)

بهذا كله نهى عن البدع واتباعها وبيان سوء منقلب صاحبها لانه اتبع الهوى واتباع الهوى مذموم (وهو المبنى على غير اساس والمستند الى غير اصل من كتاب ولا سنة ولكنه وجه تشريعى فصار نوعا من الابتداع بل هو الجنس منها فان جميع البدع انما هى راي على غير اصل ولذلك وصف بوصف الضلال (٢) .

فالراى المذموم ما بنى على الجهل واتباع الهوى من غير ان يرجع اليه وما كان معه ذريعه اليه وان كان فى اصله محمودا وذلك راجع الى اصل شرعى فالقول داخل تحت حد البدعة وتتنزل عليه ادلة الذم . الثانى خارج عنه ولا يكون بدعة ابدا . (٣)

الضابط الرابع :- العقل

والعقل السليم يرفض الابتداع لانه يعلم انه قاصر عن مواجهة الحق (فالقول لا تستقل بادراك مصالحها دون الوحي فالابتداع مضاد لهذا الاصل لانه ليس له مستند شرعى بالفرض فلا يبقى الا ما ادعوه من العقل فالمبتدع ليس على ثقة من بدعته ان ينال بسبب العمل بها ما دام تحصيله من جهتها فصارت كالعبث) (٤)

ثم ان المبتدع محمول قوله بلسانه حالة او مقالة ان الشريعة لم تتم وانه بقى منها اشياء يجب او يستحب استدراكها لانه لو كان

(١) الاعتصام ج ١ ص ٩٩

(٢) الاعتصام ج ١ ص ١٠٦ بتصرف .

(٣) الاعتصام ج ١ ص ١٠٦ .

(٤) الاعتصام ج ١ ص ٤٧ .

معتقد لكمالها وتامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم والعقل لا يمكن أن يصل الى درجة التشريع فالمصالح الآخروية لا يستطيع العقل أن يشعر بها على الجملة فضلا عن العلم بها على التفصيل .

وأما المصالح الدنيوية فلا يستقل باستدراكها على التفصيل البتة لا في ابتداء وضعها أولا ولا في استدراك ما عسى أن يعرض في طريقها أما في السوابق وأما في اللواحق لأن وضعها أولا لم يكن الا بتعليم الله تعالى . (١)

والعقل لا يتنافى مع الحق فمقياس الأمور العقل المتجرد عن الهوى . ولكن قد يكون مؤثرات خارجية تغير تفكير العقل او مؤثرات داخلية كالعقيدة لها دور عظيم في التغيير . ثم ان العقل السليم يزن الأمور الحاضرة وليست المستقبلية لقصور علمه ونشير الى الملائكة المقربون اذ قالوا (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . قَالَ إِنَّا أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢)

مما يدل على عدم ادراك العقل الملائكى او البشرى للأمور المستقبلية والتي تكون في علم الغيب .

(والمبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهى للشرع حيث شرع مع الشارع وفتح بابا للاختلاف) (٣) بين المسلمين مما يكون سببا للفتن بينهم وضياع دينهم .

(ان المبتدع معاند للشرع ومشاق له لأن الشارع قد عين المطالب للعبد طرقا خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالامر والنهى والوعد والوعيد واخبر أن الخير فيها وأن الشر في تحديدها الى غير ذلك) (٤)

فقد شرع لنا ووضع لنا الدوافع للالتزام بمنهج الله عزوجل ومن الرضى والقبول والقرب من الله ونيل الجنة وما فيها وجعل الضوابط

(١) الاعتصام بتصرف ج ١ ص ٤٧ . وانظر ايضا ليس من الاسلام ص ١٥١

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(٣) الاعتصام ص ٥١ ج ١ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٤٩ .

من النهى والوعد والوعيد والاختبار عن النار وما فيها من شديد العذاب
فلا ابتداء اتباع للهوى لأن العقل اذ لم يكن متبعاً للشرع لم

يبقى له الا الهوى والشهوة واتباع الهوى ضلال مبين (١)
قال تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) (٢)
دوافع الابتداء :-

الدافع الاول : المضاهاة للسنة :

(ثم ان صاحب البدعة انما يخترعها ليضاهى بها السنة حتى يكون
ملبساً بها على الغير او تكون هى مما تلبس عليه السنة) (٣)
فاذن نستطيع القول ان العمل اذا كان الدافع له هو مضاهاة
الشرعية فهو محرم وهو عين الابتداء فى الدين والعياذ بالله .
الدافع الثانى : حب الظهور

ومن الدوافع للابتداء حب الظهور فان ابتدع بدعه واظهرها
للناس اغتر بكثرة السالكين لها والهالكين فى اتباعه طريقها كما
اشار الى ذلك الفضيل بن عياض . (٤)
الدافع الثالث : حب التجديد :

(فقد تملق وتسام من الدوام على العبادات الرتيبة فاذا جدد
لها امر لا تعهده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها من البقاء على الامر
الاول) (٥)

ومن المعلوم ان النفس تسام وتميل الى كل جديد لذا لقت البدع
انتشاراً فى كثير من المجتمعات الاسلامية .

(١) الاعتصام ج ١ ص ٥١ .

(٢) سورة القصص آية : ٥٠ .

(٣) الاعتصام ج ١ ص ٤١ وانظر ص ١٧ تلبيس ابليس .

(٤) انظر ص ٢٥٣ .

(٥) الاعتصام ص ٤١ ج ١ .

الدافع الرابع : ويشمل هذا الدافع ثلاثة اسباب للابتداع :-

- ١ - الجهل بمصادر الأحكام أو الجهل بوسائل فهمها من تلك المصادر .
- ٢ - متابعة الهوى فى استنباط الأحكام .
- ٣ - حسن الظن بالعقل فى الشرعيات .
- (١) فالجهل بمصادر الاحكام الشرعية يشمل :

الكتاب - والسنة وما الحق بها من الاجماع والقياس .
ومصادر الخلل الناشئة عن السبب الاول بشقيه فهى ترجع الى امور
اربعة :

- ١ - الجهل بأساليب اللغة العربية .
- ٢ - الجهل بالسنة .
- ٣ - الجهل بمرتبة القياس .
- ٤ - الجهل بمحل القياس (١)

فالدافع للابتداع هو مطلق الجهل وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم عن عمر بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا) (٢)

فهذا الحديث فى مطلق الجهل ايا كان سببه سوء الجهل بالكتاب
او السنة او ما يلحق بهما .

(٢) هو متابعة الهوى فى استنباط الأحكام ومتابعة الهوى هى اصل
الزيغ عن صراط الله المستقيم (٣) قال تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ
هُوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) (٤) وقد ورد فى الحديث الصحيح ذم تابع

(١) ليس من الاسلام ص ١٤٨ مرجع سابق

(٢) سبق تخريجه واللفظ لمسلم . ص ٢٤٧ .

(٣) ليس من الاسلام ص ١٥١ بتصرف .

(٤) سورة القصص آية : ٥٠ .

الهوى فقال صلى الله عليه وسلم • لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ
تَبَعًا لِمَا جِثَّتْ بِهِ (١)

ففى هذا الحديث نفى صفة الايمان عن جعل الهوى هو المتبع وترك
الاتباع المحض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون الدافع
لاتباع الأهواء هو نيل المال والتقرب الى اولى الجاه والسلطان .
وقد ذم الله عزوجل من كان هذا هدفه فقال تعالى : (وَلَا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٢)

٣ - تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات فان الله جعل للعقول حد تنتهى
فى الادراك اليه ولم يجعل لها سبيلا الى ادراك كل شىء ومن
الاشياء ما لا يصل العقل اليه بحال من الأحوال . وهى مع هذا
القصور الذاتى لا تكاد تتفق فى فهم الحقائق التى جعل لها
امكان ادراكها فان قوى الادراك ووسائله تختلف اختلافا كثيرا
ولهذا كان لا بد من ارسال الرسل المؤيدين من الله العليم (٣) .

فاذن يمكن ان نقول ان الدوافع للابتداع تكمن فى ثلاثة اسباب وهى
مطلق الجهل واتباع الهوى وتحسين الظن بالعقل وعلى هذا فيمكن ان
نعالج هذه الاسباب الثلاثة بنشر العلم كضابط للحد من الجهل .
وبالتالى فالعلم يبين للمسلم الضرر من اتباع الهوى والنهى عن
اتباعه وذم الكتاب والسنة للهوى ومتبعه وايضا يمكن بالعلم تحديد
قيمة العقل والدرجة التى يصل اليها فلا يرفع من قيمة العقل فوق ما
هو اهل له وهكذا يمكن ان يكون العلم ضابطا لمحاربة البدع والقضاء
عليها .

(١) رواه ابى حجر الهيثمى وقال حديث صحيح رويناه فى كتاب الحجة -

وقال أخرجه الحافظ ابو نعيم فى كتابه الأربعين والطبرانى فى

مسنده فتح المبين لابن حجر الهيثمى ص ٢٧٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٤١ - ٤٢ .

(٣) ليس من الاسلام ص ١٥١

ذم جميع البدع :

وعلى هذا يتعين ذم جميع البدع فقد ذهب كثير من محققى العلماء الى ان كل بدعة فى الدين صغيرة كانت او كبيرة فهي محرمة (١) وذلك للأسباب التالية :-

اولا : ان جميع الأدلة التى وردت فى البدع هى فى ذمها جميعا فلم يقع فيها استثناء البتة .

ثانيا : انه ثبت فى الأصول العلمية ان كل قاعدة كلية او دليل شرعى كلى اذا تكرر فى مواقع كثيرة ولم يقتصر بها تقيد ولا تخصيص

فان هذا دليل على بقائها على مقتضى لفظها العام (٢) فقولہ صلى الله عليه وسلم : (إِنْ كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (وَلِإِنْ كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ) وما كان نحو ذلك من العبارات الدالة على ان البدع مذمومة ولم يرد حديث يقيد ولا يخص قول ذلك فدل دلالة واضحة على انها على عمومها واطلاقها .

ثالثا : اجمع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن عليهم على ذم البدع وتقبيحها والهروب عنها وعن اتسم بشئ منها .

رابعا : ان كل راسخ لا يبتدع ابدا وانما الابتداع ممن لم يتمكن من

العلم الذى ابتدع فيه حسبما دل عليه (٣) قوله صلى الله عليه وسلم (إِنْ أَلَّهَ لَا يَنْزِعَ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ) انْبِتَازًا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يَسْتَفْتُونَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيُضَلُّونَ (٤)

(١) الاعتصام ص ١٤٤ ج ١ مرجع سابق .

(٢) الاعتصام ج ١ ص ١٤٠ - وانظر ايضا الفتاوى ج ١٠ ص ٣٧٠ . مرجع سابق .

(٣) الفتاوى ج ١٠ ص ٣٧٠ . والاعتصام ج ١ ص ١٤٠ بتصرف .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٤٢ .

كيف نعالج البدعة :-

البدعة جرثومة المجتمع الاسلامى ولا بد من محاربتها والبحث عن العلاج الفعال للقضاء على البدع ومبتدعيها ويمكن ان نعالج البدع بعدة وسائل تكون ضابطا للفرد من الداخل ومن الخارج عن الابتداء فى الدين .

(١) فانتشار العلم وتعليم الجهلة ينير عقول اولئك المبتدعه ويكون رادعا لهم عن السير وراء اهوائهم وشهواتهم .

(٢) ويمكن ايضا ان نحارب البدع بواسطة غرس العقيدة فى النفوس وتقوية الايمان بالله مما يهون امامه وفى اتجاهه كل ملاذ الدنيا وزينتها والتى كانت سببا لانتشار البدع . فالتقوى ضابط لسلوك الفرد فى خلوته وهى التى تمنعه من ارتكاب المحرمات .

(٣) ويمكن ايضا ان نحارب البدع بواسطة محاربة مبتدعيها :

١- الهجران وترك الكلام والسلام وترك عيادة مرضاهم وهو من باب الزجر والعقوبة . ويمكن ان يكون معه الضرب والسجن كما سجن الحلاج قبل قتله سنين عديده والهجر او التقريب والسجن كلها ضوابط تمنع الفرد من الانطلاق وراء الشهوات والاهواء .

قصة الحلاج :-

عن محمد بن يحيى الرازى قال سمعت عمر بن عثمان يلعن الحلاج ويقول لو قدرت عليه لقتلته فقلت بئى شيء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عزوجل فقال يمكننى ان اقول واؤلف مثله واتكلم به .

قال المصنف اتفق علماء العصر على اباحة دم الحلاج فاول من قال انه حلال الدم ابو عمر القاضى ووافقه العلماء . (١)

(١) تلبيس ابليس / للحافظ جمال الدين ابى الفرج عبد الرحمن ابن

الجوزى ص ١٧١ - ١٧٢ .

ب - ذكرهم بما هم عليه واشاعه بدعتهم كي يحذروا ولثلايغتر
بكلامهم كما جاء عن كثير من السلف فى ذلك .

ج - القتال اذا ناصبوا المسلمين وخرجوا عليهم كما قاتل
على رضى الله عنه الخوارج وغيره من خلفاء المسلمين .
القتل لمن اظهر بدعته ولم يرجع عنها بعد استتابته .
واما من اسرها وكانت كفرا او ما يرجع اليه فالقتل بلا
استتابه لانها من باب النفاق كالزنادقة .

ء - تجريحهم على الجملة فلا تقبل شهادتهم ولا روايتهم ولا
ينصبون فى مناصب العدالة من امامة او خطابه (١)

هـ - التذكير لى يرجع المبتدع عن بدعته ومحاولة تذكيره
بدين الله والتقرب منه لقوله تعالى : (فَذَكِّرْ فَإِنَّ
الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (١) فبالذكرى تنقش تلك
الغمامة من الجهل والنسيان ليعود المؤمن الى ايمانه
ويرتدع عن بدعته : (فان البدع تستدرج بصغيرها الى
كبيرها حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة
من العجين فمفسد البدع لا يقف عليها الا ارباب
البصائر والعميان ظالون^{في} ظلمة العمر) (٢) (وَمَنْ لَّمْ
يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ) (٣)

٤ - ومن وسائل معالجة البدع الاقتداء بالصحابة والتابعين فى
محاربة البدعة والزجر عنها (قال الشيخ ابو الفرج رحمه الله
قد بينا ان القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وان لم يكن بها
بأس لثلا يحدثوا ما لم يكن) (٤)

(١) الاعتصام ص ١٦٧ ح ١ مرجع سابق بتصرف .

(١) سورة الذاريات آية ٥٥

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٤٥ مرجع سابق .

(٣) سورة النور آية : ٤٠

(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٦ مرجع سابق .

وانما وقعت البدع فى اواخر عهد الصحابة كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال (مَنْ يَعِشْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي) (١) ومعلوم انه اذا استقام ولاة الامور الذين يحكمون فى النفوس والاموال استقام عامة الناس كما قال ابو بكر الصديق (٢) فيما رواه البخارى فى صحيحه للمرأة الاحمسية (٣) لما سألته فقالت " مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الصَّالِحِ ؟ (قال مَا اسْتَقَامَتْ بِكُمْ اُثْمُكُمْ) (٤) **خطر البدعة :**

فيما سبق تبين لنا خطورة البدعة وخطورة انتشارها فى المجتمع الاسلامى وخطرها^{على} الفرد حتى قال العلماء ان انتشار البدعة احب الى ابليس من المعصية للأسباب التالية :

- ١ - لمناقضتها للدين .
- ٢ - ودفعها لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .
- ٣ - صاحبها لا يتوب منها ولا يرجع عنها بل يدعو الخلق اليها . (٥)
- ٤ - (بمعنى انه لا يتوب منها لانه يحسب انه على هدى ولو تاب لتاب عليه كما يتوب على الكافر) (٦) (فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى من الجهل بطرق السنة توهم ان ما ظهر له بعقله هو

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٠ .

(٢) الفتاوى ج ١٠ ص ٣٥٦

(٣) الاحمسيه : امرأة من احمس قبيلة من بجيلة اسمها زينب بنت

المهاجر نذرت ان تحج صامته فامرها ابو بكر بالكلام وسألها هذا

السؤال - فتح البارى ج ٧ ص ١٥٠ .

(٤) اخرجه البخارى كتاب مناقب الانصار باب ايام الجاهلين ج ٥ ص ٥٢

(٥) مدارج السالكين ص ٣٤٥ ج ١ مرجع سابق .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ج ١١ ص ٦٨٤ - ٦٨٥ .

الطريق القويم دون غيره فمضى عليه فحاد بسببه عن الطريق
المستقيم (١) .

- ٥ - ولتضمنها القول على الله بلا علم .
- ٦ - معاداة صريح السنة ومعاداة أهلها والاجتهاد على إطفاء نور السنة . وتولييه من عزله الله وعزل من ولاه الله ورسوله .
- ٧ - تكذيب الصادق وتصديق الكاذب .
- ٨ - قلب الحقائق يجعل الحق باطلا والباطل حقا والاحاد في دين الله وتعميه الحق على القلوب . وفتح باب تبديل الدين جملة . (٢)

هكذا ظهر لنا خطورة البدعة على المجتمع الاسلامي وكيف حارب
الاسلام البدع ونبيه الى خطرها وحذر منها ليكون توجيهه صلى الله
عليه وسلم لأمته وتنبيهه على البدع وخطر انتشارها ضابطا
للمجتمع بأسره من الوقوع في البدع .

(١) الاعتصام مرجع سابق ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٤٥ .

الفصل الخامس

مراقبة الله عز وجل

الفصل الخامس :-

مراقبة الله

ان المراقبة ضابط لسلوك الفرد فالفرد قد يشعر بالوحدة وانه لا رقيب عليه ولا حسيب وبالتالي ينطلق وراء شهواته ورغباته فينفذ ما يستطيع تنفيذه منها الا ان يكون لديه مؤثرات داخلية تحد من هذه الرغبة وهذه الانطلاقة فيعلم ان الله معه وانه محيط به ابد الدهر ولا يمكن ان ينفرد بنفسه كما قال الله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) (١) ولذا فقد جاء في الحديث الصحيح فقد روى البخارى فى صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : (كان النبی صلی الله علیه وسلم بارزاً يوماً للناس فاتاه جبريل فقال : ما الإيمان قال : الإيمان ان تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال : ما الإسلام قال : الإسلام ان تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال : ما الإحسان قال : ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ثم ساق الحديث بتمامه) (٢) قال النووى فى هذا الحديث : (هذا من جوامع الكلم التى اوتيتها صلى الله عليه وسلم وتلخيص معناه ان تعبد الله عبادة من يرى الله تعالى ويراه الله تعالى فانه لم يترك شيئا من الخضوع والاخلاص وحفظ القلب والجوارح ومراعاة الادب ما دام فى عبادته) (٣) وهذا الحديث يشتمل على :-

الايمان بالغيب كالايمان بالله وملائكته وبلقائه وبالبعث . وهذه امور غيبية تحتاج الى التصديق والايمان بالله عزوجل فاذا وقر بالقلب هذا الايمان وهذا التصديق كان ذلك للعمل بمقتضى ذلك التصديق وهو الاستسلام للحق جل وعلا واتباع اوامره التى جاء بها

(١) سورة الحديد آية : ٤ .

(٢) أخرجه البخارى كتاب الايمان - باب سؤال جبريل النبی صلی الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة ج ١ ص ١٩ - ٢٠ . وأخرجه مسلم كتاب الايمان باب امارات الساعة ج ١ ص ١٥٧ بشرح النووى .

رسله عليهم السلام . ولذا جاءت مرتبة السؤال عن الاسلام عقب مرتبة السؤال عن الايمان فاذا حصل الاستسلام لله عزوجل كان ذلك دافعا لاقامة الفرائض من صوم وصلاة وحج وزكاة وما يتبعها من نوافل ولكن هذه الفرائض وهذه النوافل والايمان بالله لا بد ان يكون عن اخلاص لله وحده يخلو من الرياء او السمعة او ارتكاب الذنب خلسه وخفيه . ولهذا شرط الايمان بالله ان يخلص العمل له وحده دون سواه وبالتالي لا يعصيه خفية ولا جهرة ويكون مراقبا لنفسه في الخفية ولذا كان السؤال عن الاحسان . فكان الجواب ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك هذا محض الاخلاص في العبادة لله عزوجل سرا وجهرا لانه لا يخفى عليه خافية في السماء ولا في الارض .

الاحسان في اللغة :

الاحسان ضد الاساءة ورجل محسن ومحسان .

وفسره النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل جبريل فقال : (هو ان تعبد الله كأنك تراه وهو تأويل قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (١) - واراد بالاحسان الاخلاص وهو شرط في صحة الايمان والاسلام معا .

وقد اراد بالاحسان الاشارة الى المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله احسن عمله ولذا اشار اليه في الحديث فان لم تكن تراه فانه يراك (٢)

الاحسان : مصدر حسن من الحسن وهو ضد القبح (٣) وهو مصدر احسنت كذا او في كذا اذا احسنته واكملته متعديا بهمزة من حسن كذا او بحرف الجر كاحسنت اليه اذا فعلت معه ما يحسن فعله والمراد هنا الاول .

(١) سورة النحل آية : ٩٠ . .

(٢) لسان العرب ج ١٣ ص ١١٧ .

(٣) عمدة القارئ ج ١ ص ٢٨٥ .

الاحسان فى الشرع :

(١) اذ حاصله راجع الى اتقان العبادات بآدائها على وجهها المأمور به مع رعاية حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمتة وجلاله ابتداء واستمرارا . (١)

(٢) الاحسان اسم جامع نبوى يجمع ابواب الحقائق وهو ان تعبد الله كأنك تراه (٢) .

(٣) وقيل هو اتقان العبادات بآدائها على وجهها المأمور به مع رعاية حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمتة وجلاله (٣) .

(٤) ومن تعريف الاحسان شرعا دل على أنه استحضار جلالة الله عزوجل فى كل خطوة وجهرة - لأن الاحسان هو ان يعبد المؤمن ربه فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر اليه فى حال عبادته (٤) .

وهذه حال المراقبة والاخلاص لله عزوجل فان هم بمعصية راقب الله فكان ذلك دافعا لانضباط سلوكه واقلاعه عن معصيته وان هم بطاعة راقب الله فكان ذلك دافعا الى تحسين العمل لله عزوجل وخلوصه من الرياء والشرك ليتوجه به الى الله وحده لا يرجو الا اياه عزوجل . " وهذا يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ويوجب النصح فى العبادة وبذل الجهد فى تحسينها واتمامها واكمالها . (٥)

(١) الفتح المبين لشرح الأربعين للعلامة احمد بن حجر الهيثمى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ وفى حاشية الشيخ حسن المدابغى ج ١ ص ٧٩ .

(٢) منازل السائرين - ص ٦٠ " مرجع سابق " .

(٣) الفتح المبين - ص ٧٩ - ج ١ مرجع سابق .

(٤) جامع العلوم والحكم فى شرع خمسين حديثا من جوامع الكلم ج ١ ص ٨٢

(٥) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٨٢ .

ولذا فقد ورد على لسانه صلى الله عليه وسلم تفسير الاحسان بقوله ان تعبد الله كأنك تراه .

" من عبد اطاع والتعبد التمسك والعبودية الخضوع والذل (كأنك تراه) هذا من جوامع الكلم لانه جمع مع وجازته بيان مراقبة العبد ربه فى تمام الخضوع وغيرها فى جميع الأحوال والاخلاص له فى جميع الاعمال والحث عليه " (١)

فعلمه صلى الله عليه وسلم ببواطن النفس الانسانية وخفاياها جعلته ينطق بالحق واليقين وهذا ظاهر ملموس فان الانسان اذا كان ناظرا الى ملك من ملوك الدنيا هو يقوم بعمله احسنه واتقنه وان غفل عنه لم يصل الى تلك الدرجة من الاتقان والعبادات احوج ما تكون الى الاخلاص لله عزوجل لتقبل لأن الله لا يقبل من العمل الا الخالص له دون سواه ولذا ففى الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى : (اَنَا اَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا شَرَكًا فَيُحِبُّهُ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشِرْكُهُ) (٢) وهذا ما كان الباعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول هذا الحديث حتى يكون سلوك الفرد وعمله ودوافع هذا العمل متجها بها لله خالصة لوجهه جل وعلا لتقبل منه ولذا فشرط قبول العمل الاخلاص لله عزوجل فبقوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كأنك تراه " فيه حث على اخلاص العمل لله :-

هذا الحديث يشمل على عدة ضوابط ودوافع :-

(١) ضابط فى المعاصى :

(فالمعاصى على جميع انواعها فان العبد مأمور بأن يعلم ان الله يراه) (٣) فاذا هم بمعصية ورجع عنها فالدافع هنا للامتناع عن

(١) الفتح المبين شرح الأربعين ج ١ ص ٨٩ مرجع سابق .

(٢) رواه مسلم كتاب الزهد باب تحريم الرياء ج ١٨ ص ١١٥ صحيح

مسلم بشرح النووى .

(٣) عمدة القارى ص ٢٨٥ - دار الفكر .

المعصية ايمانه بأن الله محيط به وهو معه اينما كان ومطلع عليه وبالتالي كان الدافع ضابطا لسلوك الفرد عن الوقوع بالمعاصي ودافعا له للجوء الى الله والاقلاع عن المعصية والاتجاه الى التوبة ولكن قد يقع الفرد في المعصية فاما للنسيان اولجهل بمعصية الله تعالى (٢) دافع الى الطاعات :

(فهي ان تعلم ان الله تعالى موجود وحق وتبرهن عنده انه يراه لا محاله (١) فالطاعات تحتاج الى الاخلاص وخلص العمل من الشرك والرياء ليتجه بعمله خالصا لله عزوجل . فالايمان بالله واستشعار مخافته دافع الى تحسين العبادة وتجميلها وتقديمها على احسن وجه فان من استحضر مراقبة الله له اخلص له العبادة واستحي ان يدخلها الخلل .

(٣) دافع الى النوافل :

(فاذا ايقن العبد معية الله عزوجل وعنده على اساس كانه يرى الله اكثر من هذه النوافل فكان هذا الايمان دافعا له لالتماس رضى الرب والتقرب اليه والبعد عن المنكرات والتقرب اليه بالطاعات .

(٤) دافع الى الايمان بعلم الغيب :

(فان العبد اذا فكر في امور الآخرة من موت وقبر وحشر وعرض وحساب وغير ذلك وعلم انه معروض على الله تعالى في ذلك العالم ومواطنه تهيأ لذلك العرض فيتزين للآخرة بزيينة اهل الآخرة ما استطاع (٢) فكان هذا الايمان دافعا للاستزادة من العمل الصالح

(١) عمدة القارى ص ٢٨٥ - دار الفكر .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٨ .

والتقرب من الله عزوجل وضابطا ايضا لسلوكه فلا يلتفت الى معصية وهو يعلم العاقبة فى الآخرة .

ويشير قوله صلى الله عليه وسلم (فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يُرَاكَ) الى انه ينبغى للعبد ان يكون حالة مع فرض عدم عيانه لربه تعالى كهو مع عيانه لانه تعالى مطلع عليه فى الحالىن اذ هو قائم على كل نفس بما كسب مشاهد لكل اءء من خلقه فى حركته وسكونه فكما انه لا يقدم على تقصير فى الحال الاول كءلك ينبغى له ان لا يقدم عليه فى الحال الثانى لما تقرر من استوائهما بالنسبة الى اءلاع الله وعلمه عليه . (١)

فان العبد اذ امر بمراقبة الله تعالى فى عبادته واستحضار قربه منه حتى كانه يراه شق عليه ذلك فيستعين عليه بايمانه بان الله مطلع عليه لا يخفى عليه شىء ليسهل عليه الانتقال الى ذلك المقام الاكمل . ومن ثم وصل الى درجة المراقبة .

ويمكن ان تكون العبادة على هذا الاساس " فان لم تكن تراه فان يراك " اي دافعا لمراقبة الله عزوجل .

فاذا ايقن العبد ان الله معه واستحضر سعة علم الله عزوجل . وان سره وجهره مستويان بالنسبة لعلمه عزوجل - (كان ذلك دافعا له لتصفية سره لمولاه واصلاح ذلك وتنقيته مما يكره الله تعالى ان يراه وينظر اليه فى قلوب اوليائه فيزيل الصفات المهلكات ويطهره منها ويتصف بالمحمودات حتى يجعل سره كالمرآة المجلوه . (٢)

وهذه التقنية ضابط لسلوك الفرد من حب الظهور والسمعة والرياء الذى يحبط العمل ودافع الى الاخلاص والخشية والخوف من الله .

تعريف المراقبة :

مراقبة فى اللغة :

رَقِبَ فى اسماء الله تعالى الرقيب وهو الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ والرقيب الحفيظ والترقب انتظار وقوع الشئ يرقبه وراقبه مراقبة ورقابا حرسه والرقيب الحارس . وراقب الله تعالى فى امره اى خافه . (١)

والرقيب من اسماء الله عزوجل والحافظ والمنتظر والحارس . ورقبه انتظره كارتقبه والشئ حرسه كراقبه مراقبة ورقابا وقد دل على ذلك قوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**) (٢) المراقبة فى الاصطلاح :

واصل المراقبة المراعاة ولذا قال تعالى : (**كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ**) (٣) اى كنت انت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم (٤) والمراقبة ثمرة علم العبد بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه ناظر اليه سامع لقوله وهو المطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفه عين والغافل عن هذا بمعزل عن الحق . (٥) وهذه المراقبة دافع الى حفظ سر العبد ولذا يقول صاحب المدارج : (فمن راقب الله فى سره حفظه الله فى حركاته فى سره وعلايته والمراقبة هى التعبد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير فمن عقل هذه الاسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة . (٦)

(١) لسان العرب لابن منظور - دار بيروت للطباعة ج ١ ص ٤٢٦ - ٤٢٧

(٢) سورة النساء آية : ١ .

(٣) سورة المائدة آية : ١١٧ .

(٤) فتح القدير ج ٤ ص ٩٤ .

(٥) مدارج السالكين ج ٢ ص ٦٧ .

(٦) المدارج ج ١ ص ٦٩ .

والله هو الرقيب وهو الرب الخالق الذى يعلم من خلق وهو
العليم الخبير الذى لا تخفى عليه خافية لا فى ظواهر الاعمال ولا فى
خفايا القلوب . (١)

ولذا فالله محصى عليكم اعمالكم فهو رقيب على اعمالكم يعلمها
ويعرفها . (٢)

فاذا ايقن العبد ان الله محصى لعمله رقيب عليه احسن عمله
وكان ذلك دافعا للايمان بمعيه الله وسمعه علمه وانه محيط بنا .
والمراقبة اذا اصبحت من خصال المؤمن فاصبح عليه من نفسه رقيب
حافظ لسلوكه فهى توقف ضمير المؤمن ليرتقى فى طلب رضى الرب عزوجل
فيصل الى ما يرضى الرب عزوجل حتى فى خلوته وسكناته وحركاته وقد
تفاوتت هذه المراقبة من شخص لآخر بحسب قوة ايمانه بالله عزوجل
وهى على ثلاث درجات :-

درجات المراقبة :

(١) مراقبة الحق تعالى فى السير اليه على الدوام (٣)

وذلك بامتلاء القلب من عظمة الله عزوجل بحيث يذهله ذلك عن
تعظيم غيره وعن الالتفات اليه فهو ينسى هذا التعظيم عند حضور
قلبه مع الله بل يستصحبه دائما فان الحضور مع الله يوجب انسا
ومحبه وكلما ازداد قربا من الله ازداد له تعظيما وذهولا عن
سواه وبعدا عن الخلق . (٤)

(١) الظلال ج ١ ص ٥٧٦ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١٥٣
المجلد ٣ . وانظر ايضا تفسير القرطبي ج ٥ ص ٧ - ٨ .

(٣) منازل السائرين للهوى ص ٢٥ .

(٤) شرحه ابن القيم فى كتابه مدارج السالكين ج ٢ ص ٦٩ .

(٢) مراقبة نظر الحق : (١)

وهذه المراقبة توجب صيانة الباطن والظاهر فصيانة الظاهر يحفظ الحركات الظاهرة - وصيانة الباطن بحفظ الخواطر والارادات والحركات الباطنة فيتجرد الباطن من كل شهوة واراده عارضت امره وكل اراده تعارض ارادته . (٢)

وهذه الدرجة دافع لضبط سلوك الفرد الظاهرة والباطنة . فيضبط سلوكه الظاهر وما يصدر عنه من اقوال وافعال مراعيًا معيه الله واحاطته به وانه معه اينما كان ولذا فكل قول يرقب فيه السميع العليم وكل عمل بجارحه يرقب فيه القوى القاهر فنراه وهو على هذه الحال من المراقبة لا ينطق الا باحسن الاقوال ولا يفعل الا احسن الاعمال ويتقرب الى الرب قولًا وفعلًا .

(٣) واعلى هذه الدرجات مراقبة مواقع رضى الرب ومساخطه فى كل حركه والبعد عما يسخطه الى ما يحبه والحب والبغض فى الله) (٣)
ثمرات المراقبة :

١ - مراقبة الله فى السر سبب لحفظها فى الظواهر . فمن راقب الله فى سره حفظه الله فى حركاته فى سره وعلائيته (٤)
وذلك بأن تكون هذه المراقبة فى الداخل دافعًا لضبط السلوك الظاهرة والباطنة بيقظة الضمير الحى الذى يرقب جميع افعال الانسان فيمنعه ان هم بمعصية ظاهرة او باطنة وبهذا ينجو من الوقوع فى المساخط ويلجأ الى الله عزوجل ويعمل بما يرضيه .

(١) منازل السائرين للهوى ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) مدارج السالكين ج ٢ ص ٧٠ .

(٣) المدارج ج ٢ ص ٦٧ مرجع سابق - بتصرف .

(٤) ، ، ، ، ص ٧٠ بتصرف وانظر ايضا الفتح المبين لشرح الأربعين

ومن ثمرات المراقبة :

٢ - انها باعث لانضباط السلوك والبعد به عن مواطن الريبه وفى هذا تحضرنى قصة يوسف عليه السلام مع امراة العزيز : قال الله تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ . وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (١)

كيف ضبطت المراقبة يوسف من الوقوع فى المعصية :

هكذا يبدو لنا النص القرآنى ان يوسف عليه السلام قال : (مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ) وهذا ضابط لابقاء النعمة التى هو بها فلا يجوز الاحسان بالاساءة ولا الاخلاص بالغدر والخيانة ولذا قال لامراة العزيز : (معاذ الله انه ربى احسن مَثْوَاىَ) فلا اغدر به ولا اخونه فكان هذا الجميل مع يوسف دافع له لضبط سلوكه امام شهواته وان تجلت له وتعرضت له امراة العزيز بكامل زينتها .

وهى دافع ايضا لان يقول قولته الثانية اذ قال تعالى على لسانه (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) هكذا كانت مراقبة النبى العظيم لله عزوجل فلا يمكن ان يفلح من عصى الله وهم بمعصية ابدًا لذا التفت الى النجاة منها حتى فضل السجن على ان يقع بهذه الفاحشة العظيمة (ولقد حاولت المرأة بكيدها ومكرها وبكل ما لديها من ألوان الاغراء والتهديد ان تذيب من صلابته وتضعف من سموحه واعلنت ذلك لنسوتها فى ضيق وغيظ (وَلَقَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ) (٢)

ولكن نبى الله يوسف اتجه الى الله فيسأله المعونة والعصمة "

(١) سورة يوسف آية : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة يوسف آية : ٣٢

(رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (١)

كانت فتنة بين ضمير المؤمن ومغريات الاثم ففشلت المغريات وانتصر الايمان . (٢)

هكذا استعصم يوسف امام قوة الدافع ولجا الى الله عزوجل ليعصمه لينضبط سلوكه امام هذه الغريزة المتوفرة فى اوج قوتها لشبابه واكتمال اسباب مفارقة الفاحشة له :

- ١ (شباب مع جمال .
- ٢ (مال امرأة العزيز وعزها ومنصبها .
- ٣ (جمالها .
- ٤ (الخلوة التامة بها .
- ٥ (التهديد والوعيد ان لم يفعل ما يؤمر .

ومع كل هذه الدوافع التى تهىء له اسباب اقتراف الجريمة بيسر وسهولة صمد امام هذه المغريات واتجه الى ربه ليعصمه فتكون هذه العصمة ضابطا لسلوكه عليه السلام .

ولننظر ايضا الى لون آخر من المراقبة وهو اثر عظيم يحد من شهوة الاندفاع وراء الشهوات مطلقا كالطعام وحب الولد وحب النساء وحب المال فكما هو معلوم ان حب هذه الشهوات غريزة لدى جميع الخلق ولذا قال الله تعالى : (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) (٣)

(١) سورة يوسف آية : ٣٣ .

(٢) الايمان والحياة - د. يوسف القرضاوى - مؤسسة الرسالة ص ٢١٨

٢١٩ . ولقد اشرت الى قصة يوسف عليه السلام فى الاقتداء

بالانبياء والذين معهم . ص ١٦٧ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٤ .

٣ - ومن أعلى ثمرات المراقبة ما تؤدي الى ضبط السلوك عن الشهوات
 مهما كانت ولذا فقد ورد في صحيح مسلم رضى الله عنه عن عبد الله
 بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ
 نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوْوَا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَاَنْحَطَتْ عَلَى فِمْ
 غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَاَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا
 أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرَجُهَا
 عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَأَمْرَاتِي
 وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارًا أَرَعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ قَبِدَاتٍ بِوَالِدَيَّ
 فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ أَتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ
 فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ
 رُؤُسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا
 وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي وَدَائِبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ
 فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرَجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى
 مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الْآخَرُ
 اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي رَابْنَةٌ عَمِّ أَحَبَبْتُهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ
 وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى أَتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ
 مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ
 اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي
 فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرَجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ وَقَالَ الْآخَرُ
 اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ أَرَزَّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أُعْطِنِي
 حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ فَرَقَةً فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا
 وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ أَذْهَبَ إِلَى تِلْكَ
 الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخَذَهَا فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا
 أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرِعَاءَهَا فَخَذَهُ فَذَهَبَ بِي فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ
 أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرَجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ (١)

(١) أخرجه مسلم باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بمصالح الأعمال

فهذا الحديث يشتمل على مقاومة الشهوات الثلاث والتي هي غرائز نفسه لدى الانسان فالاول قاوم دافع حب الطعام والشراب ارضاء لربه وطلباً لرضى والديه فهنا نراه ضبط سلوكه امام هذه الشهوة الغرائزية وهو بهذا يراقب رضى الله عز وجل برضى الوالدين ويقول النووى (وفى هذا الحديث فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وايثارهما عن سواهما من الاولاد والزوجة وغيرهم) (١) . ومع ان حب الزوجة وحب الولد امر فطرى لدى الانسان وهو من اقوى الدوافع الفطرية فى النفس البشرية ولكن هذا الحب يفضل عليه حب الوالدين عند المراقبة ولذا فقد قال هذا الرجل فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك وهذه حال من المراقبة فقد ضبط مشاعر الابوة وعاطفتها ارضاء لربه ومراقبة للقرب منه .

واما الغريزة الاخرى فهي غريزة حب النساء وهذا دافع فطرى فى النفس البشرية وقد اشار هذا الرجل الى شغفه وشدة حبه لابنة عمه حتى قال (كأشد ما يحب الرجال النساء) وهو على هذه الدرجة من المحبة تمكن من الوصول اليها (فجلس منها مجلس الرجل للوقاع) (٢) ولكنه ما ذكرته بالله عزوجل فمجرد قولها (يا عبد الله اتق الله) تمثلت له صفة المراقبة لله عزوجل وان الله عليه رقيب اقلع عن المعصية وادرك عظم المراقبة فنرى هنا ان المراقبة ضابط لسلوك الفرد من الوقوع فى الزنا . ولذا يقول النووى (وفى الحديث فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات لا سيما بعد القدرة والهم بفعلها ويترك لله تعالى خالصاً) (٣)

واما الغريزة الثالثة فهي غريزة حب المال وهى دافع فطرى غرائزى لدى كل الناس (٤) . فقد ربي هذا المال لهذا الاجير حتى

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ٥٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ٥٧ .

(٣) النووى ج ١٧ ص ٥٦ .

(٤) قد سبق وان اشرت الى هذه الغرائز فى الباب الاول الفصل الثالث

أصبح هذا المال اليسير غنما وبقرا وأبلا ونحوه يطمع به فبمجرد أن قال له الأجير اتق الله واعطني حقي اعطاه كل هذا المال فهذه المراقبة ضبطت السلوك الظاهر والباطن للإنسان أمام هذه الشهوات الثلاث :

(١) حب الزوجة وعاطفة حب الولد .

(٢) حب النساء .

(٣) حب المال .

٤ - ومن أشار المراقبة أنها قد تتعدى عن مجرد التعرض للمرأة بل قد تتعرض هي له فيعتصم كما اعتصم يوسف عليه السلام وفي هذا حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ومنهم (وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ) (١)

هذا الحديث يشتمل على ضوابط للسلوك وأن توفرت الدوافع لها على النحو التالي :-

١ - الغريزة الجنسية وهي دافع نفسى موجود لدى جميع من بلغ سن النكاح معافاً سويّاً فهذا رجل توفرت له وسائل الزنا بامرأة جميلة ذات ثراء ومال فرفض الوقوع عليها خوفاً من الله (وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال ولا سيما وهي داعية الى نفسها طالبة لذلك قد أغنت عن مشاق التوصل الى مراوده ونحوها فالصبر عنها لخوف الله تعالى وقد دعت الى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المراتب وأعظم الطاعات . (٢)

(١) سبق تخريجه ص ١٧٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٢٢ ج ٧ - دار الفكر - ط ٢ .

فالخوف هنا لمراقبته لله عزوجل وعمله انه مدركه لا محالة وانه لو وقع فى الحرام لوقع فى مساخط الرب عزوجل وبالتالي ادى الى هلكته . ولذا كان هذا الخوف ضابطا لسلوك المرء عند اعظم الشهوات مع توفر جميع الدوافع للوقوع عليها .

ب - غريزة حب الظهور والامتداح وهى دافع نفسى معروف الا انا نجد فى الحديث مقاومة هذا الدافع . ورجل تصدق بصدقة فآخفاها حتى لاتعلم يمينه ما تنفق شماله (قال العلماء هذا فى صدقة التطوع فالاسرار فيها افضل لانه اقرب الى الاخلاص وابعد من الرياء) (١)
 هـ (وهكذا تسمو المراقبة بصاحبها الى ان يتصل بالعبد المؤمن الى درجة عظيمة من التقوى والتى هى عماد الدين القائم عليه . " اذن هدف عام من اجله ارسل الرسل وكانت من اجله التشريعات والاورام والوصايا وهو التقوى التى ان وجدت فى قلب البشر لم يحتج بعدها الى رقيب او حسيب فتقواه حاجز له عن كل شر دافعه له الى كل خير لذلك نجد ان اوامر الرسل كلهم منصبة عليها وعلى طاعتهم اذ لا تعرف التقوى بدونها . (٢)

وقال الله تعالى : (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) (٣)
 (١) التقوى فى اللغة :

من وقاه فاتقى . وقاه توقيه حفظه وصانه اتقى بالشئ جعله وقاية له من الشئ الاخر والتقوى من الله خاف عقابه فتجنب ما يكره والتقوى الخشية والخوف وتقوى الله خشيته وامتناله اوامره

-
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٢٢ ج ٧ - دار الفكر - ط ٢ .
 (٢) جند الله شقافة واخلاقا - سعيد حوى مرجع سابق - ص ٢٥٧ -
 وانظر ايضا تفسير القرطبي ج ١ ص ١٦١ .
 (٣) سورة النساء آية : ١٣١ .

واجتناب نواهيہ والتقى من يتقى الله والجمع اتقياء . (١)
 ٢ (التقوى فى الاصطلاح :

١ - قال ابن القيم الجوزية : (واما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله ايماناً واحتساباً امراً ونهياً فيفعل ما امر الله به ايماناً بالامر وتصديقاً بوعده ويترك ما نهى الله عنه ايماناً بالنهى وخوفاً من وعيده) .

٢ - قال طلق بن حبيب (٢) فى تعريف التقوى : (ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله وتخاف عقاب الله) .

وقال ابن القيم الجوزية : (وهذا من احسن ما قيل فى حد (التقوى) .

: (فكل عمل لا بد له من مبدأ وغاية فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره على الايمان فيكون الباعث عليه هو الايمان المحض لا العادة والهوى ولا طلب المحمده والجاه وغير ذلك . بل لا بد ان يكون مبدؤه محض الايمان وغايته ثواب الله وابتهاء مرضاته وهو الاحتساب) (٣)

(١) المعجم الوسيط قام باخراج هذه الطبعة ابراهيم انيس وعبد الحليم منتصر وعطيه الصوالحي - ومحمد خلف الله احمد ج ٢ ص ١٥٢
 (٢) طلق بن حبيب : العنزى البصرى - قال ابو حاتم صدوق فى الحديث . وكان يرى الارزاء وقال مالك بن انس بلغنى ان طلق بن حبيب كان من العباد وانه هو وسعيد بن جبير وقراء كانوا معهم طلبهم الحجاج وقتلهم وقال ابو زرعه كوفى سمع من ابن عباس وهو ثقة لكنه كان يرى الارزاء ذكره البخارى فى الاوسط فى من مات بين التسعين الى المائة . انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣١ - ٣٢ - والتقريب ج ١ ص ٣٨٠ .

(٣) زاد المهاجر الى ربه للامام الجليل الحافظ ابى عبد الله محمد بن ابى بكر المعروف بابن القيم - (الرسالة البنوكيه) تقديم الدكتور محمد جميل غازى - دار المدنى للطباعة - جده ص ٨ .

٣ - وقيل : (هى عبارة عن كمال التقوى عما يضره فى الآخرة فالمتقى هو المؤتمر للامورات المجتنب عن المحظورات وبهذا يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واصل التقوى التقوى مما يكره لان اصلها قوى من الوقاية) (١)
التقوى فى القرآن الكريم :

- وقد ورد الحث على التقوى فى القرآن الكريم وقى سنة سيد الاولين والآخرين ففى القرآن الكريم حث عليها لكونها منهج الانبياء الاولين والآخرين اذ انهم دعوا قومهم الى هذا المنهج من تقوى الله فقال تعالى :
- (١) (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) (٢)
- (٢) قال تعالى : (كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ - إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ) (٣) .
- (٣) (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ) (٤)
- (٤) وقال الله تعالى : (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ) (٥)
- (٥) وقال تعالى : (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ) (٦)

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٢٨ - وانظر ايضا تفسير ابن كثير ج ١

ص ٣٩ - ٤٠ وانظر ايضا سبل السلام ص ١٦١٥ .

(٢) سورة الشعراء آية : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) سورة الشعراء آية : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤) سورة الشعراء آية : ١٧٦ - ١٧٧ .

(٥) سورة الصافات آية : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٦) سورة الشعراء آية : ١٠ - ١١ .

(٦) بل جعل الدعوة الى عبادة الله سببا للتقوى فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١) وقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمِيعَاتُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢) وقال الله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٣) .
 (٧) وقال الله تعالى : (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (٤) .

فجماع التقوى فى قوله تعالى : (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) (٥)

ولهذا فتمام التقوى ان يتقى العبد الله حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما ليكون حجابا بينه وبين الحرام وتبلغ ذروة التقوى لله عزوجل فى اتقاء غضبه عند الوقوف على هذا الحديث فيدع المسلم ما لا باس به مخافة ان يكون محظورا وعندئذ يصل الى تمام التقوى . ففى الحديث عن عطيه السعدى (٦) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِمُ الْبَأْسُ) (٧)

(١) سورة البقرة آية : ٢١ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٩ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٨ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(٦) عطيه السعدى : هو عطيه بن عروة ويقال ابن سعد بن هوازن السعدى صحابى نزل الشام روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعنه ابنه محمد وربيعه بن يزيد الدمشقى . تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٢٧

(٧) رواه ابن ماجه كتاب الزهد باب الورع والتقوى ج ٢ ص ١٤٠٩ - واخرجه الترمذى كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ج ٤ ص ٦٣٤ حديث ٢٤٥ وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .

آثار التقوى :

(١) فالأتقياء يحذرون من الله العقوبة في ترك ما يميل الهوى اليه ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء منه (١) . وبهذا نرى كيف كانت التقوى ضابطا لسلوك الفرد من الميل الى اتباع الاهواء والشهوات (٢) تسمو بالفرد المؤمن الى ان يصل الى عمل كل ما يحبه الله . ويرضاه ويترك كل ما حرم الله عليه (فالتقوى تؤدي الى اصلاح الانسان وتوجيه المسلم الى كل ما فيه الخير والصلاح واشعاره بالخوف من الله عزوجل وجعله يتجنب ما كان فيه شر . ومن هنا تبدو صلتها بالفعل من حيث انها ضابط وعاصم قويان جليان لآخلاق المسلم وافعاله وموافقته) (٢)

(٣) فالتقوى ملكه ينبع عنها سلوك يقول صلى الله عليه وسلم (التقوى ههنا (٣) وأشار الى صدره ولا تكون هذه الملكة الا بتحقيق معان معينة وتزداد هذه الملكة بوسائل معينة فالتقوى طرق تحصل وبها ولها اثار سلوكية تنبع عنها وهى بحد ذاتها ملكة وتترابط الملكة والطريق والآثار ترابطا محكما عن النعمان بن بشير قال قال صلى الله عليه وسلم : (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) (٤)

-
- (١) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ١ ص ٢٠ .
 (٢) الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة - تأليف محمد عزه دروزه ج ٢ - المكتب الاسلامى ص ٣٥٦ .
 (٣) أخرجه مسلم واللفظ له كتاب البر باب تحريم ظلم المسلم وخذله ج ١٦ ص ١٢٠ . وأخرجه الترمذى كتاب البر باب ما جاء فى شفه المسلم على المسلم ج ٤ ص ٣٢٥ من حديث أبى هريرة .
 (٤) أخرجه البخارى كتاب الايمان باب فضل من استبرا لدينه ج ١ ص ٢٠ ومسلم كتاب المساقاه باب اخذ الحلال وترك الشبهات ج ١١ ص ٢٨ بشرح النووى . وأخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب الوقوف عند المشتبهات ج ٢ ص ١٣١٨ .

(٤) فالطريق الى التقوى يصلح القلب . وصلاح القلب تصلح به الاعمال وكلما صلحت الأعمال ازداد القلب صلاحا (١) قال الله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٢) .

فمن آثار التقوى

(٥) انها تحمل صاحبها على اتباع اوامر الله واجتناب نواهيه قال الله تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (٣) . حيث يتضمن هذا تقرير كون الايمان وحده لا يكفى لنجاة الانسان اذ لم يوافق عزم على اتباع اوامر الله واجتناب نواهيه وممارسة لذلك . (٤)

(٦) وللتقوى دور كبير فى بعد الفرد المسلم عن كل شر (فالتقوى ان وجدت فى قلب بشر لم يحتج بعدها الى رقيب او حسيب فتقواه حاجز له عن كل شر) (٥) . فهذه المراقبة تمنعه من الوقوع فى الشر وتقيم عليه من نفسه حسيبا ورقيبا عليها .

(٧) وقد جعل الله مقياس القرب والبعد عنه هذه التقوى (٦) (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (٧) فالتقوى هى دافع الترقى والقرب من الله عزوجل فكل ما زاد العبد تقوى زاد قربا الى الله عزوجل فيصبح من اولياء الله عزوجل كما قال الله تعالى :

(١) جند الله ثقافة واخلاق - سعيد حوى - ص ٢٥٩ .

(٢) سورة الاحزاب آية : ٧٠ - ٧١ .

(٣) سورة يونس آية : ٦٢ - ٦٣ .

(٤) الدستور القرآنى والسنة النبوية الشريفة فى شئون الحياة -

محمد عزه دروزه ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٥) جند الله ثقافا واخلاقا - سعيد حوى - ص ٢٢٥٧

(٦) جند الله ثقافا واخلاقا - سعيد حوى ص ٢٥٨ .

(٧) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) (١) . فهذا القرب من الله والترقى دافع الى ان يقبل الله عمله .

ومن آشارها قبول العمل :-

(٨) قال الله تعالى : (وَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (٢) فلا يقبل الله عملا الا من المتقين . (٣)

(٩) والتقوى دافع لأن يسلم الانسان من كيد الشيطان (٤) قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (٥) . وهذا ظاهر الحكمة كما هو المتبادر لأن المتقى يكون قد تجنب العثرات والمواقف الضارة فأمن عاقبتها وحظى بما يكون فيه الأمن والسلامة والنفع والخير والسداد والتوفيق والنجاح والنجاة فى دنياه وآخرته (٦) .

(١٠) ومن آشارها انتشار الرخاء الاقتصادى (٧) قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) (٨)

(١١) ومن اثار التقوى قبول دعاء الداعين وعبادة العابدين (٩)

(١) سورة الانفال آية : ٣٤ .

(٢) سورة المائدة آية : ٢٧ .

(٣) جند الله - ص ٢٥٨ .

(٤) جند الله ثقافة واخلاقا مرجع سابق ص ٢٥٨ .

(٥) سورة الاعراف آية : ٢١٠

(٦) الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة ج ١ ص ٣٥٧ .

(٧) جند الله - ص ٢٥٨ .

(٨) سورة المائدة آية : ٦٥ - ٦٦ .

(٩) الدستور القرآنى ص ٣٥٧ ج ١ .

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (١)

وهذا كله من آثار الترقى والقرب الى الله فكلما ازداد قربا من الله ازداد حبا لله عزوجل وقربا منه وهكذا تصبح التقوى دافعا ذا حدين فمن ناحية الايجاب فهي دافع لحب الخير وحب كل ما يرضى الله عزوجل والقرب منه فالمتقى يندفع وراء ارضاء الرب بكل ما هو مشروع وبالتالي فهو يتقرب اليه ومن ناحية اخرى فالتقوى ضابط لسلوك الفرد فكما انها دافع لحب الخير وارضاء الرب فهي ايضا ضابط لسلوكه من حيث ان المتقى يقى نفسه من الوقوع فى السيئات والمحرمات ولذا فاننا نجد وصف المتقى فى كتاب الله وقد جمع الجانبين عمل كل ما يرضى الله وابتعد عن كل مساخطه فقد قال الله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (٢)

وقال الله تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٣)

وبعد ما ذكر من اوصاف المقربين واهل التقوى ما ذكر قال الله تعالى (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) وصفهم بالصدق والتقوى فى امورهم والوفاء بها وانهم كانوا جادين فى الدين وهذا غاية الثناء . (٤)

(١) سورة المائدة آية : ٢٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢ - ٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي - ج ٢ ص ٢٤٢ " مرجع سابق " .

صفات المتقين :

١ () الايمان بالغيب .

٢ () اقام الصلاة - الانفاق - اتباع القرآن .

٣ () موفون بعهده الله - صابرون فى البأساء والضراء وحين البأس .
فاذا التقوى ايمان يدخل فيه التصديق بالغيوب والصلاة والانفاق
ثم اتباع الكتاب وان الانسان لا يكون من المتقين الا بجمع هذين
الجانبيين . (١)

" وقد يستدل على التقوى بثلاث صفات :

١ () التوكل فيما لم ينل قال الله تعالى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (٢)

٢ () الرضا فيما قد نال .

٣ () الصبر على ما يصاب به المؤمن قال الله تعالى : (وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ) (٣)

اذا فالتقوى سلوك يدفع الفرد الى حسن التوكل على الله والرضا
بالقضاء والقدر ويشمل الصبر على كل ما يصيب الفرد المسلم سواء
نعما فيتمها بالشكر او سواء كانت نقما فيصبر ابتغاء رضوان ربه
فهى دافع نفسى يهذب الفرد المسلم ويسمو بروحه حتى يبتعد عن كل ما
يسخط الله عزوجل وهى من هذا الوجه ضابط ايضا لسلوك الفرد على
الصبر والرضا حتى فى الشدائد فنجد المؤمن مطمئنا راضيا بكل قضاء
قضاءه الله عليه . ولكنها قد تختلف من شخص الى آخر فكلما ازدادت
التقوى فى النفس البشرية ازداد الفرد قربا من الله . وقد نقل
ابو السعود ان للتقوى مراتب :

١ () التوقى من العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر وعليه قوله تعالى

(١) جند الله ثقافة و اخلاق - سعيد حوى - ص ٢٥٩ .

(٢) سورة الطلاق آية : ٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) (١)

(٢) الثانية التجنب عن كل ما هو اثم من فعل ١ او ترك حتى الصغائر (٢)

قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا) (٣)

(٣) ان يتنزه عن كل ما يشغله عن الله عزوجل ويتبتل اليه بكلية

وهو التقوى الحقيقى المأمور بها فى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) (٤)

وهذه الدرجة يتفاوت اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم

واقصاها ما انتهت اليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بين

رياستين النبوة والولاية . (٥)

(وفى هذه المرتبة يعتبر ترك الصغائر) (٦)

ولهذه النزاهة التى يمل اليها المتقى بتقواه فقد شملت خيرى

الدنيا والاخرى اذ هى اجتناب كل منهى وفعل كل مأمور فمن فعل ذلك

فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى فى كتابه بالمدح والثناء

(: وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٧) بل وجعلهم

اولياءه المقربين اليه ويكفى هذا شرفا (٨) قال الله تعالى : (إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ) (٩)

(١) سورة الفتح آية : ٢٦ .

(٢) تفسير ابى السعود - المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا

القرآن - للقاضى ابى السعود محمد بن محمد العمارى - دار

احياء التراث العربى - بيروت ج ١ ص ٢٨ ط ١ - وانظر ايضا روح

المعانى للالوسى " مرجع سابق ص ١٠٨ ج ١ .

(٣) سورة الاعراف آية : ٩٦ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(٥) تفسير ابى السعود - مرجع سابق - ص ٢٨ ج ١ .

(٦) روح المعانى ص ١٠٨ ج ١ " مرجع سابق .

(٧) سورة آل عمران آية : ١٨٦ .

(٨) الفتح المبين بشرح الاربعين - ص ١٦٤ .

(٩) سورة الحجرات آية : ١٣

ومحبة الله تعالى ومولاته وانتفاء الخوف والحزن وحصول البشارة
 فى الدنيا والاخرة والفوز العظيم قال تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ
 لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ) (١)

وقال صاحب التفسير الكبير " لو لم يكن للمتقين فضيلة الا ما
 فى قوله تعالى : (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (٢) لكفاهم لانه تعالى بين ان القرآن
 هدى للناس : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ) (٣)
 ثم قال هنا فى القرآن انه • هدى للمتقين (فهذا يدل على ان
 المتقين هم كل الناس فمن لا يكون متقيا كانه ليس بانسان) (٤)

(١) سورة يونس آية : ٦٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(٤) التفسير الكبير - ج ١ ص ٢١ - للفخر الرازى مرجع سابق .

الفصل السادس

امتلاك زمام النفس ونهيها عن الهوى

امتلاك زمام النفس ونهيها عن الهوى

ان الله خلق النفس البشرية واودع فيها اسرارها والهمها فجورها وتقواها وقد جعل بها لكل من الفجور والتقوى دوافع قد تحد من اتجاهها او تساعد في اندفاعها نحو رغباتها وهى تختلف من نفس الى اخرى حسب قوة الدوافع وقوة الضابط ولذا كانت النفس تسمى :- (المطمئنة - اللوامة - الامارة بالسوء - الاوابة - المؤمنة)

ولما جاء الاسلام وحدث للانسانية فى كتابه منهاج متكامل عن النفس وطبائعها وخصائصها فلم يهمل الاسلام ان يضع لها العلاج اذا مرضت ويبين لها طريق الهدى اذا انحرفت وكانت تظهر بين الحين والآخر دعوات تطالب الانسان بالانفلات من قيود الدين ومسايرة هوى النفس (١)

قال الله تعالى (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) (٢)

حقيقة الطمانينه :

فالنفس المطمئنة التى قد سكنت الى ربها وطاعته وامره وذكره ولم تسكن الى سواه فقد اطمأنت الى محبته وعبوديته وذكره واطمأنت الى امره ونهيه وخيره واطمأنت الى لقائه ووعدده واطمأنت الى التصديق بحقائق اسمائه وصفاته واطمأنت الى لقائه الى الرضى به ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد رسولا واطمأنت الى قضائه وقدره واطمأنت الى كفايته وحبه وضمنه فاطمأنت بانه وحده ربها وآلهها ومعبودها ومليكها ومالك امرها كله وان مرجعها اليه وانها لا غنى لها عنه طرفة عين .

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها - عبد الرحمن عميره - دار اللواء - ط٤ - ١٤٠٢ ص ٢١٦ .

(٢) سورة الفجر : آية ٢٨ .

فالنفس اذا سكنت الى الله واطمأنت بذكره وانابت اليه واشتاقت اليه وانست بقربه فهي مطمئنة وهي التي يقال لها عند الوفاة (١)
 (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) (٢)
 فمن شمار هذه الطمأنينة والتصديق ان ترجع الى ربها وهي قد رضى الله عنها وارضاهها فدافع الطمأنينة والتصديق ادى بها الى ضبط أهوائها وشهواتها فأمنت به ربا وصدقت بكل قضائه وقدره فضبطت النفس عن الهوى واتباع الشهوات فنالت الرضى من الرب جل وعلا .
 ثم قد تكون النفس اللوامة التي اودع الله بها البضيرة النافذة ، فهي تلوم نفسها عند خطئها فقد جعلت التوبة والندامة ضابطا لسلوكها . وقد اختلف العلماء فى اشتقاق هذه اللفظة هل هي من التلوم وهي التلون والتردد او هي من اللوم ؟
 ولذا قال ابن عباس : (هي النفس اللوامة) - وقال مجاهد :
 (هي التي تندم على ما فات وتلوم عليه) .

وقال الحسن ان المؤمن والله ما تراه الا يلوم نفسه على كل حالاته لانه قصر فى كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه وان الفاجر ليمضى قدما لا يعاقب نفسه .

اما من قال انها من التلوم فلكثرة تردها وتلومها ولا تستقر على حال واحدة وذهب ابن القيم الى ترجيح الاول وقال .. والاول اظهر فان هذا المعنى لو اريد لقليل المتلومة كما يقال المتلونة والمتردة ولكن من لوازم القول الاول . فانها من تلومها وعدم ثباتها تفعل الشيء ثم تلوم عليه فالتلوم من لوازم اللوم (٣)

(١) اغاثة اللفهان . من مصايد الشيطان - ابن القيم ج ١ ص ٧٦ -
 دار المعرفة للطباعة والنشر بتحقيق محمد حامد الفقى . وانظر
 ايضا مرشد الدعاة الى الله - أحمد بن محمد طاحون ص ٤٣ .

(٢) سورة الفجر آية : ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) اغاثة اللفهان ص ٧٧ ، ٧٨ .

فهذه النفس قد جعلت التوبة زماما ضابطا لسلوكها فقد ظهر منها دافع الشهوة والوقوع فى المآثم بغضا او كرها الا انها سريعة الندم والتوبة لذا هى متلومة تلوم نفسها على فعلها قال تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِى الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) (١)

(فهم اسرفوا على انفسهم بكثرة ارتكاب الذنوب والآثام سواء كانت الشرك او الزنا او سائر المعاصى لكنهم تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات فتاب الله عليهم) (٢) لذا قال الله تعالى : (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) (٣)
النفس الامارة بالسوء :

وهى التى تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الغنى واتباع الباطل فهى ماوى كل سوء وان اطاعها قادتته الى كل قبيح وكل مكروه وقد اخبر سبحانه انها اماراة بالسوء لكثرة ذلك منها وانه عاداتها لانيها خلقت فى الاصل جاهلة ظالمة الا من رحمة الله والعدل والعلم طارئ عليها بالهام ربها فاذا لم يلهمها رشدها بقيت على ظلمها وجهلها فلم تكن اماراة الا بموجب الجهل والظلم فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة فاذا اراد الله سبحانه بها خيرا جعل فيها ما تزكوا به وتصلح من الارادات والتصورات واذا لم يرد بها ذلك تركها على حالها التى خلقت عليها من الجهل والظلم .

وسبب الظلم اما جهل واما حاجة وهى فى الاصل جاهلة والحاجة

(١) سورة الزمر آية : ٥٣ .

(٢) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص ٣٩٠ - دار الكتب

العلمية بيروت - بتصرف .

(٣) سورة الزمر آية : ٥٣ .

لازمة لها فلذلك كان امرها بالسوء لازما لها ان لم تدركها رحمة الله وفضله . (١)

قال الله تعالى : (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا) (٢)

(فمن عرف نفسه وما طبعت عليه علم انها منبع كل شر وماوى كل سوء وان كل خير فيها فبفضل الله من به عليه) (٣)

ولذا كان لا بد من الضوابط والتشديد على هذه النفس الامارة بالسوء ومراقبتها ومجاهدتها ومحاسبتها على تقصيرها ولا تترك تتخبطها الاهواء وتتقاذف بها الشهوات فتوردها مورد المهالك . ولذا كان لا بد لنا من بيان المراد بالهوى وكيفية التحذير منه وموقف القرآن والسنة من اتباع الهوى .
الهوى فى اللغة :

هوى النفس ارادتها والجمع الاهواء قال اللغويون :
الهوى محبة الانسان الشئ وغلبته على قلبه قال الله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى) معناها نهاما عن شهواتها وما تدعو اليه من معاصي الله عزوجل وبالكسر يهوى هوى اى احب .
الهوى فى الاصطلاح :

هو ميل النفس الى الشهوة ويقال ذلك للنفس المائلة الى الشهوة قال الله تعالى (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى) (٤)
وقد ذم الله تعالى اتباع الهوى فى قوله : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ) (٥) .

(١) اغاثة اللفهان . ص ٧٧ مرجع سابق .

(٢) سورة النور آية : ٢١ .

(٣) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٤٢ .

(٤) سورة ص آية : ٢٦ .

(٥) سور الغاشية : آية ٢٣ .

وقال بلفظ الجمع تنبيهها على ان لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثم
هوى كل واحد لا يتناهى فاذا اتباع اهوائهم نهاية الضلال والحيرة (١)
(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) (٢)

فحقيقة شهوات النفوس وهى ميلها الى ما يلائمها واعراضها عما
ينافرها مع انه كثيرا ما يكون سلامتها فى المنافر ثم المعروف فى
استعمال الهوى عند الاطلاق انه الميل الى خلاف الحق (٣) ومن قوله
تعالى (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (٤) وقوله (وَأَمَّا مَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) (٥) . اى زجرها عن المعاصى
والمحارم واصل الهوى الميل الى الشئ ويجمع على اهواء . وقال
الجوهري وسمى الهوى لانه يهوى بصاحبه الى النار ولذلك لا يستعمل فى
الغالب الا فيما ليس بحق ومنها لا خير فيه . (٦)

وقول الجوهري فى اتباع الهوى الفاسد واتباع الشهوات (فهو
الذى يورد مورد الهلاك) (٧) . الا انه قد تطلق لفظة الهوى ولا يقصد
بها الا الحق (كما فى قول عائشة رضى الله عنها لما نزل قوله
تعالى : (تَرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتَتَوَيَّأُ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) (٨) قالت للنبي
صلى الله عليه وسلم ما ارى ربك الا يسارع فى هواك .
وقول عمر رضى الله عنه فى قصة المشاورة فى اسرى بدر فهوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله ابو بكر ولم يهو ما قلت .

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - ج ٥ ص ٣٥٩ .

(٢) سورة القصص آية : ٥٠ .

(٣) فتح المبين لابن حجر الهيثمى ص ٢٧٨ مرجع سابق .

(٤) سورة ص آية : ٢٦ .

(٥) سورة النازعات آية : ٤٠ .

(٦) الجامع لاحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤ .

(٧) الجامع لاحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤ .

(٨) سورة الاحزاب آية : ٥١ .

وقال ابن حجر قد يطلق بمعنى مطلق الميل والمجبة فيشمل الميل للحق وغيره وبمعنى محبة الحق خاصة والانقياد اليه (١)

كما فى الحديث عن ابي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جُتُّ بِهِ) (٢) " حديث صحيح "

ولذا أثر النبى صلى الله عليه وسلم التعبير بذلك على ان من احب شيئا اتبعه هواه ومال عن غيره اليه ومراده صلى الله عليه وسلم ان ياتمر بكل ما جئت به لان المأمور بالشئ قد يفعله اضطرارا (٣)

إذا فقد وردت لفظة اتباع الهوى وتشمل على ما يلى :-

١ - التحذير منها وهى التى تكون الهوى تابعا لشهوات النفس المحرمة .

٢ - الهوى بمعنى الميل القلبى .

٣ - الهوى بمعنى اتباع الحق . كما فى الحديث السابق الذكر .

ولذا سأعرض فقط ما يفيد فى موضوعنا الا وهو المحرم منه فأورد الآيات التى وردت فى الهوى على سبيل التحذير وكذا الأحاديث :-

وفى معرض التحذير من اتباع اهل الاهواء قال الله تعالى :
(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (٤)

بهذا التهديد والوعيد لنبى الله صلى الله عليه وسلم ان انت

(١) فتح المبين لابن حجر الهيثمى ص ٢٧٩ - الجامع لاحكام القرآن

للقرطبى ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٩ .

(٣) فتح المبين ص ٢٧٨ " مرجع سابق " .

(٤) سورة البقرة آية : ١٢٠ .

ظللت عن الهدى هدى الله الذى لا هدى سواه (١) " ففى الخطاب تناديب
لأمتة صلى الله عليه وسلم اذ منزلتهم دون منزلته " (٢)

وفى معرض التحذير والحث على الاستقامة على منهجه وعدم اتباع
الاهواء قال الله تعالى : (وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (٣) .

ان الامر هنا يتعلق بالاستقامة على هدى الله وتوجيهه ويتعلق
بقاعدة التميز والتجرد الا من طاعة الله ومنهجه ومن ثم يجىء الخطاب
بهذا التحذير (إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) .

ان الطريق واضح والصراط مستقيم فلما العلم الذى جاء من عند
الله وأما الهوى فى كل ما عداه وليس للمسلم ان يتلقى الا من الله
وليس له ان يدع العلم المستيقن الى الهوى المتقلب وما ليس من
عند الله فهو الهوى بلا تردد . (٤)

أثر اتباع الهوى :

١ - قال الله تعالى : (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) (٥)

كان من نتيجة اعراضهم واتباعهم الهوى والشهوات ان كذبوا جميع
الرسل .

قال الطبرى فى تفسيره : (وانتم كلما جاءكم رسول من رسلى بغير
الذى تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم تجبرا وبغيا استكبار امامكم
ابليس فكذبتم بعضا فهذا فعلكم ابدا برسلى) (٦)

(١) انظر الظلال ج ١ ص ١٠٩ . يتصرف .

(٢) تفسير القرطبى ج ٢ ص ٩٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٤٥ .

(٤) الظلال ج ١ ص ١٣٥ .

(٥) سورة البقرة آية : ٨٧ ، ٨٨ .

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٣٢٣ .

فمحاولة اخضاع الهداة والشرائع للهوى الطارىء والنزوة المتقلبة ظاهرة تبدو كلما فسدت الفطرة وانطمست فيها عدالة المنطق الانسانى ذاته .

وقد قصى الله على المسلمين ان يحذرهم من الوقوع فى ما وقع به بنو اسرائيل فتسلب منهم الخلافة فى الارض والامانة التى ناطها بهم الله . فقد حكم بنو اسرائيل اهوائهم وشهواتهم وقتلوا فريقا من الهداة وكذبوا فريقا ضربهم الله بالذلة والهوان والشقاء والتعاسة (١) .

وفى الآية النتيجة الحتمية لاتباع الاهواء على ما يأتى :-

١ - الاستكبار على الحق . مما ادى بهم الى التكذيب لانبيائهم . بل وقتلهم .

٢ - اتباع الهوى سبب لغفلة القلب كما فى الآية الكريمة (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) (٢) اى معصوب عليها وهى فى اكنة واغطية (٣) وقال الله تعالى : (اُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (٤) .

٣ - استحقوا اللعنة من الله " والمراد ان الله اقصاهم وابعدهم واخزاهم واهلكهم بكفرهم . واصل اللعن الطرد والابعاد والاقصاء (٥) .

(ب) وقال تعالى فى بيان اضرار اتباع الهوى : (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) (٦)

(١) الظلال ج ١ ص ٨٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٨٨ .

(٣) جامع البيان ج ١ ص ٣٢٣ .

(٤) سورة محمد آية : ١٦ .

(٥) جامع البيان ج ١ ص ٣٢٣ .

(٦) سورة المؤمنون آية : ٧١ .

وهذه ايضا من الآيات التى تحذر من اتباع الهوى وتبين مضاره ومفسده لو كان الاله حسب أهوائهم فى السماء آله وفى الأرض آله لفسدت السموات والأرض من الخلق (١) .

(ج) وقال الله تعالى فى معرض الاستخفاف بعقولهم واتباعهم أهوائهم : (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى النَّفْسُ) (٢)

والمراد ما تميل اليه وتشتهيه من غير التفات الى ما هو حق يجب اتباعه (٣)

(د) اتباع الهوى سبب الغفلة القلب :
قال الله تعالى : (وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) (٤) .

كان من نتيجة اتباعهم للهوى ان اغفل الله قلوبهم عن ذكره . ويقول الشوكانى وهم غافلون عن ذكر الله ومع هذا فهم ممن اتبع هواه وآثره على الحق فاختار الشرك على التوحيد وكان امره فرطاً أى متجاوزاً عن حد الاعتدال . (٥)

(ومن أهواء الجاهلية التى يحكمون مقاييسها فى العباد فهم واقوالهم سفه ضائع لا يستحق الا الاغفال جزاء ما غفلوا عن ذكر الله . وكانت النتيجة ان اغفل الله قلبه ويقول سيد قطب : اغفلنا قلبه حين اتجه الى ذاته والى ما له والى ابنائه والى متاعه ولذائذه وشهواته فلم يعد فى قلبه متسع لله والقلب الذى يشتغل بهذه الشواغل ويجعلها غاية حياته لا جرم يغفل عن ذكر الله . فيزيده الله غفلة ويملى له فيما هو فيه) (٦)

(١) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص ٢٨٩ بتصرف .

(٢) سورة النجم آية : ٢٣ .

(٣) فتح القدير ج ٥ ص ١٠٩ . " تفسير "

(٤) سورة الكهف آية : ٢٨ .

(٥) فتح القدير ج ٣ ص ٢٨٢ " تفسير "

(٦) الظلال ج ٤ ص ٢٦٩ .

(هـ) اتباع الهوى سبب للكفر :

(١ ولئنك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم) (١) ١
وصلوا الى الكفر والعناد (٢)

وطبع الله على قلوبهم حيث وصلوا الى درجة الكفر لاتباعهم
أهواءهم .

وقد مثل الله لهم نتيجة اتباعهم أهوائهم وضلالتهم فقال الله تعالى : (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٣)

واتبع هواه وما زين له الشيطان وقيل كان هواه مع الكفار ثم شبه من اتبع هواه فقال مثله كمثل الكلب ان وعظته ضل وان تركته ضل فهو كالكلب ان تركته لهث وان طردته لهث (٤)

فمن استعاضنا لهذه الايات الكريمة نجد التحذير الصريح من اتباع الهوى وبيان آثاره فهو سبب لغفلة القلب . بل وسبب للكفر والضلال وقد شبه الله من اتبع هواه واخلد الى الأرض بالكلب وهذا فيه من التنفير ما لا يخفى .

وقد نفى القرآن صفة الايمان عن من لم يتبع حكم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُونَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) (٥)

ففى الآية وجوب اتباعه فيما يأمر به من غير توقف ولا تلعمش ومن ثم لم يكتف بالتحكيم بل عقبه بقوله : (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ) (٦) .

(١) سورة محمد آية : ١٦ .

(٢) فتح القدير ج ٥ ص ٣٥ .

(٣) سورة الاعراف آية : ١٧٦ .

(٤) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٢٢ .

(٥) سورة النساء آية : ٦٥ .

(٦) سورة النساء آية : ٦٥ .

ومن ثم لم يكتف بهذا ايضا بل زاد التاكيد بقوله : (وسلموا) ولم يكتف به ايضا بل زاد فيه فاتى بالمصدر الواقع لاحتمال التجاوز فقال : (تسليمًا) وبهذا التسليم تكون النفس مطمئنة محكمة منشرحه به لا توقف عندها فيه بوجه . (١)

فمراده من نفى تسليمهم لحكم الله وحكم الرسول كان لاتباعهم اهواءهم وشهواتهم لذا كان ان نفى القرآن عنهم صفة الايمان بالله .
ففى الحديث الذى رواه احمد وغيره من حديث شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ (٢) نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) (٣) فقد سماه صلى الله عليه وسلم عاجزا لانه اخلد الى هوى النفس الامارة بالسوء واهملها واتبع هواه .

فهلاك القلب من اهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها (٤) وهذا اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت .

(١) فتح المبين ص ٢٧٩

(٢) دان نفسه : اى حاسبها ويوم الدين يوم الحساب .

شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر وهو ابن اخى حسان بن ثابت الانصارى الخزرجى قال عباده بن الصامت كان شداد اوتى العلم والحلم روى عنه اهل الشام توفى سنة احدى واربعين وقيل سنة ثمان وخمسين - اسد الغابة ج ٢ ص ٣٥٥ مرجع سابق .

الكيس : اى العاقل من كاس بكيس كيسا والكيس العقل - ج ٢ ص ١٤٢٣ سنن ابن ماجه تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) رواه احمد ج ٤ ص ١٢٤ ورواه الحاكم فى مستدركه ج ١ ص ٥٧ وقال صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه وقال الذهبى : لا والله ابو بكر واه - ورواه الترمذى كتاب القيامة ج ٤ ص ٦٣٨ وقال هذا حديث حسن . واخرجه ابن ماجه كتاب الزهد ج ٢ ص ١٤٢٣ .

(٤) اغائة اللفان ص ٧٨ .

ولذا نقول ان جميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) (١)

ومعناها وزن الامور أولا . وقدرها والنظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها (٢) . وقد نفى صلى الله عليه وسلم صفة الايمان عن من اتبع هواه فعن ابي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جُتُّ بِهِ " (٣) .

والمراد تبعا لما جئت به من الشريعة المطهرة الكاملة بأن يميل قلبه وطبعه اليه كميله لمحباته الدنيوية التي جبل على الميل اليها من غير مجاهدة وتصبر واحتمال مشقة او بغض بل يهواها كما يهوى المحبوبات المشتبهات ان من احب شيئا اتبعه هواه ومال عن غيره اليه . ومن ثم اثر صلى الله عليه وسلم التعبير بذلك على نحو حتى ياتمر بكل ما جئت به لان المأمور بالشئ قد يفعله اضطرارا واعلم ان الهوى يميل بالانسان بطبعه الى مقتضاه ولا يقدر على جعله تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم الا كل ضامر مهزول . (٤)

وعلم من الحديث ان من كان هواه تابعا لجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا كاملا وضده وهو من اعرض عن جميع ما جاء به ومنه فهو الكافر . (٥)

وروى الشيخان عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ

(١) سورة القصص آية : ٥٠ .

(٢) الاحياء ص ٣٩٧ ج ٤ .

(٣) سبق تخريجه ص ٤٩٠ .

(٤) فتح المبين ص ٢٧٨ .

(٥) اغاثة اللفهان ص ٢٧٩ .

أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ (١) وفى رواية مسلم والناس اجمعين .
 ومراده ان المحبة هوى فى النفس فمن هوى رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه واطاعه ومن اتبع هواه فلم يحب الرسول لم يطعه
 (ولما صدقت محبة الصحابة رضوان الله عليهم له صلى الله عليه وسلم وكان هواهم تبعاً لما جاء به قاتلوا معه آباءهم وابناءهم حتى
 قتل ابو عبيدة اياه لا يذاته الرسول صلى الله عليه وسلم . وتعرض
 ابو بكر لولده عبد الرحمن رضى الله عنهما يوم بدر ليقتله (٢)
 ولقد حث القرآن على محاسبة النفس . والنظر فيها والزامها
 كلمة التقوى لتتعالى بها رضى الله فلا تترك النفس لتتال منها
 الآهواء وتتخبط بالشهوات كيفما كان . ولذا قال الله تعالى : (يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (٣) فامر
 الله العبد ان ينظر ما قدم لغد وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك
 النظر هل يصلح ما قدمه ان يلقى الله به او لا يصلح ؟ والمقصود من
 هذا النظر ما يوجب ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد
 وتقديم ما ينجيه من عذاب الله ويبيض وجهه عند الله (٤) من
 الاعمال الصالحات التى تنجيه او من السيئات التى توبقه ؟
 والمقصود ان صلاح القلب بمحاسبة النفس وفساده باهمالها
 والاسترسال معها (٥)

والتقوى حالة فى القلب تجعل القلب شاعراً بالله فى كل حالة
 خائفاً متحرّجاً مستحياً ان يطلع عليه الله فى حالة يكرهها وعين الله
 على كل قلب فى كل لحظة فمتى يامن ان لا يراه .

(١) سبق تخريجه ص ١٣٠ .

(٢) فتح المبين ص ٢٨٠ .

(٣) سورة الحشر آية ك ١٨ .

(٤) مدارج السالكين ج ١ ص ١٩٠ .

(٥) اغاثة اللفان ج ١ ص ٨٤ . وانظر ايضا فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٠ .

وهذا التأمل كفيـل بأن يوقظه الى مواضع ضعف ومواضع تقصـى
ومواضع تقصير مهما يكن قد اسلف من خير وبذل من جهد (١)

وقد ذم الله تعالى الذى لا يحاسب نفسه وينساها فقال (وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) (٢)

والمراد نساوا محاسبة انفسهم على تقصيرها . ولذا قال الشوكاني
اى جعله ناسين لها بسبب نسيانهم له فلم يشتغلوا بالاعمال التى
تنجيهم من العذاب ولم يكفوا عن المعاصى التى توقعهم فيه (٣)
ويمكن تذكير النفس بذكر الموت والفوت وقال المحاسبى فى الحث على
الادمان فى معاقبة النفس " ثم ابتدا فى معاقبتها وتذكيرها بالسوء
الذى صنعت وبما هى اليه صائرة عن قليل ثم يذكرها عظيم جرمها
وكثرة ذنوبها وادام على ذلك عليها وجعله عمله لا عمل له غيره . (٤)
قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (٥)

فكان لنا من هذه الآية التى حثت على المحاسبة والتى حذرت من
اهمال النفس وجعلت زمام التقوى ضابطا لسلوكنا نرسم منهاجا متكاملا
لمحاسبة النفس ورد جماحها وضبط سلوكها لكى لا تندفع اندفاع
البهائم وراء شهواتها ورغباتها دون زمام لها وقد رايت ان امتلاك
زمام النفس لا بد ان يكون بوسائل تساعد على هذا الانضباط بالسلوك
وتقلل من اندفاعه وراء شهواته ولذا فسأعرض فى هذا الفصل الى
وسائل ضبط النفس .

(١) الظلال ج ٦ ص ٣٥٣١ .

(٢) سورة الحشر آية : ١٩

(٣) فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٦ .

(٤) التوبه للحارث المحاسبى تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار

الاعتصام ص ٧٣ .

(٥) سورة الحشر آية : ١٨ .

وسائل ضبط النفس :

١ - المراقبة .

٢ - المحاسبة .

٣ - المجاهدة .

ولذا اقوال المراقبة :

الرقيب من اسماء الله عزوجل - ورقبه رقيه ورقبانا . بكسرهما ورقابة ورقوبة ورقبه بفتح الكل انتظره كارتقبه . والشئ : حرسه كراقبه مراقبه ورقابا . (١)
المراقبة فى الاصطلاح :

والمراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه لمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعى جانبه . يعنى بهذه المراقبة حالة يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا فى الجوارح وفى القلب .
فمعرفة الله تثمر العلم بالله بانه مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت (٢)
(وقيل المراقبة هى استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه فى جميع احواله) (٣) .

(١) بصائر ذوى التميز ج ٣ ص ٩٤ .

(٢) الاحياء ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٣) مخطوطة السير والسلوك الى ملك الملوك تأليف عبد الرحمن ابن احمد الجامى ابو البركات رقم ١٣٩٧ / ١٣٩٨ مجموعة رقم ٤٧ مكتبة الحرم المكى ص ١٥ .

وهو عبد الرحمن بن احمد الجامى - ولد فى جام مفسر فاضل حج سنة ٨٧٧ ثم عاد الى هراة وتوفى بها ج ٣ ص ٢٩٦ الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - دار المعرفة بيروت .

وبالتالى تكون هذه المراقبة ضابطا لسلوكه فيكون مراقبا لله فى سكناته وحركاته وان الله معه اينما كان محيط به فينأى بنفسه عن المعاصى والموبقات ويندفع وراء الطاعات ارضاء لخالقه جل وعلا فتقوم هذه المراقبة بدور الحراسة والانضباط فكلما همت النفس بمعصية تجلت لها مراقبة الله واطلاعه على السر واخفى واحضر العقاب والثواب والبعد والقرب من العزيز الجبار فردع نفسه وزجرها عن المعاصى وبالتالى تندفع وراء الطاعات بقدر ما اوتيت ارضاء لخالقها وطمعا فى القرب من الله .

ولقد وردت كلمة المراقبة فى القرآن الكريم :-
 (١) (اَفَمَنْ هُوَ قَاتِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (١) اى حافظ (٢) فالله حافظ على كل نفس بما عملت من عمل ان خيرا او شرا وهذا مما يوقع الخوف والمراقبة لله عزوجل فمن كمال الالوهيه دوام حفظه ومراقبته لهم فلا يغفل ولا ينام ولذا ورد فى حديث الاحسان (٣) الصحيح عندما سئل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال : (اَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) . الحديث

وفى الحديث الحث على الاخلاص فى العبادة ونهاية المراقبة فيها ومن علم ان سره موضع نظر الله تعالى وجب عليه تصفية سره لمولاه واصلاح ذلك وتنقيته مما يكره الله تعالى . (٤)
 وقال الله تعالى : (اِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيبًا) (٥) اى حافظا لاموالكم واعمالكم فلا تخفى عليه خافية .

(١) سورة الرعد آية : ٣٣ .

(٢) بصائر ذوى التميز ج ٤ ص ٣٠٧ .

(٣) سبق الاشارة اليه وروده بتمامه فى فصل المراقبة - ص ٢٥٨ .

(٤) عمدة القارى ج ١ المجلد الاول ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٥) سورة النساء آية ١

ثمرات المراقبة :

(١) فشدة المراقبة تورث الخوف من الله عزوجل وقال تعالى فى بيان اثر الخوف فى ضبط النفس عن الهوى : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) (١) .

وقال ابن حزم هذه الآية جامعة لكل فضيلة لان نهى النفس عن الهوى هو ردعها عن الطبع الغضبى وعن الطبع الشهوانى ، لان كليهما واقع تحت موجب الهوى ، فلم يبق الا استعمال النفس للنطق الموضوع فيها ، الذى به بانئت عن البهائم والحشرات والسباع . (٢)

وقال صاحب المنازل الخوف هو الخروج عن طمأنينة المن بمطالعة الخبر (٣) (والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف بل انما يراد به الكف عن المعاصى وتحرى الطاعات ولذلك قيل لا يعد خائفا من لم يكن لذنوبه تاركا .

وحكمه فرض على كل احد) (٤) قال الله تعالى : (وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٥) فالخوف من الوسائل التى تضبط دوافع الشهوات ويقضى على الاهواء وبالتالى فالمقصود من الخوف هو الانخلاع من المعاصى والاقلاع عن الذنوب فالخوف ثمرة من ثمرات المراقبة لله عزوجل .

(١) سورة النازعات آية : ٤٠ .

(٢) مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد فى الرذائل ص ١٣ لابن حزم الاندلس تحقيق ابو حذيفة ابراهيم بن محمد - مكتبة الصحابة بطنطا .

(٣) منازل السائرين ص ٢٠ . والمراد بمطالعة الخبر اى باستحضار الوعد والوعيد بصائر ذوى التمييز ج ٣ بتصرف ص ٥٧٧ .

(٤) بصائر ذوى التمييز ج ٢ ص ٥٧٦

(٥) سورة آل عمران آية : ١٧٥ .

درجات الخوف :

الخوف من العقوبة وهو الخوف الذى يصح به الايمان . وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العقابة . (١)

ولذا شرع الله عزوجل العقوبات الدنيوية وكشف لنا عن العقوبات الآخروية فكان انضباط المجتمع حتى اصبح المسلم الاول باقامة الحدود والعقوبات الزاجرة عن المعاصى حتى اصبح افضل مجتمع شهدته العالم ولا يمكن يشهد مجتمع كالرعيل الاول عند تطبيق العقوبات التى حدثت من الشهوات فلا ينطلق الانسان كالوحش وراء شهواته واخذ ما يريد متى يريد وكيف يريد بل يخاف تطبيق العقوبة عليه فلا يسرق ولا يزنى ولا يقتل ولا غير هذه الجرائم التى تتولد عنها .

وقد نوه القرآن عن العقوبات الآخروية واطهر بعضا من صفات النار وذكر فيها من احوال وعذاب وذكر الزبانية واحوال القبر وغيرها مما يوقع فى النفس الخوف من الله عزوجل وبالتالي يستشعر الانسان عظمة الله عزوجل وقدرته على اللحاق بكل عاص وكل منحرف :

(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْزِزِينَ فِي الْأَرْضِ) (٢) فهذا تهديد ووعيد شديد بأن الانسان لن يفلت من عذاب الله عزوجل ان عاجلا او آجلا .

ومن ثمار المراقبة :

(٢) المعرفة بالله عزوجل . وان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت (٣)

فاذا علم ذلك يقينا تولد عنه انضباط لسلوك الفرد فلا يحاول ان يرتكب ما حرم الله عليه خفية ظانا ان الله لا يراه او ان الله لا يطلع على سره وعلانيته .

(١) من كتاب المنازل ص ٢٠ .

(٢) سورة النور آية : ٥٧ .

(٣) الاحياء ص ٤٠٣ ج ٤ .

ولذا قال الله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) (١) فمعيته
محيطة بنا فى كل سكناتنا وحركاتنا فمتى استشعر الانسان ذلك عزم
على ترك المعاصى ظاهرا وباطنا قال الله تعالى : (يَعْلَمُ خَائِنَةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (٢)
وتشمل المراقبة مراقبة النفوس قبل العمل وبعده على النحو
التالى :-

١ (مراقبة العمل قبل الشروع فيه :

ومقصودنا من ذلك الاخلاص فى العمل لله فان كان لله خالصا لا ريب
فيه امضاه وان دخله شئ ولا يسيرا من الرياء اعرض عنه لان الرياء
محبط للعمل .

٢ (وان كان مقصوده من العمل اتباع هوى الشيطان فيتوقف فيه
ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق . (٣)

٣ (مراقبة العمل عند تنفيذه :

ويقول الغزالى : (وذلك بتنفيذ كيفية العمل ليقضى حق الله فيه
ويحسن النية فى اتمامه ويكمل صورته على اكمل ما يمكنه) .

٤ (المراقبة بعد العمل :

والعمل قد يكون اما مباحا - او طاعة - او معصية .

فان كان فى طاعة : فمراقبته بالاخلاص فيه لله عزوجل وخلوصه من
الرياء . وان كان فى معصية فمراقبته بالتوبة وسرعة الندم والاقلاع
عن الذنب (٤)

والتوبة بحد ذاتها ضابط لسلوك الفرد وهى فرض على كل مؤمن
لقوله تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا) (٥) . فحثنا على التوبة من
جميع المعاصى بلا استثناء سواء كانت التوبة جزئية او كلية بمعنى

(١) سورة الحديد آية : ٤ .

(٢) سورة غافر آية : ١٩ .

(٣) الاحياء ج ٤ ص ٤٠٣ بتصرف .

(٤) الاحياء ج ٤ ص ٤٠٣ بتصرف .

(٥) سورة النور آية : ٣١ .

ان يقلع عن الذنوب او بعضا منها فهي مقبولة عند الله بمشيئته تعالى ان شاء قبل التوبة وان شاء عذب عن الذنوب لقوله تعالى :
(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (١) اى قبول التوبة راد الى مشيئته الله .

الوسيلة الثانية لضبط النفس :

تعريف المحاسبة :

وهو التمييز بين ما له وما عليه فيستصحب ما له ويؤدى ما عليه . (٢)
فكل نظر فى كثرة ومقدار العمل لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة (٣)

فالمحاسبة ضابط لاندفاع النفس وراء شهواتها واهوائها فاذا عرفت النفس انها ستوقف وتحاسب على كل صغيرة وكبيرة انقمت شهوتها عن الاندفاع وراء هوى النفس وبالتالي فالمحاسبة سبب رئيسى لامتلاك زمام النفس ونهيها عن اتباع هواها .

ولذا فان للمحاسبة فضائل كثيرة وقد حث عليها القرآن الكريم فقال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (٤)

ففى الآية دليل على وجوب محاسبة النفس (والمعنى لينظر احدكم ما قدم ليوم القيامة من الاعمال الصالحات التى تنجيه من المسيئات التى توبقه . **أى** ان صلاح القلب بمحاسبة النفس وفساده باهمالها والاسترسال معها .

وقال الحجازى والمقصود اتقوا الله حيثما كنتم وفى اى عمل عملتم ولتنظر كل نفس اى شىء قدمته من الاعمال يوم القيامة

(١) سورة الانعام ية : ٥٤ .

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) الاحياء ج ٤ ص ٣٩٦ .

(٤) سورة الحشر آية : ١٨ .

ولتحاسب نفسها عما عملت قبل ان تحاسب هي عليه .

ثم قال وفى هذا حث عظيم على النظر فيما ينفع لغد وبيان ان النظر فيه قليل (١)

وفى الحديث الشريف الحث على محاسبة النفس وقهرها وعدم اتباعها هواها (روى شداد بن اوس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) (٢)

اقوال :

ويروى عن عمر بن الخطاب قال : حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وتزينوا للعرض الاكبر وانما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا (٣)

فعمر رضى الله عنه اراد لنا الخلاص من مكر النفس ولهوها والاتجاه الى معاتبتها وعدم اهمالها لكى لا يكون الحساب العسير يوم القيامة وهذه المعاتبة من صفات المؤمنين كما قال الحسن (لا تلقى المؤمن الا يحاسب نفسه وماذا اردت تعملين وماذا اردت تاكلين وماذا اردت تشربين والفاجر يمضى قدما لا يحاسب نفسه .

وقال ايضا ان العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته . (٤)

فضيلة المحاسبة :

قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (٥)

(١) التفسير الواضح للحجازى ج ٢٨ ص ٢٣ .

(٢) سبق تخريجه . ص ٤٤٤

(٣) رواه الترمذى ج ٤ ص ٦٣٨ .

(٤) الاحياء ج ٤ ص ٤٠٥ . وقد سكت عنه العراقى .

(٥) سورة الاعراف آية : ٢٠١ .

فضيلة المحاسبة ان الانسان اذا عرض عمله فى يومه وليلته عاتب نفسه واقلع عن المعاصى ولجا الى الاستغفار والندم والتوبة وعدم تكرار الذنب ولذا قال العلماء ان المحاسبة مصالح مستفادة الا وهى :-

١ - الاطلاع على عيوب النفس :

ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه ازالته فاذا اطلع على عيبها مقتها فى ذات الله تعالى . (١)
فاطلاع على عيوب نفسه بدوام محاسبتها ومراقبتها ومناقشتها حتى يصل الى التوبة والندم والاقلاع عن الذنب .

فالنفس داعية الى المهالك معينة للاعداء طامحة الى كل قبيح متبعة لكل سوء فهى تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة (٢) ولذا فالمحاسبة لها تكون ضابطا لجنوحها واعتدادها بحالها ولجوئها الى المهالك .

٢ - ومن فوائد المحاسبة :

ان يعرف بذلك حق الله تعالى ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فان عبادته لا تكاد تجديه وهى قليلة المنفعة جدا .
فمن انفع ما للقلب النظر فى حق الله على العباد فان ذلك يورثه مقت نفسه والازدراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدى ربه والياس من نفسه وان النجاة لا تحصل له الا بعفو الله ومغفرته ورحمته (٣)
فلنلاحظ من هذا ان معرفة حق الله عزوجل هى ضابط لسلوك الفرد من نواحي عدة .

- ١ () تخلصه من العجب ورؤية العمل .
- ٢ () تفتح له باب الخضوع والذل والانكسار .
- ٣ () وبهذا يدرك المرء انه لن ينال الجنة الا بفضل ربه فتهون عليه نفسه ويدرك ضعفه وعجزه .

(١) اغاثة اللفهان ص ٨٦ .

(٢) اغاثة اللفهان ٨٥ .

(٣) نفس المرجع ٨٥ .

الوسيلة الثالثة : المجاهدة

المجاهدة وسيله امتلاك النفس . ولذا فانه ينبغي كسر هوى النفس ومنعها بآيه وسيله تؤدى الى كبح جماعها وزجرها لكى تتجه الى فعل الطاعات وتنزجر عن الهوى ولا يمكن حمل النفس الجموح الكسول على الخير واجتناب الشر الا بثلاثه اصول :

الأصل الأول :

ذكر اقواله سبحانه وتعالى في الترغيب والترهيب . (١) ومن ذلك ذكر الجنة وما فيها واحوال اهلها ومستحقها بفضل ربهم . وذكر اهل النار وما يحيط بهم من عذاب وما هم فيه من ويلات وانتكاسات وخلود ابدى مما يجعل النفس تنزجر وتقلع عن اتباع الهوى فيجمع الانسان بين الخوف والرجاء فالخوف دافع الى الزجر عن المعاصى فان النفس الامارة بالسوء مياله الى الشر طامحه الى الفتنة فلا تنتهى عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ فكما ان الخوف دافع الى الزجر عن المعاصى فهو ضابط للسلوك يمنع الفرد من الوقوع فيما يغضب الله خوفا منه وكذا الرجاء يمكن ان يكون باعثا للطاعات دافعا الى فعل الخيرات فارضاء القوى في رحمه الله والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكريم اجره دافع الى فعل الخيرات ورضى الرب جلا وعلا .

والرجاء ايضا ضابطا لسلوك الفرد المسلم اذ يؤمله بالفرج بعد الكرب والشفاء بعد المرض وقدرة الرب على الظالم والثواب العظيم للصابر مما يكون دافعا له الى الالتحاق الى الله عز وجل وتعلق الرجاء به جلا وعلا (٢)

(١) منهاج العابدين ص ٦٩ - طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربيه

ابى حامد الغزالى

(٢) منهاج العابدين ص ٦٩ - ٧٠ بتصرف شديد .

كما أن الرجاء يكون ضابطاً لسلوك الفرد فيدفعه الى الصبر والانضباط وتحري الأجر من الله والصبر بحد ذاته ايضاً ضابط لسلوك الفرد ولاندفاع وراء الشهوات ورغباته .

تعريف الخوف :

الخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن تقتضي ضرباً من الاستعظام والمهابه (١) ومن هنا كان الخوف ضابطاً لسلوك الفرد فالعرشه والرهبه التي يشترعربها الفرد تمنعه من ممارسه فعلته القبيحه وتمنعه من التجرؤ على الله عز وجل وارتكاب المحرم .

تعريف الرجاء :

هو ابتهاج القلب بمعرفه فضل الله سبحانه واسترواحه الى سعه رحمه الله تعالى . (٢)

ومن هنا كان الرجاء دافعا الى الصبر لينال عظيم فضل الله وسعه رحمته فيأمل بالجنه ونعيمها والنصر على الظالم لينضبط سلوكه وتسمو روحه والرجاء دافع الى التوبه والاقلاع عن الذنب فاذا تعلقت النفس بالله عز وجل وقوى الرجاء به لجأ الى ربه واقلع عن ذنبه لذا قال الله تعالى : (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) (٣) (وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) (٤) وقال الله تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) (٥) والخوف ايضاً دافع للتوبه سواء كان الخوف من العقوبه الدنيويه

(١) منهاج العابدين مرجع سابق ص ٧١ .

(٢) منهاج العابدين مرجع سابق ص ٧١ .

(٣) سورة المائدة آيه (٥٣)

(٤) سورة آل عمران آيه (١٣٥) .

(٥) سورة الاعراف آيه (١٥٦)

١ والعقوبة الأخروية وهو دلالة على عمق ايمان المرء بربه عز وجل
 فاذا صدق المرء بالعقوبة الأخروية خاف هذه العقوبة فلجأ الى
 التوبة وقد وردت فى القرآن آيات للتخويف فقال الله تعالى :
(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (١)
 وقال تعالى: **(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ**
بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) (٢)

فكل من الخوف والرجاء دافع للعمل للأخرة ونيل رضى الرب جل وعلا
 فالرجاء والخوف يتشاطران فى التأثير على المؤمن حتى يصبح تقيا
 يصرفه الرجاء عن الشر وبردعه الخوف عن المعاصى ومما يساعد على
 العمل للأخرة ومكابدة الهوى :-

(١) صدق الندم على ما مضى .

(٢) العزم على الا يعود .

(٣) مجانبه الخلطاء الذين يقيمون على الذنب ويصبرون عليه .

ومخالطه من يعينه على ما يريد من التقوى والعبادة .

(٤) يجعل الموت نصب عينيه فلا يأمن فى كل وقت يأتى عليه الموت قبل
 ان يقضى ما منه اراد .

(٥) لا يبيع الطاعات بالمعاصى لأن كل من هم بمعصيه باع ضدها

من الطاعة (٣) .

واذا فان النفس بحاجة الى العناية بها والزامها كلمه التقوى

والاستمرار معها حتى تنال رضوان الله عز وجل بوسائل مختلفه ومنها :

(١) مصحابه الاخيار من المجتهدين بالعبادة المتقربين الى الله عز

وجل وبالمقابل ترك صحبه الاشرار والذين صحبتهم تورث

المهلك وهذا الفصل سيأتى الاشارة اليه فى فصل ((صحبه الاخيار

ومفارقة الاشرار مفصلا)) .

(١) سورة المؤمنون آيه (١١٥)

(٢) سورة النساء آيه (١٢٣) .

(٣) المسائل فى اعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل - الحارث

بن اسد المحاسبى تعليق وتحقيق عبد القادر احمد عطا - الناشر

عالم الكتب القاهرة - دار الثقافة العربيه للطباعة ص ٧١ بتصرف

(٢) الاقتداء بالسلف الصالح وسماع اخبارهم وتتبع احوالهم وانواع عبادتهم ومجاهدتهم لانفسهم ولذا قال الغزالي " فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله " (١)

الاصل الثانى :

التفكر فى افعاله عز وجل حيث لا يؤمن مكر الله فمتى تذكر الانسان قدرة الله على عباده وانه قد يجعل لهم العقوبة بالدنيا او يؤخرها لهم بالآخرة بل وحتى الانبياء قد نالتهم الابتلاء كما حصل لادم عليه السلام عندما عصى ربه مرة واحدة فكانت ان انزل من الجنة الى الارض ونوحا عليه السلام عندما لم يقل الا كلمه واحدة فى غير وجهها اذ نودى (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (٢) ثم يونس عليه السلام عندما ذهب مغاضبا فسجنه فى بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادى (اِنْ لَا اِلَهَ اِلَّا اَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (٣)

قال الله تعالى : (فَالْتَقِمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا اَنْ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ اِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) (٤)

وهكذا سائر المرسلين فاذا وقفنا وقفه واحدة مع هؤلاء المرسلين الكرام على الله عز وجل ووجدنا انه لن يفلت من عذاب الله احد فهم احق بالتكريم والغفران ومع هذا فقد عاتبهم وقد عاقب بعضهم بما يتناسب مع ذنبه اذا وقفنا هنا كان الاجدر بنا الا نعصى الله عز وجل وان تكون هذه النظرة دافعا لنا لطاعة الله وحدة وضابطا لسلوكنا

(١) الاحياء ج ٤ ص ٤١٦ .

(٢) سورة هود آيه (٤٦)

(٣) سورة الانبياء آيه (٨٧) .

(٤) سورة الصافات آيه (١٤٣) .

من الانحراف والمعصية فتلجم النفس بلجام التقوى وتقلع عن السيئات والمحرمات وعن الأهواء والشهوات والتي هي بطبعها مياله اليها صائرة بطبعها الى هوى النفس وشهواتها وحقيقه ان هذا مجاهدة ومكابرة يحتاج الى وقت طويل وتعويد لهذه النفس الجنوح على الخير حتى تعتادة .

الأصل الثالث :

ومما يكون دافعا الى ضبط النفس ايضا ومجاهدة أهوائها وشهواتها تذكيرها بالآهوال الخمسة ((الموت - القبر - القيامة - الجنة - النار)) وما ورد في كل مقام منها من الاجر العظيم للمطيعين والمجتهدين والعذاب للعاصين والمقصرين (١) فالموت حقيقه شابته مشاهدة ومحسوسه فتذكر الموت وانظر الى القبور واحوال الامم السابقه والتي فنت وقوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (٢) كل هذا يكون ضابطا لانغماس النفس وراء شهواتها وملذاتها .

ثم اذا تذكروا ما وراء الموت من القبر وضيقه او سعته وما فيه من نعيم او أهوال وكون القبر روضه من رياض الجنة او حفرة من حفر النار اذا تذكر هذا انزجرت النفس من اتباع رغباتها وأهوائها . ثم تذكر القيامة وأهوالها فقد قال تعالى : (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (٣) (يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَبْنِيهِ وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤيه ومن في الأرض جميعاً ثم يُنْجِيهِ) (٤)

(١) منهاج العابدين - مرجع سابق ص ٧٧ .

(٢) سورة الزمر آيه (٣١)

(٣) سورة الحج آيه (٢)

(٤) سورة المعراج آيه (١١-١٢-١٣-١٤-١٥)

كفى بهذه الآيه دليلا على أهوال ذلك اليوم والمرجع والمال فاذا
ايقن الانسان بهذه الأهوال جاهد نفسه على اللجوء الى الله والاعتصام
من اتباع الشهوات والأهواء اما الجنة والنار فالجنة دافع للعمل
والمسابقه فى الخيرات " وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ " (١) فالجنة دافع الى المسابقه فى
طلب رضى الله عز وجل ونيل رضوانه ليتمتع الانسان بجناته كما ان
النار ضابط عن الاندفاع وراء الشهوات المحرمه واتباع هوى النفس
فمتى تذكر الانسان العذاب المقيم واصنافه المتعددة سارع الى
المبادرة الى التوبة والندم والاقلاع عن الذنب واللجوء الى الله
عز وجل .

الفصل السابع

الرغبة في الجنة وما فيها
والرهبة من النار وما فيها

((الرغبة فى الجنة وما فيها والرهبة من النار وما فيها))

ان استخدام اسلوب الترغيب من اكبر وسائل التربية ودافع قوى الى الانتاج كما ان للترهيب عنصر فعال فى التربية وضابط للسلوك البشرى هذا ما اثبته علماء النفس ولكن السبق كان لكتاب الله عز وجل واحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم فقد استخدم القرآن كلا الاسلوبين فى تربية النفس البشرية فكشف لنا الحجاب عن بعض المغيبات وبلغ عن بعض الصفات التى فى الجنة وفى النار مما يدركه البشر ومما هو ملموس عندهم مع التباين بين النوعين وما فيها فما فى الجنة من الدنيا الا المسميات لكى تكون دافعا لنا الى العمل وكذا بالنسبة الى النار فهى ليست كنار الدنيا ولكنها تربو وتزيد عليها بسبعين جزاء فهذه النار المحسوسة لا يستطيع البشر تحملها فكيف بنار الآخرة فهى ضابط اذاً اعمال الشر ووسيله من وسائل الترهيب يخوف الله بها عبادة المؤمنين ولذا فساعرض فى هذا الفصل الى معنى الرغبة والرهبة ومعنى الجنة وكيف استخدم القرآن اسلوب الترغيب للتقرب الى الله ونيل الجنة وكذا الاحاديث الواردة فى الترغيب لعمل اهل الجنة ثم نخرج الى ان الجنة دافع الى عمل الخير وكذا بالنسبة لاسلوب الترغيب من النار وكيف استخدم القرآن التخويف من النار بذكرها وبيان انواع العذاب فيها وكذا الاحاديث الواردة فى هذا الشأن ثم النار ضابط عن عمل الشر خوفاً من الوقوع فيها .

الترغيب :

رغبة اعطاء ما رغب - والرغائب ما يرغب فيه من الثواب العظيم يقال رغبه ورغائب وقيل هى ما يرغب فيه ذو رغب النفس ورغب النفس سعة الامل وطلب الكثير والمرغب الاطماع والمرغب المضطربات للمعايش ودعا الله رغبة وفى التنزيل العزيز (يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) (١) .

ورغبا بالتحريك ارادة فهو راغب وارتغب فيه مثله . (١)
 وفي البصائر : الرغبة فى الشيء : ارادته يقال رغب فيه رغبا ورغبه
 ارادة ورغب عنه : لم يرددة ورغب اليه رغبا وقيل توسع فى ارادته
 اعتبارا بأن اصل الرغبة . (١) السعه فى الشيء
 الرهبة :

رهب بالكسر يرهب رهبة ورهبا بالضم ورهبا بالتحريك أى تقول
 الرهباء من الله والرغباء اليه . وارهبه واسترهبه اخافه وفزعه (٢)
 وفى البصائر : رهبه ورهباً ورهباناً بالضم ورهباناً بالتحريك خاف
 مع تحرز واضطراب .
 وقال تعالى : (وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) (٣) أى من الفزع
 (وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ) (٤) أى حملوهم على أن يرهبوا (٥)
 الجنة فى اللغة :

جن الشيء يجنه جناه سترة وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك وجنه
 الليل يجنه جناه وجنونا وجن عليه يجن جنونا واجنه سترة (٦)
 الجنة فى الاصطلاح :

الجنة وهو اسمها العام المتناول الدار الآخرة وما اشتملت عليه
 من انواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقررة الاعين .

- (١) لسان العرب ج ١ ص ٤٢٢ ، ٤٤٣ . بتصرف .
- (٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز / تأليف الفيروز
 بادی - ج ٣ ص ٨٩ .
- (٣) لسان العرب ج ١ ص ٤٣٦
- (٤) سورة القصص آيه (٣٢) .
- (٥) سورة الاعراف آيه (١١٦)
- (٦) البصائر - ج ٣ ص ١٠٠ .
- (٧) لسان العرب ج ١٣ ص ٩٢ .

وأصل اشتقاقها من الستر والتغطية لأن أشجارها كثيفة الأغصان تستر وتغطي ما وراءها (١)

والجنة مكان النعيم الذى أعده الله لثواب المحسنين فى الدار الآخرة والجنات جمع جنة إشارة الى أقسام ومراتب داخل الجنة وإن كل قسم منها وكل مرتبه يسمى جنة أيضا . (٢) فالجنة اسم من أسماء أحد العظيمنتين وهما الجنة والنار ومعناة البستان الكثير الشجر . (٣)
أولا : الجنة :

وسوف اتطرق الى وصف نعيم الجنة ونعيم أهلها وسعتها والنعيم المقيم الملازم لأهلها وما ورد فى ذلك ثم الأحاديث النبويه فى وصف الجنة . قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (٤)

يقول الألوسى والمراد أنها غاية السعه بما هو فى تصور السامعين ولذا خص العرض دون الطول وليس المقصود تخصيص العرض (٥) وفى الآية حث المسارعه الى مغفرة الله التى بها ينال الدخول فى الجنة ويشمل جميع أعمال الخير والاسلام سواء كان بأداء الفرائض والطاعات من صلوات أو جهاد أو توبه أو نحوه وإلى هذا أشار

(١) نعيم الجنة فى القرآن والسنة - ص ٩ - عبد اللطيف عاشور

مكتبة القرآن - مطابع المختار الإسلامى .

(٢) سورة الرعد دراسه أدبيه ولغويه وفكريه - عبد الرحمن حسن

الميدانى - عكاظ للنشر ج ٢١ ص ١٧٠ .

(٣) حياة أهل الجنة - محمود شلبى - ص ٢٢ دار الجيل - بيروت

(٤) سورة آل عمران آيه (١٣٣) .

(٥) روح المعانى ج ٤ ص ٥٧ .

الالوسى بقوله: (والظاهر العموم ويدخل فيه سائر الانواع . (١)
ونلمس فى هذه الآية الحث على المبادرة لنيل مغفرة الله ورضوانه
وهى الدافع الى هذه التضحيه العظيمه فما دام المؤمن يعلم انه إن
اتقى محارم الله وضبط شهواته فإن له هذه الجنة التى عرضها
السموات والأرض فيندفع بكل ما وهبه الله من دوافع لنيل هذه
المغفرة العظيمه فهو يضحي بشهواته ورغباته ويعمل المكارة ويصبر
عليها ارضاء لربه .

وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالمَكَارَةِ وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) (٢)
هذا الحديث فيه من الدوافع والضوابط التى تدل على الترغيب
والترهيب فقد حفت الجنة بالمكارة وذلك لضبط الشهوات وحسن تصرفها
وان رغب الانسان في غيرها الا انه يرى ما هو اعظم منها فتندفع تلك
الشهوة ويصير على المكارة ويقول النووى : (اما المكارة فيدخل
فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبه عليها والصبر على مشاقها
وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقه والإحسان الى المسيء والصبر عن
الشهوات ونحو ذلك) (٣)

ويبتعد عن الشهوات وان كانت فى نفسه دوافع تدفعه اليها ويقول
النووى (والظاهر انها الشهوات المحرمه كالخمر والزنا والنظر الى
الاجنبيه والغيبه واستعمال الملاهى ونحو ذلك واما الشهوات المباحه
فلا تدخل فى هذه لكن يكره الاكثار منها مخالفة ان يجر الى المحرمه

(١) روح المعانى ج ٤ ص ٥٧ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب الجنة وصفه نعيمها واهلها ج ١٧
ص ١٦٥ وأخرجه البخارى كتاب الرقاق باب حفت النار بالشهوات
ج ٨ ص ١٢٧ وأخرجه الترمذى كتاب الجنة باب ما جاء حفت الجنة
بالمكارة وحفت النار بالشهوات ج ٤ ص ٦٩٣ حديث ٢٥٥٩ وأخرجه
أحمد ج ٢ ص ٦٠

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٦٥ المجلد ٩ .

أو يقسى القلب أو يشغل عن الطاعات أو يحوج الى الاعتناء بتحصيل الدنيا (١)

وقد ذكر القرآن فى وصف انهار الجنة قال تعالى :
(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ) (٢)

هذا شروع فى وصف الجنة وبيان ما فيها والمراد مثل الجنة وصفها العجيب الشأن .

ثم ذكر سبحانه ما فى الجنة فقال فيها انهار من ماء غير آسن . فهذا وصف لانهار الجنة انهار من لبن . قال الله تعالى (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) أى لم يحمض كما تتغير البان الدنيا لانها لم تخرج من شروع الابل والغنم والبقر . ومن انهار الجنة ايضا انهار الخمر قال الله تعالى : (وانهار من خمر لذة للشاربين) أى لذية الطعم طيبه للشرب لايتكرها الشاربون

ومن انهار الجنة نهر العسل المصفى قال الله تعالى : (وانهار من عسل مصفى) أى مصفى مما يخالطه من الشمع والقذى والعكر والكدر ولهم ايضا من كل الثمرات فقال الله تعالى : (ولهم فيها من كل الثمرات) أى لأهل الجنة فى الجنة مع ما ذكر من الاشربة من كل الثمرات أى من كل صنف من اصنافها ولهم ايضا (٣) (ومغفرة من ربهم) فهذا كشف لنا لبعض ما فى الجنة من انهار مختلفه الطعم طيبه المذاق لا يخالطها كدر ولانكد ولهم ايضا من كل انواع الثمرات مما تشتهيهم انفسهم فضلا من الله ونعمه وفوق ذلك لهم الراحة

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٦٥ المجلد ٩ .

(٢) سورة محمد آيه (١٥) .

(٣) تفسير فتح القدير - ج ٥ ص ٣٤ .

النفسيه فقد تحقق لهم المغفره من الله وكل ذلك جاء على وجه التقريب الى الافهام لان اللغات البشريه موضوعه فى الأصل للتعبير عن الاشياء الارضييه ومن المحقق ان انهار الجنه ليست كأنهار الدنيا ولالبنيها ولا عسلها وخمرها . (١) اذافى الجنه كل شئ ففيها الظل الممدود عن انس بن مالك رضى الله عنه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقُطَعُهَا**) (٢) والمراد فى ظلها أى فى نعيمها وراحتها وفيه اشارة على امتدادها (٣) ويقول النووى (المراد بالظل كنفها وذراها وهو ما يستر اغصانها . (٤) اما عن نعيم الجنه الدائم الذى لا ينقطع فيحدثنا القرآن الكريم ورسوله الأمين صلى الله عليه وسلم عن هذا النعيم الدائم : فقد وعد الله الموحدين بالخلود الدائم (٥) فقال الله تعالى : (**أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِلَّا لَمَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمَعَذَّبِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا لَهْوَ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ**) (٦)

(١) تعريف عام بدين الاسلام ج ١ ص ١٣٥ - على الطنطاوى - مؤسسة الرساله .

(٢) أخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب ما جاء فى صفه الجنه وانها مخلوقه ج ٤ ص ١٤١ وكتاب الرقاق باب صفه الجنه والنار ج ٨ ص ١٤٢ . وأخرجه مسلم كتاب الجنه وصف نعيم اهلها ج ١٧ ص ١٦٧ - ص ١٦٨ وأخرجه الترمذى كتاب الجنه باب ما جاء فى صفه شجر الجنه ج ٤ ص ٦٧١ حديث رقم ٢٥٢٣ - ٢٥٢٤ - ٢٥٢٥ - وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب صفه الجنه ج ٢ ص ١٤٤٧ حديث ٤٣٣٥ وأخرجه احمد ج ٢ ص ٢٥٧ - ٤٠٤ و ج ٣ ص ١١٠ - ١٣٥ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٣٢٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٦٧ .

(٥) حادى الارواح ص ٢٩٧ .

(٦) سورة الصافات آيه ٥٨ - ٥٩ (

" هذا يوقظ القلوب ويوجهها الى العمل والتسابق لمثل هذا المصير وهذا النعيم الذى لا يدركه فوت ولا يخشى عليه من نفاذ ولا يعقبه موت ولا يتهدده العذاب . (١) وفى الحديث النبوى ما يدل على خلود اهل الجنة فى نعيمهم وطمأنينتهم لا يكدر صفوهم التفكير بالموت ولا انقطاع هذا النعيم

فعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَيْئَسُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ) (٢) فمن يدخل الجنة لا يصيبه بأس وهو شدة الحال . وينعم اى يدوم له النعيم . وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يَنْادِ مُنَادٍ اِنَّ لَكُمْ اَنْ تَصْحَوْا فَلَا تَسْقُمُوا اَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ اَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا اَبَدًا) (٣) وَإِنَّ لَكُمْ اَنْ تَشْبَوْا فَلَا تَهْرَمُوا اَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ اَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَفْنَوْا اَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَنُودُوا اَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ اَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٤)

فنلاحظ من هذه الاية وهذين الحديثين وسائل الترغيب على النحو التالى :

- (١) الخلود فى النعيم .
- (٢) الحياة الدائمة فلا موت ابدًا
- (٣) النجاة من العذاب .
- (٤) لا تبلى ثيابه .
- (٥) ليس هناك امراض ولا ابتلاء باى صنف من اصناف البلاء .
- (٦) الشباب الدائم .

-
- (١) فى ظلال القرآن - سيد قطب - ص ٢٩٨٨ ج ٥ - دار الشروق .
 - (٢) اخرجه مسلم كتاب الجنة وصفه نعيمها واهلها واللفظ له ج ١٧ ص ١٧٥ بشرح النووى واخرجه احمد ج ٣ ص ٣٨ .
 - (٣) اخرجه مسلم كتاب الجنة وصفه نعيمها ج ١٧ ص ١٧٥ بشرح النووى .
 - (٤) سورة الاعراف آية (٤٣) .

ومن نعيم أهل الجنة ما لم يخطر على بال أحد قال الله تعالى : (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (١) وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَعْيُنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذَخْرًا بَلَّهَ مَا أَطْلَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ) (٢) ((فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (٣) وسائل الترغيب فى الآيه والحديث :

(١) الجنة تقرب فلا يكلفون مشقه السير اليها بل هى التى تجى (وازلفت الجنة للمتقين)

(٢) ونعيم الرضى يتلقاهم مع الجنة (هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجىء بقلب منيب) فيوصفون هذه الصفه مع الملا الاعلى ويعلمون انهم فى ميزان الله اوابون حفيظون يخشون الرحمن ولم يشهدوه منيبون الى ربهم طائعون .
(٣) ثم يؤذن لهم بالدخول بسلام لغير ما خروج (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) .

(١) سورة ق آيه (٣١- ٣٢- ٣٣- ٣٤- ٣٥)

(٢) اخرجه مسلم كتاب الجنة وصفه نعيمها واهلها ج ١٧ ص ١٦٦ واللفظ له بشرح النووى واخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب ما جاء فى صفه الجنة وانها مخلوقه ج ٤ ص ١٤٣ واخرجه احمد ج ٢ ص ٣١٣ ص ٣٧٠ - وكتاب التفسير سورة السجدة ج ٤ ص ١٤٤ - ١٤٥ واخرجه ابو نعيم فى صفه الجنة ج ١ ص ١٤٨ تحقيق على رضا عبد الله دار المأمون للتراث

(٣) سورة السجدة آيه (١٧)

(٤) ثم يؤذن فى الملا الأعلى تنويها بشأن القوم واعلانا بما لهم عند ربهم نصيب غير محدود (لهم ما يشاءون فيها ولديننا مزيد) . وهذا مصداقا للحديث عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (اَعَدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) (١) فمهما اقترحوا فهم لا يبلغون ما اعد لهم فالمزيد من ربهم غير محدود (٢) ولكن هذا النعيم الدائم قد نصت الآية عليه المستحق له واشارات الى ان هذه الدوافع كلها تحتاج الى ضوابط تضبط سلوك المرء فهى ليست جزافا ينالها المؤمن مع الكافر لكن لها ضوابط اشارت اليها الآية :

(١) فهى للمتقين : فالتقوى ان تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية وذلك بفعل المأمرو والبعد عن المحذور .
 (٢) سرعة التوبة والإنابة إلى الله عز وجل لتكون ضابطا عن الذنب والاصرار عليه كما قال تعالى : (لِكُلِّ اَوَّابٍ خَفِيزٌ) (٣)
 (٣) الخوف والخشية من الله عز وجل وهذه كلها من مظاهر التقوى وهو اولى الضوابط التى تمنع من الاندفاع وراء الشهوات .
 ومن نعيم اهل الجنة :

قال الله تعالى (وَبَشِّرِ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اَنَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَاتُّوا بِمِثْلِهَا وَلَهُمْ فِيهَا اَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٤)

(١) سبق تخريجه ص ٣٢٠

(٢) فى ظلال القرآن - سيد قطب ج ٦ ص ٣٣٦٥ مرجع سابق .

(٣) سورة ق آية (٣٢) .

(٤) سورة البقرة يه (٢٥)

لما ذكر تعالى جزاء الكافر عقبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد في كتابه العزيز لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعته وتنشيط عباده الكافرين عن معاصيه (١)

وسائل الترغيب في الآيه :

- (١) استخدام القرآن وبشر والتبشير هو الإخبار بما يظهر آثره على البشر وهي الجلدة الظاهرة من البشر والسرور .
 - (٢) ان لهم جنات : الجنات البساتين وانما سميت جنات لاثها تجن من فيها اى تسترة بشجرها . وهي اسم لدار الثواب كلها وهي مشتمله على جنات كثيرة
 - (٣) تجرى من تحتها الانهار : والانهار جمع نهر وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
 - (٤) ينالون ثمارها :
- والمراد انواع الثمرات كالذى يعرفونه فى الدنيا وان اختلف فى الحجم والطعم والرائحة (٢) وقال ابن المبارك فى تفسيره قوله تعالى : (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) (٣)
- قال اهل الجنة ياكلون الثمار من الشجر كيف شاءوا جلوسا ومضجعين كيف شاءوا . (٤)

(١) تفسير فتح القدير ج ١ ص ٥٤ " مرجع سابق "

(٢) تفسير فتح القدير ج ١ ص ٥٤ - ٥٥ بتصرف شديد

(٣) سورة الانسان آيه (١٤) .

(٤) التذكرة فى احوال الموتى وامور الآخرة - للقرطبي ص ٨٥

٥) لهم فيها ازواج مطهرة :

أى لم يصيبهن ما يصيب النساء من قذر الحيض والنفاس وسائر
الأناس ومع ذلك فهن ابكارا كما قال الله تعالى : (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ
وَأَنْشَأَ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَتْرَابًا) (٢) (وهن عجائز الدنيا
أنشأهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن أزواجهن وجودهن ابكارا) (٣)
٦) وهم فيها خالدون :

البقاء الدائم الذى لا يقطع . فهذه الوسائل هى للحث والدوافع
الى العمل والانتاج لما يرضى الله عز وجل والبعد عن كل مساخطه
فهذا نعيم دائم غير زائل ولاناقص بل هى من تمام النعم التى يدوم
فيها الخلود الابدى لاتنقص ولاتتبدل الا بما هو افضل منها وهى سواء
كانت نفسيه او ماديه ملموسه او غير ملموسه لتدخل الفرح والسرور
على النفس والراحه التامه للفرد المؤمن وجمع سبحانه في هذه
البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من انهار ونعيم النفس
بالازواج المطهرة ونعيم القلب وقره العين بمعرفة دوام هذا العيش
ابد الاباد وعدم انقطاعه . (٤)
ومن نعيم الجنة :-

دخولهم زمرا وجماعات : قال الله تعالى : (وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى
صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ) (٥) .

(٢) سورة الواقعة آيه (٣٥ - ٣٦ - ٣٧) .

(٣) تفسير فتح القدير ج ١ ص ٥٤ - ٥٥) بتصرف .

(٤) حادى الارواح ص ١٥٦ - ص ١٥٧ .

(٥) سورة الزمر آيه (٧٣ - ٧٤)

هذا اخبار عن حال السعداء والمؤمنين حين يساقون الى الجنة جماعه
بعد جماعه .

وسائل الترغيب فى الآيه :

(١) يكون دخول الجنة جماعات - كل طائفه مع ما يناسبها الانبياء مع
الانبياء والصديقون مع الصديقون والشهداء والعلماء مع زمريتهم
وكل صنف مع صنف وكل زمرة تناسب بعضها بعضا . (١)

وفى هذا الدافع للترقى والتقرب الى الله ليعلوا المرء مع من
يحب من هذه الجماعات فيكون مع زمرة من احب من الانبياء
والصديقين والشهداء كما قال صلى الله عليه وسلم عن انس بن
مالك رضى الله عنه : (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) (٢)

(٢) الامن والسلام لهم - (وقال لهم حزننها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين) فتفتح لهم الابواب تعظيما وتكريما وتلقاهم الملائكة
الخنه بالبشارة والسلام والثناء . (٣)

فهذه الراحة النفسيه والامن والسلام والترحاب نجدها فى آيات
كثيرة فى القرآن الكريم : قال الله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٤ ص ٦٦ مرجع سابق .

(٢) أخرجه البخارى واللفظ له كتاب الادب باب المرء مع من احب ج ١٦
ص ٤٨ - ٤٩ وأخرجه مسلم كتاب البر باب المرء مع من احب
ج ١٦ ص ١٨٦ وأخرجه الترمذى كتاب الزهد باب المرء مع من احب
ج ٤ ص ٥٩٥ - وكتاب الدعوات باب ٩٩ ج ٥ ص ٥٤ وأخرجه احمد ج ١
ص ٣٩٢ و ج ٣ ص ١٠٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ٤ ص ٦٦ .

(٤) سورة فاطر آيه (٣٤)

فهذه من النعم النفسية وهى وسيلة للترغيب . فالدنيا بما فيها من قلق على المصير ومعاناة للأمور تعد حزنا بالقياس الى هذا النعيم المقيم يوم الحشر على المصير مصدر حزن كبير . (١)

وقال الله تعالى فى سورة العنكبوت مما يدل على الأمن والراحة قال الله تعالى : (خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (٢)

فهذا الثناء وهذا النعيم الدائم لايتسنى لكل احد بل ارشدنا القرآن الى الضوابط التى ينال بها هذا النعيم فقال هذا خاص لمن صبر وتوكل على الله فالصبر من اولى الضوابط الذى به ينال الثواب الحسن .

ومن هذه الضوابط حسن التوكل على الله فلا هم ولاغم بل هو قد توكل على الله عز وجل حق توكله فنال بهذا التوكل هذا النعيم المقيم بفضل الله عزوجل ويقول سيد قطب (هذا حث على العمل والصبر والتوكل على الله وفى هذا من التثبيت والتشجيع لهذه القلوب فى موقف القلق والخوف والحاجة الى التثبيت والتشجيع) (٣)

وقال الله تعالى فى سورة النبأ : (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا) (٤)

فالراحة النفسية تشمل كل من دخل الجنة فلا لغو ولا غلط يقول سيد قطب : (فالحياة مصونه من اللغو والتكذيب الذى يصاحبه الجدال فالحقيقه مكشوفه لامحال فيها لجدل ولا تكذيب كما انه لا مجال للغو الذى لا خير فيه هوى حاله من الرفعه والمتعه تليق بدار الخلود) (٥)

(١) الظلال ج ٦ ص ٢٩٦١ .

(٢) سورة العنكبوت آيه (٥٨ - ٥٩)

(٣) الظلال ج ٥ ص ٢٧٤٩ .

(٤) سورة النبأ آيه (٣٥ - ٣٦)

(٥) الظلال ج ٦ ص ٣٨٠٨ .

ومن النعيم الذى اشار اليه القرآن ترغيبا لعباد الله المخلصين

وصف نساء اهل الجنة فقد جاء قوله تعالى :

(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) (١)

وقال فى سورة الصافات : (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) (٢)

وقال الله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٣)

وفى هذه البشارة : نعيم النفس بالازاج المطهرة - والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل اذى يكون من نساء الدنيا . فطهر مع ذلك باطنها من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من ان تطمح به الى غير زوجها وطهرت اثوابها من ان يعرض لها دنس او وسخ . (٥) (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) (٦) اى حور حليات لاتمتد ابصارهن الى غير اصحابهن حياء وعفه من انهن واسعات

(١) سورة الرحمن آيه (٥٦ - ٥٧ - ٥٨)

(٢) سورة الصافات آيه (٤٨)

(٣) سورة البقرة آيه (٢٥)

(٤) حادى الارواح ص ١٥٧ - دار القلم - بيروت - لابن الجوزيه .

وانظر ايضا التذكرة للقرطبى ص ٥٨٨ .

(٥) سورة الصافات آيه (٤٨) .

جميعات العيون وهى كذلك مصونات مع رقه ولطف ونعومه (كَانَهُنَّ ^{بِيضٌ مَكْنُونٌ}) (١) لاتبذله الايدى ولا العيون (٢).

واخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوُّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ قَالُوا فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ قَالَ جُشَاءٌ وَرَشَحَ كَرَشَحِ الْمِسْكِ يَلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تَلْتَهُمُونَ النَّفْسُ) (٣) وهذا يؤيد ما ذهب اليه المفسرون من طهارة نساء اهل الجنة ظاهرا وباطنا . وجاء فى وصف نساء اهل الجنة من تمام الجمال كما قال تعالى (وَكَوَاعِبٌ أَتْرَابًا) (٤) ومن الفتيات الناهدات اللواتى استدار ثديهن . وهى متوافيات السن والجمال . (٥) وقال تعالى : (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ^{إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}) (٦)

قال ابو عبيده لم يمسهن - ولم يطمهن ولم يغشهن . وذهب ابن الجوزى الى انهن لسن من نساء الدنيا وانما هن من الحور العين اللاتى خلقهن الله فى الجنة . (٧) فالنساء قد خلقهن الله للمتعة للازواج وهن من المحببات لنفس الرجال والمرأة من اقوى الدوافع وحب النساء دافع فطرى فى النفس البشرية ومن اجل هذا الحب جعل وسيله للترغيب والتقريب للجنة فالحور العين والنساء اللاتى ذكرن فى القرآن وسائل الترغيب العاملين وترغيب المؤمنين للعمل وضبط الشهوات .

(١) سورة الصافات آية (٤٩)

(٢) الظلال ج ٥ ص ٢٩٨٧

(٣) اخرجه مسلم كتاب الجنة باب الجنة وصفه نعيمها واهلها ج ١٧ ص ١٧٤

(٤) سورة النبأ آيه (٣٣)

(٥) الظلال ج ٦ ص ٣٨٠٨ .

(٦) سورة الرحمن آيه (٥٦)

(٧) حادى الارواح ص ١٦

فالأعمال الصالحة مهوّر للهور العين فى الجنة فقال الله تعالى
 : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ) الى قوله (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) (١) ويقول ابو هريرة
 : (يتزوج احدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين
 باللقمه والتمرة والكسوة) (٢) اى بالصدقات وبالتقرب الى الله
 بالחסنات فهذا مهرن كما يرى ابو هريرة رضى الله عنه ومن نعيمة
 اهل الجنة ذلك الشراب الطهور الذى ذكر فى آيات عدة واحاديث نبويه
 كريمه ترغيبا للعمل الصالح الذى ينال به رضوان الله تعالى .
 فقال الله تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ
 لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) (٣) وقال الله تعالى
 : (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ
 وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) (٤)
 وقال الله تعالى : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ
 أَتْرَابًا . وَكَأْسًا دِهَاقًا) (٥) .

يقول سيد قطب تلك اجمل اوصاف الشراب التى تحقق لذة الشراب
 وتنفى عقابيله فلا خمر يصدع الرؤوس ولا منع ولا انقطاع يذهب بلذة
 المتاع (٦) ويطاف عليهم بالخمر والمعين الماء الجارى فلا تغتال
 عقولهم ولا يصيبهم منها صدام (٧) .

(١) سورة البقرة آية (٢٥)

(٢) التذكرة - ص ٥٥٧ مرجع سابق

(٣) سورة الصافات آية (٤٥ - ٤٦)

(٤) سورة المطففين آية (٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨)

(٥) سورة النبأ آية (٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤)

(٦) الظلال ج ٥ ص ٢٩٨٧ .

(٧) التذكرة - ص ٥٨٧ .

وجاء في وصف الخمره انها مختومه تفرض عند شربها (١) وقال ابن المبارك عن ابي الدرداء ختامه مسك اى شراب ابيض مثل الفضة يختتمون به اخر شرابهم (وكأسا دهاقا) وهى مناعم ظاهرها حسى لتقريبها للتصوير البشرى اما حقيقه مذاقها والمتاع بها فلا يدركها اهل الارض وهم مقيدون بمدارك الارض وتصوراتها (٢)

وهذه كلها دوافع لكى يتنافس عليها المتنافسون ولذا قال الله تعالى: (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) (١ فى الاعمال الصالحه) (٣) وهذا النعيم الغير متناهى يستمر ليشمل طعامهم . قال الله تعالى : (وَإِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ . وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٤)

وقال الله تعالى : (وَاَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) (٥)

وهذا الطعام الهنىء المرئى نزلا وتكريما لاهل الجنه ووسيله من وسائل الترغيب حيث انه من المعروف قوة الدافع الى الطعام من اجل البقاء فالبحث عن الطعام دافع فطرى فى النفس البشريه فهم يبشرون بهذة النعم الدائم .

ويقول سيد قطب : (لهم فواكه وهم على سرر متقابلين وهم يخدمون فلا يتكلفون شيئا من الجهد فى دار الراحة والرضوان والنعيم) (٦)

(١) الظلال ج ٦ ص ٣٨٥٩ .

(٢) الظلال ج ٦ ص ٣٨٠٨ .

(٣) التذكرة - ص ٥٨٨

(٤) سورة المرسلات آيه (٤١ - ٤٢ - ٤٣)

(٥) سورة الطور آيه (٢٢ - ٢٣)

(٦) الظلال ج ٥ ص ٢٩٨٧ .

ومن الحديث يبدو لنا التفاضل الواضح بين طعام أهل الجنة والطعام في الدنيا كما سبق أن نقل أن الاتفاق في المسميات تقريبا للاذهان فقط . ولذا نقل النووى مذهب أهل السنة وعامة المسلمين (أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ينعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعما دائما لا آخر له ولا انقطاع أبدا وان تنعمهم بذلك على هيئة تنعيم أهل الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئته والا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخضون ولا يبصقون وقد دلت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث وغيرها أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدا) (١)

(فهذا التفاضل بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة يجعل الفضلات من براز أو بصاق أو نحوه يختلف اختلاف التفاضل بين نوعى الأكل والشرب ففي الآخرة أكل أهل الجنة ناعم ومشربهم ناعم فلا عجب أن تخرج فضلاتهم ناعمة كذلك كريح المسك لأن هذا يتناسب مع طهارة الجنة التى حرم الله عليها النجاسة والآنجاس) (٢) ومن نعيم المأكول والمشرب إلى نعيم الملبس حيث لا يمكن أن يستغنى عنه الإنسان وهو من دافع البقاء على هذه البسيطة لذا يتنافس الناس فى الملبس ويتباهون به ولهذا يسعون فى سبيل الكسب والتحصيل فى الدنيا أما فى الآخرة فملبس من فضل الله وحلى من نعيم الجنة لا يسعى فيها ولا شقاء من أجلها لذا قال الله تعالى فى آيات من كتابة العزيز (جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) (٣)

(وذلك بعض المتاع الذى المظهر الذى يلبي بعض رغائب النفوس

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٧٣

(٢) حياة أهل الجنة - محمود شلبى ص ٢٧٥ دار الجيل بيروت .

(٣) سورة فاطر آية (٣٣ - ٣٤)

وبجانبه ذلك الرضا وذلك الأمن والاطمئنان (١)

وقال الله تعالى : (يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) (٢)

قال المفسرون : (ليس أحد من أهل الجنة إلا فى يده ثلاثة أسورة

سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ .

وقال الله تعالى : (وَحَلَّوْاْ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) (٣)

وقال الله تعالى : (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) (٤)

وقال الله تعالى : (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) (٥)

والاستبرق الديباج الصفيف الكثيف . وسندس الرقيق الخفيف . (٦)

هكذا جمع لهم بين الصنفين المتباينين ليجتمع لهم كل ماتحب نفوسهم

من خفيف وثقيل وناعم والملمس وكل هذه وسائل للترغيب للعمل لآخرة .

قال الزجاج : (احسن الالوان الأخضر والين اللباس الحرير

فجمع لهم بين حسن مظهر اللباس والتذاذ العين به وبين نعمته

والتذاذ الجسم (٧) .

وسائل الترغيب فى الآيات السابقة :-

(١) يلبسون الذهب والفضة .

(٢) يلبسون الثياب الخضراء من حرير .

وهذا كله من الدوافع الفطرية اذ يقول الله تعالى (زين

للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من

الذهب والفضة والخيول المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة

الدنيا) (٨)

(١) الظلال - ج ٦ ص ٢٩٤١ .

(٢) سورة الحج آية (٢٣)

(٣) سورة الانسان آية (٢١)

(٤) سورة الكهف آية (٣١)

(٥) سورة الانسان آية (٢١)

(٦) التذكرة ص ٥٨٣ مرجع سابق وانظر ايضا حادى الارواح ص ١٤٢ .

(٧) حادى الارواح ص ١٤٥ .

(٨) سورة آل عمران آية (١٤)

فدافع الزينة والنساء وحب المال كل هذه من الدوافع الفطرية المحببة للنفس البشرية والتي جعلت وسائل للترغيب للعمل للآخرة والاستقامه على منهج الله عزوجل كما قال الله تعالى فى مدح المؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) (١) فالاستقامه على شرع الله ومنهج الله ضابطان حث عليه القرآن ويقول سيد قطب (هؤلاء هم المؤمنون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الطريق اليه بالايمان والعمل الصالح . ولذا جعل لهم فى الآيه من وسائل الترغيب حيث يقيض لهم ملائكة يفيضون على قلوبهم الأمن والطمأنينه ويبشرونهم بالجنه ويتولونهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) . (٢) وهكذا نعيم أهل الجنة غير متناه فهم ينقلون من نعيم الى نعيم افضل منه واعظم منه مصداقا لقوله تعالى فى الحديث القدسى عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقول الله عزوجل أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَعِيْنَنَّ رَأَتْ وَلَا أُذُنُ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلَّهَ (٣) مَا أَطْلَعْتُكُمْ عَلَيْهِ (٤) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) (٥)

ففى هذا الحديث يتجلى لنا نعم عظيمه كالنظر الى وجه الرب وحلول رضوانه وما لا يدركه البشر من نعم لا يخطر على البال كما قال

(١) سورة فصلت آيه (٣٠ - ٣١)

(٢) الظلال ج ٥ ص ٣١٢٠ يتصرف .

(٣) بله بمعنى غير . وقيل اسم من اسماء الأفعال بمعنى دع / التذكرة

ص ٥٢١ مرجع سابق

(٤) سبق تخريجه ص ٣٤٠ .

(٥) سورة السجده آيه (١٧) .

الخطابي : (المراد من بله دغ ما اطلعتكم عليه فانه سهل فى جنب ما ادخر لهم) (١)

واخرج مسلم فى صحيحه عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَنْرَضِيَ يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْنَا مَا لَمْ نَشْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ يَا رَبُّ وَائِ شَيْءَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا سَخَطَ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) (٢)

إذا فهذه أعظم وسيلة للترغيب نختم بها هذا الجراء من الفصل الا وهى التنعيم الدائم والخلود الابدى بهذا النعيم قال الله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (٣)

وقال محمد بن الحسين رحمه الله ولهذا فى القرآن نظائر كثيرة تخبر ان المتقين فى الجنة خالدين فيها آمنين لا يذوقون فيها الموت ابدا ولا يخرجون من الجنة ابدا . (٤)

(١) نقلا عن صفة الجنة للحافظ ابن نعيم الاصبهانى تحقيق على رضا عبد الله ج ١ ص ١٤٨ دار المأمون التراث .

(٢) اخرجه مسلم فى كتاب الجنة وصفه نعيمها واهلها ج ١٧ - المجلد ٩ ص ١٦٨ شرح النووى .

(٣) سورة التوبة آية (٢٠ - ٢١٠ - ٢٢) .

(٤) الشريعة للامام محمد بن الحسين الاجرى المتوفى سنة ٦٣٠ - تحقيق محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ ص ٣٩٩

محمد بن الحسين :- ابوبكر الاجرى فقيه شافعى محدث ولد فى آجر من قرى بغداد وحدث قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل الى مكة وتوفى فيها ج ٦ ص ٩٧ الاعلام للزركلى .

الجنة دافع الى فعل الخير :

هكذا استخدم القرآن أسلوب الترغيب وعرض المغيبات عن الجنة وتقريبها للادهان لكي تكون دافعا لعمل الخير والتزود للآخرة . وقد اشرت الى ما نقله النووى من اجماع اهل السنة على التفاضل بين نعيم الجنة ونعيم الدنيا .

وقد حث القرآن الكريم والسنة النبويه على المسابقه لنيل رضوان الله عز وجل ونيل جنّة وهذا الحث يكون دافعا للترقى .
كما قال الله تعالى : (سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (١) فقد حثت الآية على المسابقه فى فعل الخيرات وطلب الرضى من الله لينال بذلك هذه الجنة التى وعد بها المتقون فقط اذ جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقايه باجتناّب معاصيه والالتزام بما يرضيه لذا قال الله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢)

فالجزاء والبشارة من الله للمؤمنين الذين الزموا انفسهم بان عملوا الصالحات والطاعات هكذا جعلت الجنة دافعا الى فعل الخيرات وفى الحديث عن اسامه بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لاصحابه " أَلَا مَشْرَ لِلْجَنَّةِ ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نَورٌ يَتَلَا وَرِيحَانُهُ تَهْتَزُّ ، وَنَهْرٌ مُّطَرِدٌ ، وَقَصْرٌ مُّشِيدٌ ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نُضْجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ فِي

(١) سورة آل عمران آية (١٣٣) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٥) .

مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ " (١)

وفى الحديث استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كدافع للعمل ولذا قال (أَلَا مَشَرٌّ لِلْجَنَّةِ) أى الأفيكم ساع لها غايه السعى طالب لها عن صدق ورغبه وقوله (مطرد) أى جار من اطرده الشئ أى تتبع بعضه بعضا وجرى. (٢) فقد كشف لنا جانب من المحبوبات الى النفس فى الجنه والتى هى دوافع للسعى لنيل الجنة ففيها القصور والانهار والفاكهه والزوجه الحسناء الجميلة والملابس النضرة وكل هذه من المحبوبات التى يعمل من اجلها الانسان ويسعى ليصل اليها فلذا حث على عمل ما يرضى الله لكى يكون به الوصول الى الجنه بفضلهم ورحمتهم. وكما استخدم القرآن الجنه كاسلوب للترغيب والعمل فقد وردت كثير من الآيات للترهيب من النار والتحذير منها وكذا فى السنه النبويه فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواقف كثيرة وأحاديث عديدة من النار

وقد عرض بعض صفات النار ترهيبا منها . كما عرض لصفات مستحقيا ممن يعذبون بها وحذر من الصفات التى تؤدى الى الوقوع فقال الله تعالى فى سورة البقرة : (فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (٣)

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد باب صفة الجنة ج ٢ ص ١٤٤٨ حديث رقم ٤٣٣٢ وفى الزوائد فى اسنادة مقال - لوجود سليمان ابن موسى مختلف فيه والضحاك المعافى الدمشقى ذكره ابن حبان فى الثقات وقال الذهبى فى طبقات التهذيب مجهول وباقى رجال الاسناد ثقات ورواه ابن حبان فى صحيحه / سنن ابن ماجه تعليق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي ج ٢ ص ١٤٤٩ .

(٢) سنن ابن ماجه تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٢ ص ١٤٤٨ .

(٣) سورة البقرة آية (٢٤)

(وفى هذا من التهويل ملا يقدر قدرة من كون هذه النار تتقد الناس والحجارة فأوقدت بنفس مايراد احراقها به) (١)
فقد كشف لنا سبحانه وتعالى جانباً من المغيبات تحذيراً وترهيباً من الوقوع فى النار لكى يكون ذلك ضابطاً لنا من التكذيب بالقرآن و لرسوله صلى الله عليه وسلم كما يكون دافعاً لنا بالايمان بالله وكتبه ورسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه .

وعبر عن وسائل الترهيب بقوله :

(١) فاتقوا النار . تحذيراً منها .

(٢) جعل وقودها الناس بزيادة فى الترهيب اذ انه يدرك من ذلك ان الانسان نفسه يصبح مادة لاشعال النار .

(٣) وجعل وقودها الحجارة ايضاً ومما هو معلوم لدينا ان الحجارة تمتص الحرارة ولا تفقدتها بسهولة مما يزيد من شدة الترهيب والحد من الوقوع فى نار جهنم "ولذا قال المفسرون ان المراد بالحجارة الكبريت توقد بها النار ، ويقال ان فيها خمسة انواع من العذاب ليس فى غيرها من الحجارة : سرعه الايقاد و نتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان - وقوة حرقها اذا احميت (٢) .

وقال الله تعالى فى وصف غرف اهل النار (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَاعِبَادُ فَاتَّقُوا) (٣)

هذا مشهد رهيب وهو اسلوب للترهيب بعرض هذه الغرف التى اتقدت عليهم فلا يرون الا النار المحرقة قد احاطت بهم . ويقول سيد قطب " هذا مشهد رهيب حقاً وهو مشهد النار فى هيئته ظلل من فوقهم وظلل من تحتهم وهم فى طيات هذه الظلل المعتمه تلفهم وتحتوى

(١) فتح القدير ج ١ ص ٥٢ - مرجع سابق .

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار - للامام ابو

الفرج بن رجب ص ٨٢ دار الهجرة .

(٣) سورة الزمر آية (١٦)

عليهم وهو النار " وهذا مشهد يعرضه الله لعبادة وهم بعد فى الارض يملكون ان ينأوا بانفسهم عن طريقته ويخوفهم مغيبته لعلهم يجتنبونه " (١) هكذا ظهر لنا من الاية ان المقصود منها التخويف والتهويل وان كنا لاندرك حقيقة وكنة هذه النار وشدتها ولكننا ندرك عظم اذاها وان كانت غير ملموسة لنا الان ولذا قال الله تعالى كاسلوب للترهيب :

(١) (ذلك يخوف الله به عبادة)

(٢) واستخدم ايضا اسلوب التحذير فقال : (يا عبادى فاتقون) فان تقوى الله ضابط للنفس من الوقوع فى معاص الله وبالتالي فهى نجاة لعباد الله .

وفى الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءً مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ فَضَلَّتْ عَلَيْهِنَ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا) (٢)

فهذا الحديث يخوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم امته ويحذرهم النار ويبين لهم التابين بين نارى الدنيا والاخرة مما اهل الصحابه ووقع فى نفوسهم فقالوا " انها لكافيه " اى نار

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب - ج ٥ ص ٣٠٤٥ .

(٢) اخرجه البخارى - كتاب بدء الخلق - باب صفه النار وانها مخلوقه ج ٤ ص ١٤٧ واخرجه مسلم كتاب الجنة باب جهنم اعادنا الله منها ج ١٧ ص ١٧٩ . واخرجه احمد ج ٢ ص ٤٦٧ واخرجه مالك ص ٦١٤ كتاب جهنم باب ما جاء فى صفه جهنم . واخرجه الترمذى كتاب صفه جهنم باب ما جاء ان ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ج ٤ ص ٧٠٩ حديث ٢٥٨٩ . واخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب صفه النار حديث ٤٣١٨ .

الدنيا كانت مجزئه لتعذيب العصاة " (١) . فهي فضلت عليها

(بتسعه وستين جزءا كلهن مثل حرما) والمراد زادت" (٢)

وهذه الزيادة وسيلة من وسائل الترهيب فما دام الانسان لا يطيق نار الدنيا المخففه والتي هى جزء من تسعه وستين جزءا من نار جهنم فكيف به يوقد عليه فى نار الآخرة وكيف به وهو لا يفتر عنه هذا العذاب ولا يخفف .

وقد ورد التحذير من النار فى كتابه العزيز بقوله تعالى
 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
 وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
 يُؤْمَرُونَ) (٣) . ويقول المنذرى قو انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعات
 واهليكم بالنصح والتاديب نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب . (٤)

وقد ورد ذكر الملائكة تخويفا وتهويلا عن عبد الله قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ
 زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا) (٥)

وهؤلاء الملائكة غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد
 الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يمتنعون عن قبول الاوامر
 والتزامها . (٦)

(١) فتح البارى ج ٦ ص ٣٣٠ .

(٢) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٦٢ للمنذرى . دار احياء التراث
 العربى بيروت

(٣) سورة التحريم آيه (٦)

(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ٤٦١ .

(٥) رواه مسلم كتاب الجنه وصفه نعيمها باب جهنم اعادنا الله منها
 ج ١٧ ص ١٧٩ . وأخرجه الترمذى كتاب صفه جهنم باب ما جاء فى

صفه النار ج ٤ ص ٧٠١ حديث رقم ٢٥٧٣

(٦) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ٤٦١ .

وما جعل الله وصف هؤلاء الملائكة الا تخوبفا وتهويلا وقد كشف لنا الحديث عن عدد هؤلاء الملائكة الذين يجرون جهنم كما قال لها سبعون الف زمام (١) مع كل زمام سبعون ملك ولكن فى الحقيقة هم اعظم واكثر كما قال تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً) (٢) .
وسائل الترهيب :

- (١) مضاعفه نار الآخرة عن نار الدنيا بتسعه وستين جزاء .
 - (٢) وصف زبانيه جهنم وانهم غلاظ قساة لا يعصون الله ما امرهم .
 - (٣) وصف عظمه جهنم وعدد الملائكة الذين يجرونها .
- وهذه الوسائل وان كانت لا يدرك كنهها وحقيقتها وانما جعلت للتخويف والترهيب فقط . وقد اشار الحديث الى بعد قعر جهنم اعادنا الله منها فعن ابي هريرة قال (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً (٣) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرُونَ مَا هَذَا قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مِنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا . (٤)

وقال تعالى فى وصف جهنم : (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَاعْتَدْنَا لِمنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُّقْرَّنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) (٥)

(١) زمام أى من زم الانوف أى خرقها ويعمل فيها الزمام أى خيط كزمام للناقه لتفادية وتشدد الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ٤٦١

(٢) سورة المدثر آية (٣١)

(٣) وجبهه أى سقطة . صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٧١ .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الجمه باب جهنم اعادنا الله منها ج ١٧ ص ١٧٩ وأخرجه الترمذى كتاب صفه جهنم باب ما جاء فى صفه قعر جهنم ج ٤ ص ٧٠٤ حديث رقم ٢٥٧٥ .

(٥) سورة الفرقان آية (١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤)

ففى الآيه وصف لصوت جهنم وتغيظها اى شبهة صوت غليانها بصوت المغتاط وزفيرة وهو صوت يسمع من جوفة - وايضا ضيقا وهو لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق . وهم ايضا مقرنون اى قرنت ايدهم الى اعناقهم بالسلاسل (١)

هكذا من الآيه والحديث نستنتج الشدة التى يعانىها من يلقى فى النار مما يدركه البشر ويلمسونه ترهيبا لهم فقد ورد :

(١) بعد قعرها .

(٢) بيان صوتها وغلظه .

(٣) اشتياقها لهم منذ ان تراهم وهى تزفر .

(٤) ضيقها لبيان شدة الكرب .

(٥) غلت ايدهم وارجلهم فهو ضيق على ضيق ضيق فى جهنم وضيق بتكبيلمهم وتقيد حركاتهم . نسال الله العفو والعافيه .

هذه النار البعيدة القعر المتلهفة الى المكذبين والعصاة والمجرمين لاتشبع ابدا ولا ترضى حتى يضع الجبار عليها رجلة ففى الحديث الذى اخرجه مسلم فى قوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد .

عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه) (٢) فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله بها لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة) (٣)

(١) الترغيب والتهذيب للمنذرى ج ٤ ص ٤٦٣ .

(٢) واخرجه البخارى كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٦٤ . صحيح مسلم باب صفه

جهنم اعادنا الله منها ج ١٧ ص ١٨٢ بشرح النووى .

(٣) اثبت اهل السنه والجماعه ان الله قد ما ويدا وغيرها من

الصفات التى تناسب جلاله وعظمته مما يحيل التماثل بين صفات

الخلق والمخلوق فهى صفات كمال وجلال لايعلم كنهها وحقيقتها .

بعكس المشبهة والمعطلة - انظر ص ١٨٢ ج ٧ صحيح مسلم بشرح

النووى .

ففى الحديث دلالة على عظم جهنم وسعتها وانها لاتشبع بل هى ملتفة الى هؤلاء العصاة حتى يضع الجبار قدمه فتقول قط قال النووى " اى يضم بعضها الى بعض فتتجمع وتلتقى على من فيها - وتقول قط اى يكفينى (١) وقد نقل لنا القرآن الاهوال التى يلاقىها اهل جهنم فقال الله تعالى : (اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَنَابًا لِّبَثِّينَ فِيْهَا اَحْقَابًا لَايَذُقُوْنَ فِيْهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا جَزَآءٌ وَّفَاقًا اِنَّهُمْ كَانُوْا لَايَرْجُوْنَ حِسَابًا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوْا فَلَنْ نَّزِيْدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا) (٢)

وسائل الترهيب :

(١) ان جهنم خلقت ووجدت وكانت مرصدا للطاغين وتترقبهم وينتھون اليها .

(٢) الاقامة الطويلة المتجددة

(٣) لا يذوقون فيها بردا ولا شربا)

(٤) يستثنى من الطعام والشراب فاذا الاستثناء امر وادهى (اِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا) الا الماء الساخن يشوى الحلق والبطون فهذا البرد

والالفساق الذى يغسق . من اجساد المحروقين ويسيل فهذا هو الشراب

(٥) التانيب الميئس من كل رجاء فى تغير او تخفيف (٣) (فَذُوقُوْا فَلَنْ نَّزِيْدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا) (٤)

صفات اهل النار :

(١) انما جعلت للطاغين .

(٢) والمكذبين .

(١) صحيح مسلم ص ١٨٤ ج ١٧ المجلد ٩ بشرح النووى .

(٢) سورة النبأية (٢١ - ٣٠) .

(٣) الظلال بتصرف ج ٩ ص ٣٨٠٧ - مرجع سابق .

(٤) سورة النبأية (٣٠)

وقد اخرج مسلم فى صحيحه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ اُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضَعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ (١) وَغَرَّتُهُمْ (٢) قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ اِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي وَقَالَ لِلنَّارِ اِنَّمَا أَنْتَ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا فَاَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ وَتَقُولَ قَطُّ قَطُّ فَهَنَالِكَ تَمْتَلِي وَيَزْوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقٍ أَحَدًا وَامَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْشِئُ لَهَا خُلُقًا) (٣)

هذه صفات اهل النار وقد ظهر من الاية الكريمة وهذا الحديث انهم المتكبرون والمتجبرون - وهما كلمتان مترادفتين وقد ورد الذم فى القرآن للجبار والمتكبر فقال (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) (٤) (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) (٥) اى متكبرا (٦)

(١) سقطهم :- اى ضعفاؤهم والمحتقرون منهم .

(٢) غرتهم :- اى البله الغافلون الذين ليس بهم فتك وحدق فى امر الدنيا ج ١٨ ص ١٨١ مسلم بشرح النووى وانظر ايضا النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٣٥٥ .

(٣) اخرجه مسلم كتاب الجنة باب صفة النار ج ١٧ ص ١٨٢ . واخرجه البخارى كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٦٤ .

(٤) سورة مريم آية (١٤) .

(٥) سورة مريم آية (٣٢) .

(٦) انظر بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ٢ ص ٣٦٠

تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادی - توزيع دار الباز للنشر والتوزيع - مكة .

وقال تعالى فى صفات اهل النار :

(اَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَّزِيدٍ الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ . قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ) (١)

الصفات المذكورة فى الآية :

(١) الكفر بالله

(٢) مناع للخير .

ويقول صاحب الظلال ذكر هذه النعوت : (يزيد فى حرج الموقف وشدة فهو دلالة غضب الجبار القهار فى الموقف العصيب الرهيب وهى نعوت قبيحة مستحقة لتشديد العقوبة على من هذه صفته : كفار عنيد - مناع للخير - معتد - مريب)

وسائل الترهيب فى الآية :

(١) فالقيا فى العذاب الشديد : بيانا لمكانة من جهنم التى بدا الامر بالقائه فيها .

(٢) سعة جهنم وانها متلهفة على لقائهم . ويقول سيد قطب :

(هؤلاء وهم كثرة الكثرة تقذف فى جهنم تباعا وتتكدس ركاما

تنادى جهنم هل امتلأت واكتفيت ولكنها تتلمظ وتتحرق وتقول فى

كظة الاكل النهم هل من مزيد) (٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم (صَنَّفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا مَعَهُمْ سَيَاطُ كَاذَنَابُ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءُ كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ

(٣) سورة ق آية (٢٤ - ٣٠)

(٤) الظلال ج ٦ ص ٣٣٦٥ - مرجع سابق .

الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ
مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا (١)

فالحديث فيه ترهيب وتخويف للنساء اذ انهن من اقوى الدوافع التى
تدعو الرجال الى الوقوع فى الفاحشة فهن سبب للفتنة وهى غريزة
تقوى وتشتد متى تركت بدون ضابط دينى يمنع من الافراط فيها دون
قييد ولذا تعرض هذا الحديث لبيان الصفات الممقوته المؤدية الى
الوقوع بالمحرم وبالتالي فهى السبب لدخول النساء فى النار .
وقد نقل النووى هذه الصفات فقال :

- (١) كاسيات اى من نعمة الله وعاريات من شكرها .
- (٢) وقيل كاسيات من الثياب وعاريات من فعل الخير والاهتمام لاخرتهن
والاغناء بالطاعات .
- (٣) تكشف شيئا من بدنهما اظهارا لجمالها .
- (٤) يلبس ثيابا رقاقا تصف ما تحتها . (٢)

فالنساء هنا تعرضن لسخط الله سبحانه مما استحققن منه العذاب
الشديد فقد جمع بين نكران فضل الله وعدم شكره . وبث الفساد
فى الارض بالاشارة التى توقع المرء بالفاحشه فقد استخدم
الغريزة الجنسية فى اشارة الرجال والميل بهم عن طريق الحق
ولذا قال فى نهاية الحديث (مائلات مميلات) وجاء فى تفسيره
عدة اقوال .

- (١) مائلات اى زائغات عن طاعة الله وما يلزمهن من حفظ الفرج وغيرها
ومميلات يعلمن غيرهن مثل فعلهن .

(١) اخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة باب جهنم اعاذنا الله منها
ج ١٧ ص ١٩٠ بشرح النووى وكتاب اللباس باب النساء الكاسيات
العاريات المائلات المميلات ج ١٤ ص ١٠٩ . واخرجه احمد ج ٢
ص ٣٥٦ - ص ٤٤٠

- (٢) ج ١٧ ص ١٩١ بشرح النووى .

(٢) وقيل مائلات متبخرات فى مشيتهن مميلات اكتافهن .
 (٣) وقيل مائلات الى الرجال مميلات لهم بما يبدين من زينتهن
 وغيرها . (١) وهى بهذا كانت وسيلة الى ايقاع الرجل فى الحرام
 وبهذا استحققت العذاب المذكور فى الحديث . وقد ورد على اسلوب
 الترهيب فقال :-

(١) يعذبون بالضرب بالسياط .

(٢) انهن لا يدخلن الجنة .

(٣) بل ولا يجدن ريحها وان كانت ريحها توجد من مسيرة كذا
 وكذا .

وقد ظهر لنا عظم الذنب " فان كانت موحدة فيحمل الحديث على انها
 المستحله لفعل الحرام فابتالى لن تدخل الجنة لانها استلحت حراما
 فكفرت . فتكون كافرة مخلدة فى النار . وان كانت تعلم انها معصيه
 وانها حرام ولم تستحلها فلا تدخل اول الامر مع الفائزين والله
 اعلم " (٢)

وقد خص هذا الحديث النساء واعتنى بهن مما جعلنى انقله واشير
 اليه وما ذلك الا لانهن سبب للوقوع فى الفتنة فدافع حب النساء
 دافع فطرى فى النفس البشرية فقد قال الله تعالى (زَيْنٌ لِلنَّاسِ
 حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) (٣)

فالمرأة محبة بالفطرة الى الرجل لذا كان عليها ان تلجأ الى
 الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه وتبتعد عن كل ما يثير عنصر الفساد
 فى المجتمع المسلم بالمحافظة على نفسها والبعد عن مواطن الريبة .
 والمعصية سبب لان يطمس على القلب ويرين عيه الذنب وبالتالي

(١) صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٩١ بشرح النووى .

(٢) صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٩١ بشرح النووى .

(٣) سورة آل عمران آية (١٤) .

يسخط الرب على المرء فيقع في المنهالك كما قال الله تعالى في سورة المطففين : (وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِبُيُوتِ الدِّينِ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَرٍ أَثِيمٍ) إذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الأولين - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - كلا وإنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - ثم إنهم لصلوا الجحيم - ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون (١)

ومن الآية تبدو لنا نتائج المعصية :-

(١) بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون : والمراد أى غطى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الآثم والمعصية والقلب الذى يمرن على المعصية ينطمس ويظلم ويرين عليه غطاء كثيف يحجب النور عنه ويحجبه عن النور ويفقده الحساسية شيئا فشيئا حتى يتبدل ويموت (٢) وفى الحديث عن أبى هريرة (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ مِنْهَا صَقَلَ قَلْبُهُ فَإِنْ زَادَ زَادَتْ) (٣) هذه النتيجة تكون فى الدنيا لكن فى الآخرة له عذاب شديد يتناسب مع عظم المعصية فحجب قلبه يتبعه أيضا حجب عن لذة النظر الى العزيز الجبار

ولذا قال الله تعالى فى الآية :

(٢) " إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ " (٤) لقد حجبت قلوبهم المعاصى

(١) سورة المطففين آية (١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧)

(٢) الظلال ج ٦ ص ٣٨٥٧ . مرجع سابق .

(٣) أخرجه ابن ماجه واللفظ له كتاب الزهد باب ذكر الذنوب ج ٢

ص ١٤١٨ حديث رقم ٤٢٤٤ . وأخرجه احمد ج ٢ ص ٢٩٧ . وأخرجه

الحاكم فى مستدركه وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ج ١ ص ٥٠٤

سكت عنه الذهبى وأخرجه الترمذى كتاب التفسير تفسير سورة

المطففين حديث رقم ٣٣٣٤ ج ٥ ص ٤٣٤ وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٤) سورة المطففين آية (١٥) .

والاشام حجبته عن الاحساس بربها فى الدنيا وطمستها حتى اظلمت وعميت فى الحياة فالجزاء الوفاق ان يحرّموا من النظر الى وجهه الله الكريم ويحرّمون من السعادة التى تكشف للمؤمنين (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ اِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (١)

(٣) (انهم لصالوا الجحيم)

(٤) ومع الجحيم التانيب والزجر والردع المناسب لمقامهم فى العذاب ولذا قال الله تعالى فى الآية : (ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢) .

ومن صفاتهم وذكر احوالهم الى نقله اخرى تكشف لنا عظم ما يلاقون من السوق الى جهنم زمرا وكيفية حشرهم قال تعالى فى سورة الزمر: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) (٣) .

هكذا يساق المتكبرون والمتجبرون والمكذبون بزجر وعنف وقسوة مما يجعلنا نشعر بشدة الموقف فيوقع الرهبة فى النفوس على النحو التالى :

يخبر الله تعالى عن حال الاشقياء الكفار كيف يساقون الى النار .
(١) انهم يساقون سوقا عنيفا بزجر وعنف وتهديد ووعيد كما قال الله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ اِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) (٤) اى يدفعون دفعا . (٥)

(١) سورة القيامة آية (٢٢) .

(٢) سورة المطففين آية (١٧) .

(٣) سورة الزمر آية (٧١) .

(٤) سورة الطور آية (١٣)

(٥) فى الظلال القرآن ج ٦ ص ٣٨٥٧ .

(٢) وقد نقل ابن كثير حالهم عند سوتهم فقال هذا وهم عطاشى ظمأء
كما قال الله تعالى: (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا
وَبُكْمًا وَصَمًّا مَّا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) (١)

(٣) تانيب الزبانية قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ
شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (٢) شداد غلاظ
القوى على وجه التقريع والتوبيخ ولتنكيل (٣) (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ
مِّنكُمْ) (٤)

ثم اذا ادخلوا نار جهنم كان لهم نزلا عند الله عز وجل زيادة
فى التنكيل والترهيب حيث يكون العذاب قد شمل كل شىء من سوتهم
الى تعنيفهم الى طعامهم وشرابهم فقال الله تعالى: (أَذَلَّكَ خَيْرٌ
نُّزُلًا مِّن شَجَرَةِ الزَّقُونِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ
فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَكَالُونَ مِنْهَا
فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ
لِلْأَلَى الْجَحِيمِ) (٥)

وفى الحديث عن بن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم قرا. هذه الاية (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ) (٦) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَوْ أَنَّ قَطْرَةً
مِّنَ الزَّقُونِ قَطُرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَافْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشُهُمْ فَكَيْفَ

(١) سورة الاسراء آية (٩٧)

(٢) سورة التحريم آية (٦)

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٦٥ مرجع سابق

(٤) سورة الانعام آية (١٣٠)

(٥) سورة الصافات آية (٦٢- ٧٨)

(٦) سورة آل عمران آية (١٠٢)

بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ (١).

هذا هو نزلهم وهو حقا لا يدرك حقيقة هذه الشجرة ولا شدة سوءها كما قال سيد قطب (الناس لا يعرفون رؤوس الشياطين كيف تكون ولكنها مفزعة ولا شك ومجرد تصورهما يثير الفزع والرعب فكيف اذا كانت طلعا اكلون ومالئون منه البطون فاذا شakt حلوقهم وهى كرؤوس الشياطين وحرقت بطونهم وهى تنبت فى اصل الجحيم ولا تحترق (٢)

ومما يوقع الرعب ايضا ان هذه الشجرة لا تحترق بل هى من نوع الجحيم ذاته فقد يظن ظانا ان هذه الشجرة تحترق وتنتهى لكنها على العكس مما يزيد فى هذا الرعب فهى تنبت فى اصل الجحيم وفى شرابهم يقول تعالى: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) (٣) .

" ويقول سيد قطب: (فاذا طلّعوا الى برد الشراب يطفى اللهب فانهم لشاربون عليها ماء ساخنا مشوبا غير خالص) (٤) وقال الله تعالى: (وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) (٥)

قال المنذرى . الصديد ما يسيل من جلود اهل النار . (٦)
وقال الله تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) (٧) الحميم الماء الحار الشديد الغليان فاذا شربوه قطع امعاءهم لفرط حرارته . والامعاء

(١) رواه الترمذى كتاب صفة جهنم باب ما جاء فى صفة شراب اهل

النار ج ٦ ص ٧٠٦ . وقال حديث حسن صحيح . واخرجه ابن ماجه

كتاب الزهد ج ٢ ص ١٤٤٦ حديث ٤٣٢٥

(٢) فى ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٩٨٩ .

(٣) سورة الصافات آية (٦٧) .

(٤) تفسير فى ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٩٨٩ .

(٥) سورة ابراهيم آية (١٧)

(٦) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٧٨ .

(٧) سورة محمد آية (١٥)

جمع معى وهى ما فى البطون من الحوايا (١)

وقد يظن المرء ان هناك نهايه للعذاب ولو بالموت فيكون اهل النار رمادا فهذا قد يظن انه راحه او يخطر على البال انه النايه ولكن هيهات فقد اوضحت الايات الكريمه دوام العذاب فلا يفترن ولا يخفف فضلا عن الخلود الابدى فى جهنم

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) (٢)

وسائل الترهيب من الآية :

(١) فلا تخفيف ولا موت حتى رحمه بالموت لا تنال .

(٢) (وهم يصطرخون فيها) وهم المنبوذون فى جهنم وصوت الانابه

والاعتراف والندم اذن ولكن بعد فوات الاوان . (٣)

وقال محمد بن الحسين رحمه الله (٤) وقد ذكر الله عز وجل فى

كتابه اهل النار الذين هم اهلها يخلدون فيها ابدا (٥) فقال عز وجل (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) (٦) .

وقال الله تعالى : (لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ) (٧)

(١) تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٣٤ مرجع سابق .

(٢) سورة فاطر آية (٣٦)

(٣) فى ظلال القرآن ج ٦ ص ٢٩٨٩

(٤) سبق ترجمته ص ٣٤٣ .

(٥) كتاب الثريعه ص ٤٠٠ للامام ابى بكر محمد بن الحسين الاجرى -

تحقيق محمد حامد الفقى - مطبعة السنه المحمديه ١٣٦٩ هـ

(٦) سورة الاحزاب آية (٦٤ - ٦٥)

(٧) سورة فاطر آية (٣٦)

ففى القرآن شواهد تدل على أن أهل النار فى العذاب الشديد أبداً (لا يفتَرَدُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) (١)
النار ضابط عن الشر والوقوع فيه :

هكذا نرى من هذه الآيات والأحاديث مجتمعة كيف خوف الله بها عبادة المؤمنين وحذرهم من الوقوع فى معاصيه المؤدية الى موارد الهلاك .
والتي أراد الله سبحانه وتعالى انقاذنا منها فقال الله تعالى :
(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (٢) فهذا التحذير يسقط حجيتهم عند الله يوم القيامة
ويقيم الحجة عليهم بأن الله أخذ عليهم العهد والميثاق بأنه ربهم
وخالقهم والمستحق للعبادة وحدة فان عذبهم فبظلمهم وذنوبهم وان
عفى عنهم فلفضله وكرمه ولذا كان فى القرآن عرض دائم للعذاب
والتخويف (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) (٣) من ذكر النار وما فيها
وما ذلك التخويف والترهيب الا لضبط النزوات والشهوات التي قد
تورد الفرد مورد الهلاك فاذا استعرضنا هذا العذاب وتخيلنا احاطته
بنا ووقوع العصاة بين يدي الله سبحانه : (الَّتِي تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) (٤) اذا تصورنا ذلك كله كان ذلك رادعا وضابطا
لقوة الشهوة التي قد تورد الفرد مورد الهلاك نسال الله العفو
العافيه .

-
- (١) سورة الزخرف آية (٧٥) .
 - (٢) سورة الاعراف آية (١٧٢) .
 - (٣) سورة الزمر آية (١٦) .
 - (٤) سورة النور آية (٥٧) .

الفصل الثامن

الحب في الله والبغض في الله

(الحب فى الله والبغض فى الله)

قد يكون من أهم الضوابط التى تضبط سلوك المرء ذلك الجانب النفسى والشعور الداخلى الذى يخالج حنابات النفس دافعا لها ومحرضا لسلوك معين الا وهو الحب او البغض ان كلا منهما يمكن ان يكون دافعا ويمكن ان يكون ضابطا لسلوك الفرد فيمنع المرء من الاندفاع وراء شهواته ورغباته ولذا فقد نبه صلى الله عليه وسلم المسلمين الى هذا الشعور فى الحديث الشريف عن انس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (١) فهذا توجيه وتهذيب لهذه المحبة وصرفها لمستحقها فلا يعلو حب الزوجه او الوالد او الولد على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تصرف المحبة كلها الى الله عزوجل ففى الحديث عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذَفَ فِي النَّارِ) (٢)

هكذا ضبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاعر الفرد المسلم ووجهها التوجيه الصحيح .

وسوف استعرض فى هذا الفصل أهمية هذا الضابط لسلوك الفرد ودوره التربوى وكيف يكون الحب او البغض مهذب وضابط لسلوك الفرد .

(١) أخرجه البخارى كتاب الايمان باب حب الرسول من الايمان ج ١ ص ١٠ وأخرجه مسلم كتاب الايمان باب وجوب محبة الرسول ج ٢ ص ١٥ من حديث انس .

(٢) أخرجه البخارى كتاب الايمان باب حلاوة الايمان ج ١ ص ١٠ - ١١ وأخرجه مسلم كتاب الايمان ج ٢ ص ١٣ بشرح النووى - وأخرجه الترمذى كتاب الايمان ج ٥ ص ١٥ حديث ٢٦٢٤ - وأخرجه احمد ج ٣

الحب فى الله والبغض فى الله

وستعرض فى هذا الفصل :-

اولا : تعريف كل من الحب والبغض فى اللغة والاصطلاح .

ثانيا : انواع الحب وتشمل :-

١ - حب الله عزوجل .

يشمل دوافع حب الله - ضوابط لمحبة الله عزوجل .

ثمرة حب الله .

٢ - حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- دوافع لمحبتة صلى الله عليه وسلم .

ب - ضوابط لمحبتة صلى الله عليه وسلم .

٣ - محبة الاخوة فى الله .

١ - دوافع هذا الحب .

ب - ضوابط الحب فى الله .

ثالثا : فضل الحب فى الله ويشمل :

١ - الايات القرآنية

ب - الاحاديث النبوية

رابعا : علامات محبة الله .

محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

خامسا : مراتب الحب فى الله :

١ - حب من احب الله

ب - حب الصديقين والشهداء .

ج - حب سائر الخلق ممن التزم بسنته صلى الله عليه وسلم .

مراتب البغض فى الله : وتشمل

١ - المخالف للمسلمين

ب - المخالف فى العقيدة .

ج - المخالف فى العمل كالمبتدع .

د - صاحب المعاصى .

الحب :-

الحب نقىض البغض والحب الوداد والمحبة كذلك الحب بالكسر واحبه فهو محب وهو محبوب - والحباب بالكسر المحابة والموادة - وتحبب اليه تودد . وحبيت اليه الامر جعلته يحبه وهم يتحابون : اى يحب بعضهم بعضا وحب الى هذا الشئ يحبه حبا . (١)

الحب فى الاصطلاح :-

١ - المراد بالحب فى الله ان يكون المسلم عميق الايمان بربه سريع الامتثال لشريعته قوى الصلة لخالقه يحب ما احب الله ويبغض ما يبغضه الله . له سلطان على هواه لا يشرك به احد ولا يؤثر على مرضاته والد ولا ولد . وهو بذلك عبد ربه واسير حبه وواقف عند حدوده ، ومن هنا ينطلق بنور حبه فيحب كل عبد يحب الله ويعبده ويصاحب كل من يؤمن بالله ويوحده ويجد قى قلب كل مسلم روضة من الايمان تجذبه اليه وتربطه به . (٢)

وقيل فى الحب فى الله :-

٢ - (وهو ان يحب المرء لا يحبه لذاته بل الى حظوظه الاخرويه منه كمن احب استاذة لانه يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله) . (٣)

- (١) لسان العرب - اعداد وتصنيف يوسف خياط دار لسان العرب بيروت ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩٢ بتصرف .
- (٢) السلوك الاجتماعى فى الاسلام حسن ايوب دار البحوث العلمية ص ٢٩٥ .
- (٣) موعظة المؤمنيين من احياء علوم الدين / محمد جمال القاسمى الدمشقى تحقيق عاصم بهجه البيطار دار النفائس ص ١٩٨ .

وقال ابو البركات فى مخطوطته :-

المحبة هى ميل الطبع الى الشئ لكونه لذيذا (١)
وقيل المحبة تعلق القلب بين الهمة والانس فى البذل والمنع (٢)
البغض فى الله :-

البغض فى اللغة والبغضة نقيض الحب وبغض الرجل بغاضه اى صار
بغيفضا . وبغضه الله الى الناس تبغيفضا فابغضوه اى مقتوه .
والبغضاء والبغاضة جميعا شدة البغض وكذلك البغضة بالكسر
والمباغضة تعاطى البغضاء والتباغض ضد التحاب (٣)
البغض فى الاصطلاح :-

اعلم ان كل من أحب فى الله لا بد ان يبغض فى الله فانك ان
احببت انسا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد ان
تبغضه لانه عاصى لله وممقوت عند الله . ومن احب لسبب فالبغض ضرورة
يبغض لذه (٤) هذا هو التلازم الظاهر من الحب والبغض فالحب قد
يكون دافعا للبغض فحب الله دافعا لبغض كل من يبغض الله ولذا
قال تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ

(١) مخطوطة السير والسلوك الى ملك الملوك عبد الرحمن بن احمد
الجامى ابو البركات رقم ١٣٩٧ / ١٣٩٨ مجموعة رقم ٤٧ . مكتبة
الحرم المكى ص ١٨ .

تعريف بالمخطوطة : وهى تبحث فى نواحي نفسية كالمراقبة
والتقوى والمحبة وغيرها وقد اجاد فيها المؤلف لكى تكون
وسائل تقرب الى الله عزوجل والسير فى مرضاته .

(٢) منازل السائرين . مرجع سابق ص ٧١ .

(٣) لسان العرب ج ٧ ص ١٢١

(٤) موعظة المؤمنيين من احياء علوم الدين ص ١٩٩ وانظر ايضا
الاحياء ج ٢ ص ١٦٦ .

اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
 أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ (١)
 وقال تعالى (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ
 إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا
 بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
 وَحَدُّهُ) (٢)

وفى هذا ما يدل على أن مجرد بغض القلب لا يكفى بل لا بد مع
 ذلك من الاتيان بلازمه وهو معادات فيه أى اظهار العدواة بالفعل
 بالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم والبعد منهم باطنا وظاهرا (٣)
 وفى الحديث الشريف عن أبى امامه (٤) عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم انه قال : (مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ
 فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ) (٥)

(١) المجادلة آية : ٢٢ .

(٢) الممتحنة آية : ٤ .

(٣) تيسر العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد للشيخ أحمد بن

عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب المكتب الاسلامى ط ٥ ص ٤٨٢ .

(٤) أبى امامه الباهلى هو صدى بن عجلان بن وهب ويقال ابن عمرو ابو

امامة الباهلى الصحابى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن

عمر وعثمان وعلى وأبى عبيده بن الجراح وغيرهم . وقال ابو

عبيده هو آخر من مات من الصحابة بالشام وقال أحمد بن محمد بن

عيسى صاحب تاريخ حمص مات سنة احدى وثمانين بجمص وقال ابو

عبيد وغير واحد مات سنة ٨٦ وقيل غيره - تهذيب التهذيب ج ٤ ص

٤٢٠ . وانظر اسد الغابة ج ٥ ص ١٦ .

(٥) أخرجه ابو داود واللفظ له كتاب السنة باب الدليل على زيادة

الايمان ونقصانه ج ٤ من حديث رقم ٤٦٨١ وأخرجه الترمذى كتاب

القيامة باب ٦٠ حديث رقم ٢٥٢١ ص ٦٧٠ ج ٤ وقال حديث حسن

وأخرجه أحمد ج ٣ ص ٤٣٨ - ٤٤٠ .

والحديث شاهد على التلازم بين الحب والبغض فى الله اذ به كمال الايمان .

وذلك ان مدار الدين على اربعة : قاعدتان باطنيتان وقاعدتان ظاهرتان :-

فالباطنيتان : الحب والبغض .

والظاهرتان : الفعل والترك .

فمن استقامت نيته فى حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل مراتب الايمان (١)

اولا : حب الله

حب الله اعلى درجات الحب قال تعالى (قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ (٢)

محبة الله عزوجل اصل المحاب المحموده واصل الايمان والتوحيد (٣)
حكم محبة الله :-

هى واجبة على الاعيان . وقال تعالى : (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (٤)
وقال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (٥) فمن احب الله وقدم محبته وخشيته على كل شئ فانه مع الله وقد حصل له القرب الكامل منه وهو قرب المحبين وكان الله معه (٦) قال تعالى (اِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (٧)

(١) الايمان : خصائصه علاماته ثمراته / القسم الثانى احمد عز الدين البيانونى / دار السلام ص ١٧٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٣) اغاثة اللفهان ج ٢ ص ١٠٤ .

(٤) سورة المائدة آية ك ٥٤ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٦) بهجة قلوب الابرار ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .

(٧) سورة النحل آية : ١٢٨ .

وقد وصفها ابن القيم بقوله :-

(هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون والى عملها شمر المتسابقون وعليها تفانى المحبون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقره العيون وهي روح الايمان والاعمال . وهي التي يتوصل بها الى مقاعد صدق عند عزيز مقتدر) (١)

وقال ابن قدامة : (من عرف ربه احبه ومن احب غير الله الا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره عن معرفته) (٢)
دوافع حب الله :-

اولا :

اولى دوافع محبة الله هي لانه سر الوجود ولانه سبب كل موجود فان الله هو الموجد لنا من العدم .
قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (٣)

والمراد بالرب اى ولى النعم التى رباكم بها واسبغها عليكم من نعم ظاهرة وباطنة ومنها وجودكم بعد العدم . (٤)
ثانيا :-

ارسال الرسل ليهدو البشر الى خير الدنيا والاخرة . قال تعالى : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لئَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (٥)

(١) تيسير العزيز الحميد بتصرف ص ٤٦٧ .

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص ٣٨٨ .

(٣) سورة النساء آية : ١ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٦ .

(٥) سورة النساء آية : ١٦٥ .

والمراد البلاغ والانذار لكى يهتدوا الى الجنة وتنقطع حجة الخلق على الله . (١)

ثالثا :-

وقال الغزالى وحب الله تاره يكون لصدق الرجاء فى مواعيده وما يتوقع فى الآخرة من نعيمه (٢) فحبه رغبة فيما عنده من نعيم الجنة التى فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت . (٣)

رابعا :-

ومن الدوافع لحب الله حب الله لذاته كما قال الغزالى وتارة لذاته لا لأمر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها . (٤)

وبعد ان استعرضنا هذه الدوافع لحب الله لا بد ان اشير الى ضوابط لمحبه تعالى لكى يسمو بهذا الحب الى اعلى مراتبه .

ضوابط لحب الله :-

لكى نحب الله ينبغى ان يكون هذا الحب قد اخضع سلوك الفرد الى ضوابط مع البارى بما تتناسب والاداب الخاصة مع الله عزوجل .

١ - عدم تشبيه حبه او تمثيله :-

فالله تعالت صفاته وتقديست ذاته ينبغى ان يحب حبا يسمو على ان يكون لحبه مثيل او شبيه .

وهذا ضابط لتهذيب العقيدة والاقرار بعقيدة التوحيد والاقرار بالذات والصفات فلا يتخذ له شبيه فى الحب ولا مثيل فينطلق الانسان بهذا الحب الى اعلى درجاته .

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٦ .

(٢) الاحياء ج ٢ ص ١٦٥ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٦ .

(٤) الاحياء ج ٢ ص ١٦٥

٢ - عدم عصيانه تعالى :-

فان العصيان دلالة على عدم المحبة وينسب الى الشافعى قوله .

تعصى الاله وانت تظهر حبه

هذا محال (١) فى القياس بديع

لو كان حبك صادق لاطعته

ان المحب لمن يحب يطيع (٢)

٣ - الاستقامة :-

على هديه تعالى واتباع انبيائه كما قال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٣)

فيظهر من ذلك ان من ضوابط محبته تعالى الاتباع وعدم الابتداء
لذا قال تعالى على لسان نبيه : (فاتبعونى) فاتباعه صلى الله
عليه وسلم موجب لمحبة الله عزوجل وقد جمع ضوابط المحبة قوله
تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ
إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ) (٤)

هذا امر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان
يتوعد من احب اهله وعشيرته وامواله ومساكنه او احد هذه الاشياء
على الله ورسوله وجهاد فى سبيله وقد خوطب بهذا المؤمنون فى آخر
الامر (فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) اى ما يحل بكم من عذاب
الله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) اى الخارجين عن طاعة الله
وهو تنبيه على ان من فعل ذلك فهو من الفاسقين فهذا التشديد
ووعيد عظيم ولا يخلص منه الا من صح ايمانه فخلص لله سره واعلانه

(١) هذا محال فى القياس : اى هذا قياس مبتدع جديد مخالف للطباع

والاستقراء التام الذى بينه فى البيت الثانى .

(٢) الآداب الشرعية ج ١ ص ١٧٣ - ١٧٤ بتصرف .

(٣) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٤) سورة التوبة آية : ٢٤ .

ويفيد ايضا ان المحبة الخالصة تستلزم تقديم مراضى الله على هذه الثمانية كلها . (١)

فيظهر من هذا ان من ضوابط محبته سبحانه وتعالى عدم تقديم كل محبوب على حب الله من مال او ولد او نفس او نحوها مما هو من دوافع المحبة المعروفة كما قال تعالى (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسَوْمَةِ وَالْإِتْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمُنَاقَبِ) (٢)

ثمرة حب الله عزوجل :-

فاذا احب المرء ربه اثمرت هذه المحبة :-

اولا : صرف العبادة كلها لله فلا يشرك معه فيها احدا على الاطلاق فالعبادة والخشوع والتذلل من مظاهر الولاء لله والحب لله عزوجل .

ثانيا : حب من احب الله : وانما يحب من سواه تبعا لمحبته كما يحب الانبياء والمرسلين والملائكة والصالحين لما كان يحبهم ربه سبحانه .

ثالثا : كراهية ما يكره .

رابعا : ايثار مرضاته على ما سواه والسعى فيما يرضيه ما استطاع وترك ما يكره . (٣)

ثانيا : حب انبياء الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم :-

حب انبياء الله وحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا ايضا من اظهر مظاهر الولاء والحب لله لان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عبادة . فاذا احب انبياء الله واوليائه لاجل قيامهم بمحوبات الله لا لشيء آخر فقد احبهم لله لا لغيره . (٤)

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٠ . (٢) سورة آل عمران آية : ١٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد بتصرف ص ٤٧٦ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٩ مرجع سابق .

وقد ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جعل حبه من كمال الايمان ففي الحديث الشريف عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١)

فدل هذا الحديث على ان من لم يكن الرسول احب اليه من ولده ووالده بل ومن نفسه فهو من اصحاب الكباثر ان لم يكن كافرا . (٢)
وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف - عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (المرء مع من احب) (٣) .
هذا الحديث فيه الحث على قوة محبة الرسل واتباعهم بحسب مراتبهم والتحذير من محبة ضدهم فان المحبة دليل على قوة اتصال المحب بمن يحبه ومناسبته لآخلاقه واقتدائه به فهى دليل على وجوب ذلك وهى ايضا باعثة على ذلك . (٤)

فقوله صلى الله عليه وسلم : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ) اى لا يحصل له الايمان الذى تبرأ به ذمته ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول احب اليه من اهله وولده والناس اجمعين .
فمن لم يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من اصحاب الكباثر ان لم يكن كافرا (٥) .

- (١) متفق عليه أخرجه البخارى كتاب الايمان باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايمان ج ١ ص ١٠ واللفظ له . ورواه مسلم كتاب الايمان باب وجوب محبة الرسول ج ٢ ص ١٥ بشرح النووى ، وأخرجه ابن ماجه مقدمه ٩ ج ١ ص ٢٦ باب فى الايمان .
- (٢) ابطال التنديد باختصار شرح التوحيد حمد بن على بن حمد بن عتيق مكتبة الرياض الحديثة ط ٤ عام ١٣٨٩ هـ - ص ٩٧ .
- (٣) سبق تخريجه ص ٣٤٤ .
- (٤) بهجة قلوب لابرار ص ٢٣٠ مرجع سابق .
- (٥) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٣ .

إذا مما سبق يمكن أن نستنتج دوافع محبته صلى الله عليه وسلم
وسائر الرسل :-

دوافع محبة محمد صلى الله عليه وسلم :-

١ - أولى هذه الدوافع أن نحبه لكونه نبيا ورسولا ومحبتنا له
إيمانية إذ هو سبب كل خير به انقذنا الله من الشرك والضلال
إلى نور اليقين والإيمان .

٢ - ومن دوافع محبتنا له صلى الله عليه وسلم جهاده بنفسه وافتدؤه
هذا الدين بكل شيء حتى ظهر هذا الدين .

فكما أن محبته صلى الله عليه وسلم لها دوافع إيمانية فبحكم
إيماننا يمكن أن نضع لهذه المحبة قيودا وضوابط تستنتج من منهج
الاسلام ومن قواعده العظمى :-
إذا فالضوابط هي :-

١ - تصديق القول بالعمل والمتابعة له والا فالمدعى كاذب فالقرآن
بين أن المحبة التي في القلب تستلزم العمل الظاهر قال تعالى
(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (١)

وقد نفى الله سبحانه صفة الإيمان عن تولى واعرض عن طاعة
الرسول قال تعالى : (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ
يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) (٢)

فتبين أن هذا من لوازم الإيمان والمحبة لكن كل مسلم لا بد أن
يكون محبا بقدر ما معه من الاسلام . (٣)

٢ - أن تكون محبة الرسول في الله من حيث محبة المحبوب تتعدى إلى
كل ما يحب فحب الله يجعلنا نحب رسوله .

(١) آل عمران آية : ٣٢ .

(٢) سورة النور آية : ٤٨ .

(٣) تيسير العزيز الحميد بتصرف ص ٤٧٣

- ٣ - أن تكون هذه المحبة وفقا لشريعة الله ومنهاجه .
- ٤ - الاعتدال في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا صرف له الدعاء أو جزء من العبادة فهذا صرف للعبادة لغير مستحقها . والله تعالى يقول : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١) أى يعبدوه وحده لا شريك معه أحد .
- ٥ - أن محبته صلى الله عليه وسلم عبادة يتقرب بها الى الله من حيث أنه حب وكل عبادة تابعة لقوله صلى الله عليه وسلم وفعله فلا افراط في محبته ولا تفريط .
- ٦ - ومن ضوابط محبته صلى الله عليه وسلم .
- اعتقاد أنه بشر مخلوق فهذا ضابط للالتزام بالإنسان بحبه صلى الله عليه وسلم لا بعبادته .
- هذه الضوابط التي اشترت اليها فيها ضبط لسلوك الفرد بحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا يرفع صلى الله عليه وسلم عن قدره بأن يساوى مع الباري الخالق جل وعلا ولا ينقص بحيث يساوى مع سائر البشر .
- ومن احب الله ورسوله اشمر هذا الحب حب من يحب الله ورسوله فتقوم الاخوة في الله .
- تعريف الاخوة في الله :-**

ويقصد بها (كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده) (٢) فإذا هذا الحب يتسامى عن أى رابطة من روابط الدم أو الجنس أو الوطن أو نحوه بل هو يسمو ويعلو الى أن يصل بالانسان الى أن يحب شخصا لا يرتبط معه بنسب ولا برحم ولا غيره وانما رباطه الوحيد هو الايمان الذى جعلهما يتحابان ويتقاربان .

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٢) الاحياء ج ٢ ص ١٦٤ .

فلا تتحقق المحبة فى الله الا اذا كانت خاليه من الغرض ايجابيه فى الخير فمن احب شخصا لكونه مسلما صالحا ادى بالمتحابين الى النهوض ببعضهم والتواصى بالحق والصبر والتعاون على الخير والذكر والدعوة والعلم فتلك محبة فى الله (١)

وقد حث الاسلام على الاخوة بالله لما لها من عظيم النصرة للدين والتقرب الى رب العالمين ففى الحديث الشريف عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (سَبْعَةٌ يَظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ إِمْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنْى أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) (٢)

وشاهد هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ فَاجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ) .

والمراد بالجمع انهم اجتمعوا على ذكر او فعل خير مما يقرب الى الله حتى اذا انحرف احدهما او عمل مالا يرضى الله تفرقا وانتهت هذه الرابطة اذا تحولت عن مسارها الصحيح .

(وبناء على هذا فجميع عباد الله الصالحين يحبهم المسلم ويواليهم وجميع عباد الله الفاسقين يبغضهم ويعاديهم) (٣)

ان الحب فى الله من اعظم ما يقرب الى الله فان الله تعالى شكور يعطى المتقرب اعظم بلاضعاف مضاعفة مما بذل ومن شكره تعالى ان يلحقه بمن احب وان قصر عمله قال تعالى (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) . (٤)

(١) جند الله ثقافة و اخلاقا / سعيد حوى ص ٢٤٧ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٢ .

(٣) منهاج المسلم ابو بكر الجزائرى ص ١٥٥ .

(٤) سورة النساء آية ٦٩ .

وقال صلى الله عليه وسلم من حديث انس : (المرء مع من احب) (١)
 فالحديث مفسر للآية اذ ان من احب لله فهو مع هؤلاء النبيين
 والصديقين والشهداء والصالحين ولذا قال انس رضى الله عنه انه
 فرح بهذه المرتبة ففى الحديث الشريف عن انس رضى الله عنه : (اَنَّ
 رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ وَمَاذَا
 أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَقَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ قَالَ أَنَسُ فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقَوْلِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ قَالَ أَنَسُ فَلَنَا أَحِبُّ
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَارْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِيبِ
 رِيَاسَتِهِمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ) (٢)

فهذا الحديث دافع الى الحب فى الله ليرتقى المحب الى درجة
 محبوبة .

فكل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا فى علم او فى خير
 فانما احب فى الله ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه (٣)
ثانيا : حب الله :

ان اسمى الدوافع للحب فى الله حب الله فاذا كان هذا هو الهدف
 من الحب فى الله فقد تتحقق محبة الله سبحانه وتعالى لمن هذه صفته
 ولذا ففى الحديث الشريف (عن معاذ قال سمعت الرسول صلى الله عليه
 وسلم يقول قال الله عزوجل : (حققت محبتى للمتحابين فى وحققت محبتى
 للمتواصلين فى وحققت محبتى للمتزاورين فى وحققت محبتى للمتبادلين
 فى) (٤)

-
- (١) سبق تخريجه ص ١٣٦٣ .
 (٢) اخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب مناقب عمر بن الخطاب ج ٥
 ص ١٤ - ١٥ .
 (٣) الاحياء ج ٢ ص ١٦٦ .
 (٤) اخرجه احمد ج ٥ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ ، واخرجه مالك فى موطئه كتاب
 الشعر ص ٥٩٢ واخرجه الحاكم فى مستدركه ج ٤ ص ١٦٩ وقال وهذا
 اسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واللفظ له . وقد سكت
 عنه الذهبى .

فمن احب لله فقد استحق بذلك حب الله وهو اهم دافع يعمل الانسان من اجله ومن الحديث الشريف يمكن بان نقول ان حب الله هو الدافع للتأخي وللتزاور والتناصر ولذا ففى الحديث الشريف عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (اِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَارْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِى هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا (١) قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ : فَإِنِّى رَسُولُ اللَّهِ وَإِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ) (٢)

فدافع هذه الزيارة هو مجرد الاخوة فى الله ولهذا تحققت محبة الله سبحانه وتعالى لهذا الرجل الذى احب فى الله .

ثالثا : قوة حب الله :

(فاذا قوى هذا الحب كان دافعا لحب من يقوم بحق عبادة الله من علم او عمل واشمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن او تاذب بآداب الشرع) (٣)

رابعاً : الاجتماع على الذكر :

روى مسلم فى صحيحه عن ابي سعيد الخدرى قال : (خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقِهِ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ مَا أَجْلِسُكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلِسُكُمْ إِلَّا ذَاكَ قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ أَمَا لِأَنِّى لَمْ أَتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مَا أَجْلِسُكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِيهِ عَلَيْنَا قَالَ اللَّهُ مَا

(١) هل لك عليه من نعمة تربها : اى تقوم باصلاحها وتذهب اليه بسبب ذلك .

(٢) اخرجه مسلم كتاب البر باب فضل عيادة المريض ج ١٦ ص ١٢٤ بشرح النووى .

(٣) الاحياء ج ٢ ص ١٦٥ مرجع سابق - بتصرف .

أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ أَمَّا إِنِّي لَمْ
أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ
يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ (١)

فهؤلاء اجتمعوا على ذكر الله وطاعته ليس بينهم دنيا تجمعهم
الا الاخوة فى الله والحب فى الله وذكر الله جل وعلا لذا حصل لهم
الرضى من الرب والمباهاة بهم فى الملا الاعلى .
خامسا : البذل فى الله :

(قد يسمو الحب فى الله الى ان يكون دافعا للبذل فى سبيل
الله فقد يكون بترك بعض الحظوظ دون بعض كمن يشاطر محبوبه ماله
او نحوه لانه لا تعرف درجة المحبوب الا بمحسوب يترك فى مقابلته فمن
استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه
شيئا) (٢)

هذه الدوافع التى تجعل المرء المسلم يسارع الى مشاطرة
المسلمين الحب فى الله والتقرب اليهم لكن هذه المحبة وهذه المودة
لا بد ان يكون لها ضوابط لكى تتفق مع الشريعة الاسلامية وتسمو عن
كونها حبا غريزيا فتصل الى ان تصبح حبا اختياريا ضابطا للشهوات
من الانحراف وراء الاهواء .
ضوابط الحب فى الله

اولا : " ان تكون لله وفى الله بحيث تخلو من شوائب الدنيا وعلاقتها
المادية بالكلية ويكون الباعث عليها الايمان بالله لا غير . " (٣)
فهو بهذا يضبط هذه الرابطة بين الاخوين فى الله فلا تبنى على

(١) اخرجه مسلم كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى
الذكر ج ١٧ ص ٢١ بشرح النووى .

(٢) الاحياء ج ٢ ص ١٦٦ .

(٣) منهاج المسلم / ابو بكر الجزائرى ص ١٥٥ .

المال أو الجاه أو السلطان أو أى غرض من أغراض الدنيا مما هو معروف تعلق النفس به كما قال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمُنَاقَبِ) (١) .

فهذه المحبة غريزية ولها دوافعها الخاصة كما اشارات اليها الآية الكريمة وهذه المحبوبات ليست محرمة شرعا وما كانت كذلك لا يعتبر حبا فى الله لانها من الشهوات اما ما كان خالصا لله ليس فيه دافع غريزى أو حظ دنيوى فهو الحب فى الله .
ثانيا : عدم اتباع الهوى :

فان اتبعه فقد اتبع هواه قال تعالى (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) (٢) وهو محبة النفس ويتبع ذلك بغضها فان من الناس من يكون حبه وبغضه وارادته وكراهيته بحسب محبة نفسه وبغضها لا بحسب محبة فى الله ورسوله وبغض فى الله ورسوله ، وهذا نوع من الهوى . فالحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغوض ووجد وارادة وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير امر الله ورسوله فهو (مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) بل قد يتمادى به الامر الى ان يتخذ الهه هواه (٣)

لذا حذر تعالى نبيه داود عليه السلام من اتباع الهوى فقال تعالى (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (٤)

(١) سورة آل عمران آية : ١٤ .

(٢) سورة القصص آية : ٥٠ .

(٣) شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين ج ١ ص ٣٥٤

تحقيق محمد حامد الفقى / مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ

(٤) سورة ص آية : ٢٦

(فَاخْبِرْهُ أَنْ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ أَضَلَّ ذَلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - وَسَبِيلِ

اللَّهِ هُوَ هِدَاةٌ الَّتِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ وَهُوَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ (١)

ثالثا : " أَنْ تَكُونَ عَلَى تَقْوَى وَادِّبْ وَلَا فَنَ هَذِهِ الْأَخْوَةُ لَنْ تَسْتَمِرَّ (٢)

قَالَ تَعَالَى : (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (٣)

فَتَقْوَى اللَّهِ ضَابِطٌ لِسُلُوكِ الْفَرْدِ بَلْ هُوَ أَكْبَرُ ضَابِطٍ لِجَمِيعِ

سُلُوكِهِ وَهُوَ الْمَهْذَبُ الْوَحِيدُ لِكُلِّ اخْلَاقِ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ فَتَقْوَى

اللَّهُ هُوَ زِمَامُ الْأَمْرِ لِلنَّاسِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ .

رابعاً : عدم تقديم محبته على محبة الله ورسله قال تعالى : (قُلْ

إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا

أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى

يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) (٤)

وذلك لكي لا تستغرق محبة هذه الأشياء في النفس البشرية

فتمصرفه عما هو أعظم من محبة الله ورسله .

خامساً : أن يكون هذا الحب والبغض موافقاً لأمر الله ورسله بحيث

يكون مأموراً بذلك الحب أو البغض ولا يكون متقدماً فيه بين

يَدَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (٥)

قَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (٦)

وَقَالَ تَعَالَى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٧)

(١) شذرات البلاتين ج ١ ص ٣٥٦ مرجع سابق .

(٢) جند الله ص ٢٤٨ .

(٣) الزخرف آية : ٦٧

(٤) سورة التوبة آية : ٢٤ .

(٥) شذرات البلاتين ج ١ ص ٣٥٦ . لشيخ الاسلام ابن تيمية .

(٦) سورة الحجرات آية : ١

(٧) سورة آل عمران آية : ٣١

فان اتباعه عنوان محبته ومحبة من احب الله واحب الرسول
عنوان محبة الله ورسوله فحب صحابته وحب الانتصار من كمال
الايمان - وبغض الكفرة والمنافقين واعداء الدين من تمام
كمال الايمان .

سادسا : ومن ضوابط هذه المحبة ان يحب لآخيه ما يحب لنفسه كما روى
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ
حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (١) والمراد ما يحب لنفسه
من الخير فيكون معه كالنفس الواحد (٢)

وجاء فى الحديث الصحيح عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير
يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مَثَلُ
الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ
شَيْءٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى) (٣)

وفى هذا ضابط لاندفاع الانسان وراء شهواته ورغباته وراء حبه
لنفسه بالذات فقد يدفع حب الانسان لنفسه لأن يضر بآخيه المسلم او
يستولى على حقوقه لكن الاسلام عندما ضبط هذه الرغبة فجعل المسلمين
كالجسد الواحد بل وارتقى الى ان جعل المسلم يحب لآخيه ما يحبه
لنفسه من الخير والمباحات فهو بهذا يقضى على نزعات النفس
ورغباتها بحب الظهور والتملك الغير عادى .

وقال ابن الصلاح : (وقد يعد هذا من الصعب الممتنع وليس كذلك
اذ القيام بذلك يجعل بان يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاخمه
فيها احد بحيث لا ينقص على اخيه شيئا من النعمة عليه وذلك سهل
على القلب السليم وانما يعسر على القلب الدغل . (٤)

(١) أخرجه البخارى باب من الايمان ان يحب لآخيه ما يحب لنفسه ج ١
ص ١٠ .

(٢) شذرات البلاتين ج ١ ص ٣٥٦ مرجع سابق .

(٣) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم
وتعاضدهم ج ١٦ ص ١٣٩ - ١٤٠ . بشرح النووى - وأخرجه احمد
واللفظ له ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٤) فتح المبين ص ١٣٦ .

والمقصود من هذا الحديث اثتلاف قلوب الناس وانتظام احوالهم

وهذه هي قاعدة الاسلام الكبرى التي اوصى الله بها بقوله تعالى :

(وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (١)

فاذا احب المؤمن لساثر المؤمنين ان يكونوا مثله في الخير احسن اليهم وامسك اذاه عنهم فيحبونه فتسرى المحبة بين الناس فيسرى الخير بينهم ويرتفع الشر فتنتظم امور معاشهم ومعادهم وتكون احوالهم على غاية السداد ونهاية الاستقامة . (٢)

هكذا عامل الاسلام المسلمين ووجه نداءه الى القلوب ليقوم بعملية التفريغ من الحقد والحسد والكراهية ويملاه بالايمان والحب والخير فلا يبقى فارغا تعبئه الاحقاد ووساوس الشيطان بل يمتلئ بالحب بالله عزوجل وحب الرسول صلى الله عليه وسلم والحب لساثر المؤمنين .

فضل الحب في الله :

ويجدر بنا ان نسوق هنا بعض الايات والاحاديث الدالة على فضل الحب في الله والبغض في الله وان كانت قد ذكرت ضمنا فيما سبق لكن التفصيل عنها وابرازها افضل :

قال تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (٣)
وقال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٤)
وقال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (٥)
وقال تعالى : (الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (٦)

(١) آل عمران آية : ١٠٣ .

(٢) فتح المبين ص ١٤٧ بتصرف .

(٣) سورة المائدة : ٥٤

(٤) آل عمران آية ك ٣١ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٦) الزخرف آية : ٤٣ .

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الحب في الله وبين منزلته عند الله عزوجل .

الحديث الاول :

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَتَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي الْيَوْمِ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**) (١)
الحديث الثاني :

عن معاذ بن جبل (٢) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عزوجل : (**الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغِيبُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**) (٣) .
فيرتقى المحب في الله عزوجل مرتبة قريبة من الله عزوجل يغبطهم عليها افضل الخلق وهم الانبياء والشهداء .

(١) أخرجه مسلم واللفظ له كتاب البر باب فضل الحب في الله ج ١٦ ص ١٢٣ بشرح النووي وأخرجه مالك كتاب الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله ص ٥٩٠ .

(٢) معاذ بن جبل : بن عمرو بن اوس عائذ بن عدى بن كعب ابن عمر الانصاري الخزرجي ابو عبد الرحمن المدني اسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة وشهد بدرا والعقبة والمشاهد قال قتاده عن الحسن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي - ومعاذ وزيد بن ثابت وابو زيد . قال ابو مسهر مات سنة سبع عشرة وقال يحيى بن معين مات سنة سبع عشرة او ثمان عشرة . - تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) أخرجه الترمذي كتاب الزهد باب ٥٣ ص ٥٩٧ ج ٤ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

الحديث الثالث :

ومن فضل الحب فى الله ان المحب يجد حلاوة الايمان فى الحديث الشريف عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِمْ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذَفَ فِي النَّارِ) (١)

وقد ذكرت فيما سبق عدة احاديث فيها فضل الحب فى الله بما يغنى عن الاعداد لها ومن هذه الايات والاحاديث مجتمعه نستنتج قاعدة الاسلام العظمى التى بنيت عليها العلاقات الفردية والجماعية لكى نخرج بمجتمع سليم معافى من الضغائن والاحقاد يدا واحدة وقلبا ينبض بالحب والوفاء لكل من نرتبط معهم برباط الدين لنحقق الخيرية التى اشار اليها القرآن الكريم بقوله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (٢) ولنحقق الاعتصام بمنهج الوحدة بقول الله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (٣) ونحقق الاخاء بقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (٤) فلا تحاسد ولا تباغض بل المسلم للمسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

(١) اخرجه البخارى واللفظ له كتاب الايمان باب حلاوة الايمان ص ٩ ج ١ وكتاب الادب باب الحب فى الله ج ٨ ص ١٧ وقال وحتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما . واخرجه مسلم كتاب الايمان ج ٢ ص ١٣ بشرح النووى - واخرجه الترمذى حديث ٢٦٢٤ ج ٥ ص ١٥ وقال ابو عيسى هذا الحديث حسن صحيح - واخرجه احمد ج ٣ ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) آل عمران آية : ١١٠ .

(٣) آل عمران آية : ١٠٣ .

(٤) سورة الحجرات آية : ١٠ .

هكذا اراد الله ان يخرج للعالم اجمع من اصغر المجتمعات افضل وامثل النماذج للتآخي والتحاب بدل التنافر والتنافر .

وخير نموذج لذلك الاوس والخزرج اعداء حروب طاحنة وويلات ذاقت القبيلتان مرها فلما اتى هذا الدين الف بينهم فاصبحوا اخوة في الله قال الله تعالى في معرض الامتنان بهذه النعمة الجزيلة (وَاللّٰهُ بَيِّنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ اَنفَقْتَ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا مَّا اَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّٰهَ اَلَفَ) (١)

ويجدر بناء ونحن نتلمس الطريق الى الوحدة والى الحب فى الله ان نعرف وسائل الحب والبغض بالله وذلك لتمام البحث :
وسائل اظهار الحب فى الله :

اولا اللسان :

وذلك بالنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر محاسنه واخفاء عيوبه والثناء عليه والدعاء له حيا وميتا .
وان يكف عنه لسانه الا بخير فلا يذكر له عيب فى غيبته او حضوره ان يتلطف بآمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ولا يماريه فى الكلام ان يدعوه باحب اسمائه اليه ويذكره بالخير فى الغيبة والحضور ان لا يسترسل فى نصحه فيقلقه ولا ينصحه امام الناس فيفضحه ان يدعوه له ولولاده ومن يتعلق به بخير ما يدعوه لنفسه حيا وميتا حاضرا وغائبا (٢)

ثانيا : بالفعل وتشمل :-

اولا : المواساة بالمال فيواسى كل منهما اخاه بماله ان احتاج اليه ومثاله صدق ووفاء ابى بكر رضى الله عنه للنبي صلى

(١) سورة الانفال آية : ٦٣ .

(٢) منهاج المسلم ص ١٥٥ - ١٥٩ بتصرف وانظر ايضا الاحياء ج ٢ ص

١٨٦ وما بعده بتصرف .

الله عليه وسلم حتى فداه بكل ماله ففي الحديث عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : (لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ومعه أبو بكر حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة ألفا و ستي ألف درهم فاتانى جدى أبو قحافه وقد ذهب بصره فقال ان هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه فقلت كلا يا أبت قد ترك لنا خيرا كثيرا فعمدنا الى أحجار فجعلتهن في كوه البيت وكان أبو بكر يجعل أمواله فيها وغطيت على الأحجار بثوب ثم جئت فآخذت بيده فوضعتها على الثوب فقال اما اذا ترك هذا فنعم قالت والله ما ترك قليلا ولا كثيرا) (١)

ثانيا : ان يفديه بنفسه ان احتاج الى ذلك ومن اعظم امثلة الفداء على بن ابي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم ففي الحديث عن ابي عباس رضي الله عنهما قال : (شرى على نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم البسه بردة وكانت قريش تريد ان تقتل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمون عليا ويرونه النبي صلى الله عليه وسلم وقد لبس بردة وجعل على رضي الله عنه يتضور فاذا هو على فقالوا انك للثيم انك لتتضور وكان صاحبك لا يتضور ولقد استنكرناه منك) (٢)

ثالثا : ان يتفقد احواله ويقضى حوائجه وان يسأل عنه بعد كل ثلاث ايام فان كان مريضا عادة وان كان مشغولا اعانه وان كان ناسيا ذكره وان يوسع له اذا جلس .

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ج ٣ ص ٥ - ٦ وقال هذا حديث صحيح على

شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الذهبي (م) .

(٢) أخرجه الحكم في مستدركه ج ٣ ص ٤ وقال هذا حديث صحيح الاسناد

ولم يخرجاه وقال الذهبي حديث صحيح .

رابعاً : ان يعفو عن زلاته ويتغاضى عن هفواته ويستتر عيوبه ويحسن به

الظن وان ارتكب معصيه سرا او علانية فلا يقطع مودته ولا

يهمل اخوته ويبقى على نصيحته ومواصلته وموعظته .

وقال الغزالي هذا افضل لانه الطف وفيه رفق ولين ومداومة

على العمل وهو يفضى الى الرجوع والتوبة . وهو ايضا فقه لان

الاخوة عقد يوجب الوفاء به ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام

حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال (١)

خامساً : ان يفى له فى الاخوة فيثبت عليها ويديم عهدا وان مات نقل

المودة الى اولاده ومن والاه من اصدقائه محافظة على الاخوة

وفاء لصاحبها فقد اكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم

عجوزا دخلت عليه ففى الحديث الشريف عن عائشة قالت : جاءت

عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عندى فقال لها

رسول الله صلى الله عليه وسلم . من انت قالت انا جثامه

المزنيه فقال بل انت حسانه المزنيه كيف انتم كيف حالكم

كيف كنتم بعدنا قالت بخير بابى انت وامى يا رسول الله

فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز

هذا الاقبال فقال : انها كانت تاتينا زمن خديجة وان حسن

العهد من الايمان . (٢)

سادساً : ان لا يكلفه ما يشق عليه وان لا يحمله مالا يرتاح معه اذا

اصل الاخوة كانت لله فلا ينبغي ان تحول الى غيره من جلب

منافع الدنيا او دفع المضار . (٣)

(١) منهاج المسلم ص ١٥٥ - ١٥٩ - الاحياء ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) اخرجه الحاكم فى مستدركه كتاب الايمان ج ١ ص ١٦ وقال هذا

حديث صحيح على شرط الشيخين فقد اتفقا على الاحتجاج برواية هذا

الحديث فى احاديث كثيرة وليس له عله - سكت عنه الذهبي .

(٣) منهاج المسلم ص ١٥٥ - ١٥٩ - الاحياء ج ٢ ص ١٦٧ .

وسائل اظهار البغض :

الوسيلة الاولى باللسان :

" اما بكف اللسان عن مكالمته ومحادثته . وفى ذلك نقص لقدره واهانة بحقه لسبب فسقه " على الا يزيد الهجر عن ثلاث لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تحل الهجرة فوق ثلاثة ايام فان التقيا فسلم احدهما على الآخر فرد عليه الآخر السلام اشتركا فى الأجر وان ابى الآخر ان يرد السلام برىء هذا من الاثم وباء به الآخر ..) (١)

وفى الحديث عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل للمؤمن ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام (٢)

واما بمحادثته لكن التغلظ له بالقول .

ثانيا : بالفعل :

ويشمل قطع السعى فى اعانته .

وهذا اذا كان ممن يسعى عليه وينفق عليه كما فعل ابو بكر مع مسطح اذا كان احد رعاياه فلما ظهر منه الفسوق فى اتهام عائشة حلف ابو بكر على نفسه الا ينفق عليه ثم لما تاب اعاده الى نفقته وقال تعالى فى ذلك : (وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) (٣) فكفر ابو بكر عن يمينه واعاد مسطح الى نفقته .

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه ج ٤ ص ١٦٣ وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجوا . قال الذهبى صحيح .

(٢) أخرجه مسلم كتاب البر باب تحريم الظن والتجسس والتنافس

ج ١٦ ص ١١٨ .

(٣) سورة النور آية : ٢٢ .

وقد يكون بالسعى فى اسائته وافساد مآربه وهذا فيما يفسد عليه طريق المعصية فقط . (١)

وفى الحديث الشريف عن انس بن مالك رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ) (٢)

فنصرته هنا عن الوقوع بالمآثم والمحرمات فقله صلى الله عليه وسلم (تأخذ فوق يديه) دلالة على منعه من الوقوع فى المعصية بآى وسيلة كانت .

الا انا نلاحظ ان كلا من الحب فى الله والبغض فى الله يندرج زيادة ونقصانا بحسب القرب والبعد عن الله ولذا نقول ان هناك مراتب يمكن ان يندرج تحتها كل من الحب او البغض فى الله .
اولا : مراتب الحب فى الله :

١ علاها حب من احب الله كالانبياء كل حسب مرتبته واعلى هذه المرتبة حب محمد بن عبد الله وهكذا الاقرب فالاقرب .

ثانيا : حب الصديقين والشهداء والانصار لكل الانبياء كحب صحابه رسول الله وحب حوارى عيسى الذين ناصروه وحب مؤمن آل فرعون وغيرهم من انصار الانبياء جميعا وقد اشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى حب الانصار وحث على حبهم ففى الحديث عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ) (٣)

(١) الاحياء ج ٢ ص ١٦٧ وانظر موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين تأليف / محمد جمال الدين القاسم ص ١٩٩ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب المظالم باب ١ عن اخاك ظالما او مظلوما ج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) اخرجه البخارى كتاب الايمان باب علامة الايمان حب الانصار ج ١ ص ١١

وكذا بالنسبة للبغض فى الله يندرج تحته امور منها .

١ - المخالف للمسلمين :

خلاف العقيدة وهذا واجب بغضه كالكافر . وهذا اما ان يكون محاربا وهذا يستحق القتل والارقاق قال تعالى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (١)

واما ان يكون غير محارب وهو الذمى وهذا لا يجوز ايذائه الا بالاعراض عنه والتحقيق له وترك مخالطته ومعاملته ومؤاكلته لقوله تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ) (٢) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) (٣)

٢ - المبتدع :

ويستحب اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه .

وان كان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح فى نفسه بدعته بل يؤثر فى زجره فترك الجواب اولى وكذا كف الاعانة عنه والاحسان اليه (٤)

فعلى هذا فطريقة زجره تختلف باختلاف حالة فان كان مما يؤثر فيه هذا جدر فى التشنيع بالكلام وتحقير الفعل وشدة الزجر كان هذا اجدر فى معاملته وان لم يكن الا التحقير بترك الكلام معه وعدم الاحسان اليه فهذا اولى بمعنى ان كلا يعامل بحسب ما يضبط سلوكه ويردعه عن بدعته .

(١) سورة البقرة آية : ١٩٠ .

(٢) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ١ .

(٤) الاحياء بتصرف ج ٢ ص ١٦٩ .

وهذا يحتاج من الداعية الى التبصر بسلوك الفرد ودوافعه التى من اجلها اصبح مبتدعا فان الداعية صاحب بصيرة واعية استطاع ان يصل الى وسيلة يضبط بها سلوك كل من شذ عن منهج الله عزوجل ويصلح نفسه .

٣ - صاحب المعاصى :

وهو احد ثلاثة :

او : من اذاه يتعدى كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى اىذاء الخلق .
ثانيا : الذى يهوى اسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنيائهم ولكن يختلس بفعله دينهم حتى وان كان ذلك فى رضاهم ويقتضى هذا الاهانة ولاعراض والمقاطعة وترك السلام .

ثالثا : الذى يفسق بنفسه بشرب خمر او ترك واجب ويجب منعه فى وقت مباشرته ان صودف فيجب منعه بما يمتنع به . اما ان فرغ منه فالتلف بدعوته واظهار مفسده واسداء النصيحة له (١) كل هذه وسائل تمنعه من الوقوع فى المعصية مرة اخرى .فهذه معصية مقتصرة على نفسه ومع هذا فلا بد من اصلاحه وذلك لانه لبنة من لبنات هذا المجتمع المسلم فمجتمعنا كل لا يتجزأ وينبغى ان يبقى كذلك وان كانت اصابة الجزء اسهل وايسر من الكل وذلك لسرعة فصله والقضاء عليه اذا تحقق فسادة على انه ينبغى ان يساهم الداعية فى علاج هذا الفرد ومحاولة القضاء على ما يظهر منه من فساد مهما كان ومن معاصى بشتى الوسائل والطرق ولكن فليبدأ بالاسهل فالاسهل وقد افردت فصلا خاصا فى موضوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومما سبق يتضح لنا ان المحبة يمكن ان تتفرع وكذا البغض قد يتسع ويضيق حسب الحب او البغض فى الله فاذا نقول المحبة انواع فهى اما ان تكون نافعة واما ان تكون ضاره .
فالمحبة النافعة تشمل :-

١ (محبة الله .

٢ (محبة فى الله

٣ (محبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب المعصية .
كمحبة الزوجة وما ملكت اليمين فانها معينة على ما شرع الله من النكاح وملك اليمين من اعفاف الرجل نفسه واهله فلا تطمع نفسه الى ما سواها من الحرام (١) قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا اِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (٢)

فهذا الزواج ضابط لدافع حب النساء فهو يصرف هذه الرغبة فى طريقها الصحيح لى لا يقع بالحرام .

اما المحبة الضارة فهى التى وجه الاسلام ضوابطه اليها ليضبط الانسان من سلوكه ويضعف من رغبته فيها حتى تتلاشى وتنتهى ويحل محلها محبة نافعة فلذا فالمحبة الضارة ثلاثة انواع :-

١ - محبة مع الله :-

وهى اصل الشرك والمحاب المذمومة . لانها تجلب لصاحبها ما يضره من الشقاء والالم والعناء . (٣)

فضابط محبة الله توحيد العقيدة والاقرار بالوحدانية وان الله واحد احد وانه اصل كل موجود وسبب الوجود والنعم وعندئذ يستشعر المرء ان محبة غير الله مع الله كفر وشرك ينبغى ان ينصرف عنه ويلجأ بمحبته كلها الى الله سبحانه وتعالى .

٢ - محبة ما يبغضه الله :-

وهذه المحبة تتمثل بحب ما يبغض الله ورسوله كحب اعداء الاسلام

(١) اغاثة اللفهان ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) سورة الروم آية : ٢١ .

(٣) اغاثة اللفهان ج ٢ ص ١٣٩ .

والذين آذوا محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم او آذوا الانبياء عليهم السلام قبله وحب الكفرة واعوانهم وايضا تشمل حب المحرمات الظاهرة والباطنة والخاصة لنفسه او المتعدية لغيره فهذا كله حب لما يبغضه الله عزوجل .

فهذه المحبة الضابط لها الاقتداء بالانبياء السابقين قبلنا كيف ابغضوا ابنائهم فى الله كنوح وكيف ابغض ابراهيم الخليل اباه فى الله (١) كما ان القدوة فى الصحابة لها اثرها فى ضبط النفس فالمجتمع الماجن المحب للخمرة وللزنا وسائر المحرمات منذ نزول آية الخمر يكتفى هذا المجتمع ويصبح انقى امة ومجتمعنا عرفه التاريخ فيها هو عمر بن الخطاب يقول : (انتهينا انتهينا يا رب) عند قول الله تعالى : (**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ** * **وَإِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**) (٢) هذه الآية الناطقة فى تحريم الخمر هى ايضا ضابط لتلك الشهوة المحرمة التى كانوا قد اعتادوا عليها وجعلوا حبها يخامر عقولهم وشهواتهم وفجأة وامتنالا لأمر الله تهرق الخمر فى شوارع المدينة الى غير عودة لهذه المحبوبة اللعينة التى طالما كانت سببا للبغضاء والصد عن الذكر وعن الصلاة . وكانت سببا لايذاء الغير من ارتكاب المحرمات كالقتل والسرقة والزنا فهى أم الخبائث ولا ريب وبترها من جذورها يقضى على كل ما يتصل بها من محرمات .

٣ - محبة ما تقطع محبته عن محبته الله تعالى او تنقصها :-

هذا ما ساقه ابن القيم فى اغاثة اللفهان فمراده من هذا ان هذه المحبة قد تحول بين اخلاص الحب لله وفى الله وقد تصرف الانسان

(١) وقد اشرت الى محنة نوح وقصته مع ابنه وكذا قصة ابراهيم وتبراه من ابيه فى موضوع الاقتداء بالانبياء والذين معهم . ص ١٤١

(٢) سورة المائدة آية : ٩٠ - ٩١ .

الى حب شيء قد يقلل من حب الله من المحبة الطبيعية التى هى فى النفس البشرية غريزة خلقية كحب المال وحب الزوجة وحب الوالد مما يستغرق عليه جميع حواسه كالرجل الذى دخل حديقته فرأى فيها الثمار وطيب المال قال الله تعالى على لسانه : (فَقَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) (١) فإذا به المال الى الكفر وانكار الساعة فهذا الحب قد ضبطه القرآن بأنه خسارة عليه فى الدنيا والآخرة فعلى هذا يمكن أن نقول أن الحب فى الله ضابط نفسى لسلوك الفرد ومؤثر عظيم فى المجتمع المسلم .

((فإذا أحب كل أحد من الناس لباقيهم أن يكونوا مثله فى الخير أحسن اليهم وأمسك إذاه عنهم فيحبونه فتسرى المحبة بين الناس فيسرى الخير بينهم ويرتفع الشر فتنتظم أمور معاشهم ومعادهم وتكون أحوالهم على غاية السداد ونهاية الاستقامة وهذا غاية المقصود من التكاليف الشرعية والأعمال البدنية والقلبية وهذا إنما يتولد من سلامة الصدر من الغل والغش والحسد فان الحسد يقتضى أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد فى الخير أو يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله والايمان يقتضى أن يشاركوه فيما أعطى من الخير من غير أن ينقص عليه شيء)) (٢)

هكذا عامل الاسلام المسلمين ووجه نداءه الى القلوب ليقوم بتطهير القلوب من الحقد والحسد والكراهية ويملاها بالحب والخير فلا يبقى فارغا تعبئه احقاد ووساوس الشيطان ، بل يمتلىء بالحب لله عزوجل وحبه للرسول صلى الله عليه وسلم والحب لسائر المؤمنين الاقرب فالاقرب من انصار وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة الكهف آية : ٣٥ .

(٢) فتح المبين ص ١٤٧ .

تم بحمد الله الجزء الاول ويليه الجزء الثانى
واوله احترام الآداب العامة فى المجتمع المسلم